جامعة أم درمان الإسلامية

كليّة اللغة العربيّة – الدّراسات العليا

قسم الدّراسات الأدبيّة والنقديّة

الرسائل فى العصر العبّاسى
أنواعها وخصائصها الفنيّة

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة فى الأدب والنقد

إعداد الطالبة: أسماء عبدالرؤوف عطية الله

إشراف البروفسير: صالح آدم بيلو

العام الجامعى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

(نَ والقلمِ وما يسطُرون)[1]

١- سورة القلم.آية رقم (١)

الإهـــــداء

إلى من كان لى سنداً وعضداً

إلى كل الذين وقفوا بجانبى

عوناً وسؤدداً

إلى أمىّ وأبىّ نبع العطاء

إلى إخوانى وأبنائى سر الوفاء

أهدى ثمرة هذا البحث

"الباحثة"

الشُكر والتقدير

الحمدُ لله القائل فى كتابه الكريم " ربّ أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علـــىّ وعلى والدىّ وأن أعمــل صـــالحاً ترضـــاه وأدخلنـــى برحمتـــك فـــى عبـــادك الصالحين"[١]صدق الله العظيم.

والصلاة والسلام على من جعل الله رسالته خاتمة لرسالات السماء عامـــة،ســـيّدنا محمد صلى الله عليه وسلّم وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإن علىّ ديّن مستحق لجامعة أم درمان الإسلاميّة التى هيأت لىّ فى رحابها أسباب هذا البحث،ليأتى فى مقدمة هذا الديّن الوفـــاء بالشـــكر لكليّـــة الدراســـات العليـــا ،وتخصيص شكرى للأستاذ المشرف ،الذى أستقطع من جهـــده ووقتـــه ليتـــولى الإشراف على هذا البحث،الأستاذ صالح آدم بيلو.

كما أتقدم بشكرى ووافر تقديرى لوالدىّ اللذان ما بخلا علىّ يوماً ما،سواء بالسؤال عن البحث أو المساعدة والمعاونة لىّ فى أبنائى.اسأل الله أن يجزيهما عنـــى كـــل خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر لأسرة المكتبة المركزية بجامعة أم درمان الإسلامية لإعانتهم لىّ بالمراجع والكتب.

والشكر أجزله أخص به من كان سنداً وعوناً فى طباعة هذا البحث وإخراجه على هذا الوجه " أبوأحمد".

وأخيراً فما كان فى هذا البحث من صواب فهو من الله تعالى،وأحمده على ذلك،وما كان فيه من خطأ فهو من نفسى،وأستغفره تعالى من ذلك،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١ـ سورة النمل.آية رقم (١٩)

المقدمة:-

الحمد لله حمد الزاهدين الشاكرين،العاملين بعلمه إلى يوم الدين،الذى أنزل القرآن على عبده بلسان عربى مبين،والصلاة والسلام على الهادى الأمين وعلى صحبه وأتباعه الغرّ الميامين،ومن أهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

ظهرت الكتابة بشكلها الفنىّ قبل نزول القرآن الكريم فى قصص العرب وحكمهم وأمثالهم وخطبهم ورسائلهم ووصاياهم،ولم تكن مدونه وإنّما كانت مشافهة،ولم يتم تدوينها وبناؤها الفنىّ لم يكتمل إلا فى القرن الثانى الهجرى.

وقد جاء القرآن بأسلوبه الذى تحدى بأعجازه كلام العرب وأساليبهم ،يقول تعالى:"قل لإن إجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً"[1].فالقرآن أثر بأساليبه إلى حدٍ كبير فى الكتابة العربية ،فقضى بذلك على الألفاظ الجافة والغريبة.

وجاء الحديث النبوى بفصاحة ألفاظه،وبلاغة عباراته ليضيف لبنة جديدة فى بناء الكتابة الفنيّة،وأستمرت الكتابة منذ صدر الإسلام والدولة الأموية فكثرت الدواويين وكثر الكتّاب،فأصبح الخليفة يصطفى من يشاء من أروع الكُتّاب فناً ،وأكثرهم إقتداراً وتصرفاً،فأُلفت الكتب وتأثرت الكتابة بأساليب القرآن الكريم والحديث الشريف،وسارت على طريقهما فى البلاغة وروعة الأداء الفنىّ.[2]

وإثر ذلك فقد تمّ إختيار الباحثة لهذا الموضوع،والذى يتناول الرسائل فى العصر العباسىّ،فى الوقت الذى تقتضى فيه مناهج تاريخ الأدب العربى من الطلاب والدارسين أنّ يقفوا وقفة خاصة عند العصر العباسى،وذلك لأنه عصرٌ زاخر من عصور الحياة الأدبية،وأتضحت فيه مناهج أدبيّة مختلفة وأتسع نطاق النثر الفنىّ بإستكمال أدواته وتعدد مجالاته،وبظهور طبقة رفيعة من الكُتّاب والمنشئين والتراجمة أغنوا الأدب العربى،ووجهوا طرائقه ووسعوا مسالكه،وتركوا فى تراثنا الأدبى ثروة عظيمة لا تزال إلى اليوم مادة أساسية نقتبس منها ونترسم خطاها.

---

[1] سورة الإسراء – آية رقم ٨٨

[2] لكتابة الفنية والموضوعية.حسن على قرعاوى.ط١.دار النشر والتوزيع.١٩٩٦.ص١٨-١٩.

وتأتى أهميته من حيث أنه يتناول بالدراسة والتحليل هذا الفن النثرى فـــى أزهـــى عصـــور الأدب.
والقصد من هذه الدراسة إلقاء المزيد من الضوء على الرسائل فى عصرها الذهبى،ومعرفـــة العوامل المؤثرة فيها،وأهم أنواعها ومن ثمّ معرفة خصائصها الفنيّة.
والناظر للعصر العباسى والمتأمل لما فيه من دول وإمارات متباعدة ومناسبات ،يجد أن هـــذا الفن هو الداعى للتواصل فى كل المناسبات وخاصةً الأماكن المتباعدة.
فلكل ذلك ندرك المكانة المهمة للرسالة ،والدور العظيم الذى تقوم به بكل أنواعها فـــى هـــذا العصر،مما كان له كبير الأثر وخير دافع للوقوف على هذا الفن الأدبى الـــذى إســـتطاع أن يزاحم الشعر روعةً وجمالاً.
فيتناول هذا البحث بالدراسة التحليلية ضرباً من ضروب الأدب فى تلك المرحلة من مراحـــل التاريخ الأدبى الذى بلغ فيها نضجه،وأثرت فيه عوامل عـــدة هيأتـــه لأداء دوره فـــى ذلـــك العصر.

أسباب أختيار الموضوع:-

هنالك العديد من الأسباب التى دفعت الباحثة لإختيار موضوع هذا البحث،والتى من أهمها ما يلى:-
أولاً:- معظم الدراسات التى قدمها الباحثون فى الأدب العربى قد تركّـــز إهتمامهـــا حـــول الشعر،أما الإهتمام بالنثر فقليل لا يكاد يذكر،وأن الدراسات التى قُدمت قد حُظى فيها جانـــبٌ معين بالدراسة وذلك مثل الخطابة،ذلك ما شجّع الباحثة لتلك الدراسة.
ثانياً:- شدة الإعجاب بهذا الفن ،الذى برع فيه العديد من الكُتّاب مـــن ذوى القـــدرة علـــى الكتابة والتنميق فى الأسلوب،والقدرة الفائقة على ترتيب العبارات المسجوعة مـــع بعضـــها البعض.
ثالثاً:- رغبة الباحثة الصادقة فى الأدب،وشدة الإعجاب بفنونه المختلفة،وخاصة تلك التى لا توجد فيها دراسات مشابهة حتى يخرج البحث بالصورة التى يُراد لها ويكون ذا نفعٍ وفائدة.

منهج البحث:-

أمّا من حيث المنهج الذى أُتبع فى هذه الدراسة،فهو المنهج التاريخى التحليلي،فالمنهج التاريخى تمّ من خلاله عرض لبعض الحقائق التاريخية والتى تُعتبر ذات أهميّة فى مثل هذه الدراسات،وذلك فى عمليّة التحليل.أمّا المنهج التحليلى فقد تتبعت فيه الباحثة الرسائل فى ذلك العصر وتحليلها وأستخلاص ما فيها من أساليب،ولا يتم ذلك إلا من خلال التحليل.

أهمّ المصادر المراجع:-

إعتمدت الدراسة على أهمّ المصادر والمراجع التى لها صلة وثيقة بذلك الموضوع.والمتلعقة بجانب النقد والتحليل ،وبعض المراجع التى تضم فى صفحاتها رسائل هذا العصر،وقد أشارت إليها الباحثة فى نهاية هذا البحث.

الدراسات السابقة:-

هنالك جهود سابقة قام بها عدد من الدارسين ،سواء أكان ذلك فى مجال الشعرأو النثر، ولكنها لم تضم دراسة للرسائل فى هذا العصر،وبالرغم من ذلك أستطاعت الباحثة الإفادة منها والإطلاع عليها ،ومن تلك الدراسات دراسة مقدمة من الطالب "عبدالرحمن عطاالمنان" والتى بعنوان " الخطابة فى عصر بنى أميّة أنواعها وخصائصها الفنيّة"،ثم دراسة "النورانى عبدالكريم" والتى بعنوان " الخطابة فى العصر العباسى "،ثمّ دراسة ماجستير بعنوان "أدب الرسائل فى العصر الأموى".

خطة البحث:-

أمّا عن خطة البحث فقد سارت على النحو التالى:-

المقدمة:- وفيها ذكرت الباحثة أهميّة الموضوع وسبب اختياره والمنهج الذى أُتبع ،والمصادر والمراجع والدراسات السابقة.

التمهيد:- وفيه دراسة لمعنى النثر ومفهوم الرسائل.

الباب الأول:- وفيه ذكرت الباحثة أنواع الرسائل فى العصر العباسى ،وقد قُسم إلى فصول ومباحث،ففى الفصل الأول تحدثت الباحثة عن الرسائل الديوانية وسبب أنشائها،ثم أتت بالعديد من النماذج التى تمثل الديوان وقد قّسم الفصل الأول إلى مباحث،ففى المبحث الأول

تحدثت الباحثة عن الرسائل التى تخص البيعات ،أمّا المبحث الثانى فقد خُصص لرسائل العهود،والمبحث الثالث تناولت فيه الباحثة رسائل العباسيين فى شتى المجالات،وقد خُتم هذا الفصل بمبحث رابع خُصص لدراسة رسائل العباسيين التى تحمل أماناً.

أمّا الفصل الثانى والذى قُسم بدوره إلى مبحثين ،تناولت فيه الباحثة رسائل الولاة التى تحمل طابعاً إخوانياً،وذلك لما لها من أهميّة فى العلاقات بين الراعى والرعيّة،وقد تناول المبحث الأول الرسائل التى تهتم بجانب التهانى والتعازىّ والتهادىّ،أمّا المبحث الثانى ففيه دراسة للرسائل التى تحمل معنى العتاب والإستعطاف والشكوى.

أمّا الفصل الثالث فقد خُصص لدراسة التوقيعات وذلك لما لها من أهميّة فى التراسل فى أيصال المراد من القول بالقليل من العبارات.وقد قُسم إلى مبحثين ،يختص الأول منهما بتوقيعات الخلفاء أنفسهم،أمّا الثانى فيتناول توقيعات الأمراء والوزراء.

أمّا الفصل الرابع من هذا الباب فقد عُنيت فيه الباحثة بدراسة للرسائل التى تحمل معانى المودة والإخاء،والذى جاء بعنوان الرسائل الإخوانية،ففى المبحث الأول تناولت الباحثة رسائل التهانى والتعازىّ ،أمّا المبحث الثانى فقد خُصص لدراسة مناسبات مختلفة .

الباب الثانى:- وفيه تمّت الدراسة الفنيّة للرسائل فى العصر العباسى،وقد قُسم بدوره إلى فصول ومباحث،أمّا الفصل الأول منه فقد قامت الباحثة فيه بدراسة لشكل الرسائل ،وقد قُسم لثلاثة مباحث،تناول الأول منها مقدمات الرسائل ،أمّا الثانى فقد تناولت فيه الباحثة الموضوعات التى أهتم بها العباسيون فى رسائلهم،ثم المبحث الثالث والذى خُصص لدراسة خواتيم الرسائل.

أمّا الفصل الثانى من هذا الباب فقد خُصص لدراسة الأسلوب الفنىّ للرسائل فى العصر العباسى،وذلك من خلال عدة مباحث،إذ يتناول الأول منهاالألفاظ والمعانى،أمّا الثانى فيتناول الإقتباس،ثمّ الثالث الذى تناول السجع والتوازن،ثمّ المبحث الرابع والذى خُصص للحديث عن التخييل والتصوير،ثمّ المبحث الخامس والذى جاء فيه دراسة الإيجاز والإطناب،ثمّ السادس والذى قامت فيه الباحثة بدراسة فنيّة لأسلوب العباسيين وأستشهادهم بالقصة أثناء مراسلاتهم،ثمّ خُتم بمبحث سابع بُيّن فيه براعتهم وأستخدامهم للشعر فى تراسلهم.

ثمّ خُتم هذا البحث بتقييم عام للرسائل فى العصر العباسى بالإضافة لأهمّ النتائج والتوصيات.

التمهيد:

ا- معنى النثر:-

واعلم أن لسان العرب وكلامهم يدور حول فنّين أساسيين هما :

١. فن الشعر المنظوم وهو الكلام المقفى الموزون بأوزان مخصوصة .

٢. فن النثر وهو الكلام غير الموزون بوزن ولا قافية .[١]وهذا النوع هو محور الدراسة .

أما عن نشأة النثر ،فقد ذهب عدد كبير من الباحثين المحدثين إلى أن النثر الفنى مرحلة متأخرة عن مرحلة الشعر عند الشعوب،وأختلفوا فى تحديد زمن بدايته،وذهبوا فى ذلك إلى أربعة أقوال هى:

١. نشأته مع ظهور الإسلام،وأنه نبته إسلاميّة محضه،وأخذ فى النمو والإرتقاء حتى استكمل خصائصه،وبلغ طور النضج على يد عبدالحميد الكاتب.

٢. يرى بعضهم أن نشأته كانت فى العصر الأموى،بيد أن هنالك فريق من الباحثين كان يرى نشأته فى أوآئل القرن الثانى للهجرة والذى شهد ظهور الحياة العقلية.

٣. وفريق كان يرى نشأته فى مطلع العصر العباسى الأول،إذ نفى أحد المستشرقين وهو(وليم مارسية)أن يكون للعرب نثر فنى قبل العصر العباسى الأول.

٤. وفريق ذهب إلى أن النثر الفنى فى الأدب العربى ساير ظهور الحس الفنى المرهف عند العرب،ولا يمكن القول بأنهم عرفوا الفن أو التفنن فى الشعر فى حين أنهم كانو يجهلون ذلك فى نثرهم[٢] . والرأي الراجح هو الرأي الرابع وذلك أن الحس الفني المرهف موجود بالفطرة لدى العرب.

وللنثر أهميّة بالغة فى حياة البشر منذ أقدم العصور،فمن يرجع إلى العصر الجاهلى يجد أنه قد لعب دوراً مهماً فى حياة العرب،وذلك أنهم كانوا مشغوفين بالتاريخ والقصص عن فرسانهم ووقائعهم وملوكهم.إلا أنه قد أُستخدم لأغراض سياسية وتجارية ،ولم يخرجوا بالكتابة إلى أغراض أدبية خالصة،إذاً نستطيع بذلك القول أن الكتابة فى الجاهليّة لم تؤد بجانب أغراضها

---

[١]- جواهر الأدب.أحمد الهاشمى.ج١.المكتبة التجارية الكبرى١٣٧٩هـ.١٩٦٠.ص٤٠.

[٢] -تاريخ الترسل النثرى عند العرب فى الجاهلية.محمود المقداد.ط١.دارالفكربيروت.١٤١٣ هـ. ١٩٩٣م.ص٦٥-٨٢.

السياسية والتجارية أغراضاً أدبية أو فنيّة ،إذ لم تكن أكثر من كتابـــه فطريـــة أدّت أغراضـــاً خاصة فى عصرها وأنتهت بإنتهاء الغرض[1].

أمّا إذا انتقلنا إلى عصر صدر الإسلام،نجد أن الأسلام قد اتخذ الكتابة دعامة من دعائمـــه،فقال جلّ شأنه فى أول آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلّم"إقرأباسم ربك الذى خلق،خلق الإنسان من علق،إقرأوربك الأكرم الذى علّم بالقلم ،علّم الإنسان ما لم يعلم"[2] .وأقسم ســبحانه وتعالى بالقلم فقال جلّ وعز "ن والقلم وما يسطرون"[3].كما أقسم بالكتاب فقال "والطور وكتـــاب مسطور فى رق منشور"[4].

وقد ورد فى الذكر الحكيم كلمات اللوح والقرطاس الدالّة على الكتابة،فقال عزّوجلّ "إن هذا فى لفى الصحف الأولى".[5]

وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم على تعلم الكتابه من بعد القرآن بطرقٍ مختلفة ،وذلـــك مثل أنه جعل فداء بعض اسرى قريش فى بدر ممن تعلموا الكتابة أن يعلموهـــا عشـــرة مـــن صبيان المدينة.[6]

إذاً فالكتابة فى صدر الإسلام أخذت تستخدم إستخداماً واسعاً لا فى كتابة القرآن الكريم فحسب ،بل فى كتابة كثير من شئون الدولة الإسلامية.

أما إذا إنتقلنا إلى عصر بنى أمية وجدنا أن الكتابة أخذت ترقى رقياً عظيماً،وذلك تبعـــاً لتعقـــد الحياة من جميع أطرافها المادية والسياسية والعقلية،وقد أخذت الكتابة فى العصر الأموى هـــذا الرقى من ثلاثة جداول هى:الجاهلية متمثلاً فى الشعر والأيام وتقاليد الجاهليين،وجدول اسلامى متمثلاً فى تاريخ الإسلام،وجدول أجنبى متمثلاً فى معرفة شؤون الأمـــم المفتوحـــة ونظمهـــا السياسية والإجتماعية والأخذ منها حسب الحاجة[7]

---

[1]- الفن ومذاهبه فى النثر العربى.شوقى ضيف.ط١٣.دارالمعارف.ص١٩.

[2] -سورة العلق.الآيات من(١-٥)

[3] -سورةالقلم. الآية رقم (١)

[4] سورة الطور.الأيات من(١-٣)

[5] -سورة الأعلى.آية رقم (١٨)

[6] -الفن ومذاهبه فى النثر العربى.شوقى ضيف.مرجع سابق.ص٩٥.

[7] -المرجع السابق.ص٩٩.

فلما صارت الدولة إلى العباسيين على اثر الإنقلاب الذى أصاب كل وجوه الحياة أصاب الإنشاء تغيّر يلائم ذلك الإنقلاب،إذ يعد العصر العباسى هو العصر الذهبى للكتابة الفنيّة،ومن أهم ظواهر التغير الذى حدث،الإستبحار فى المدنية والإغراق فى الحضارة،وقد أخذ الإنشاء فى النزوع إلى ثمار الرخاء والترف والتى من اهمها التطويل والإطناب.

وزادهم الإختلاط بالفرس وماتُرجم من آدابهم تانقاً فى العبارة ونزوعاً عن أسلوب البلغاء فى صدر الإسلام والعصر الأموى ،وقد أخذوا يضمنون رسائلهم الأشعار والأمثال وقد خالط كل ذلك شيئاً من الإطراء والتفخيم[1].

بالإضافة إلى ذلك عملت عدة عوامل مجتمعة على رقىّ الكتابة فى صدر الدولة العباسيةوالتى من أهمها ،إتساع نطاق موضوعاتها،حيث أنها تناولت كل ضروب الحياة ،وعمق المعانى ورقىّ الأفكار.أيضاً كان لسهولة الألفاظ ورقة الأساليب والتأنق فى العبارة كبير اثر فى ذلك الرقىّ،هذا بجانب ارتفاع منزلتها حتى صارت سلماً للوزارة وأرقى المناصب،وأيضاً من العوامل التى ساعدت على رقىّ الفن النثرى فى عصر بنىّ العباس إرتقاؤه بإرتقاء دواعى القول،وقد كان فى مقدمة هذه الدواعى الدعوة إلى الحزب الجديد،والحكم الذى أُقيم على أنقاض الأمويين،فقد كان العباسيون فى حاجة إلى إتقان فن القول بقدر حاجتهم إلى بيان سياستهم وتوطيد حكمهم.[2]

أما مفهوم النثر فى اللغة فهو من نثر الشئ ينثره نثراً ونِثاراً وذلك إذا رماه متفرقاً كنشر فأنتشر[3]،أما من حيث المعنى الإصطلاحى فهو ذلك الكلام الغير مقيد بوزن ولا قافية.

وتبعاً لرقىّ الإنشاء فى صدر الدولة العباسية ،فقد أصبح النثر الفنى فيه متعدد الفروع [4]،فهنالك النثر العادى وهو الذى يتداوله الناس فى حياتهم العادية ،غير آبهين فيه بقواعد اللغة الفنيّة.ونثر علمى وهو الذى يتناول الحقائق العلمية والمخترعات عن طريق التقارير.أما النثر الفنى والذى نحن بصدد دراسته هو ذلك النوع الذى يُراعى فيه القواعد الفنيّة عند نظمه،ويرتبط بالتقدم والرقىّ.

---

[1] -تاريخ آداب اللغة العربية.جرجى زيدان.(راجعها شوقى ضيف).ج٢.ص١٢٩-١٣٠.

[2] -الإيجاز فى كلام العرب ونص الإعجاز.مختار عطية.دارالمعرفة الجامعية.ص١٥٠.

[3] -القاموس المحيط .الفيروزابادى.فصل النون باب الراء.ط٤.مطبعة دارالمأمون.١٣٣٢هـ.١٩١٣

[4] - الفن ومذاهبه فى النثر العربى.شوقى ضيف.مرجع سابق .ص١٢٩

ويتناول النثر الفنى فى الأدب العربى العديد من الموضوعات والتى من بينها الرسائل التى هى موضوع الدراسة،إذ تُعد الرسائل من أقدم فنون الأدب فى النثر،منذ أن تحول إلى صناعة فنيّة على يد عبدالحميد الكاتب،وقد كان للرسائل شأن عظيم فى أخريات العصر العباسى إذ نبغ فيها جمهرة من الأدباء استطاعوا بأقلامهم أن يصلوا إلى مرتبة الوزراء[1].وقد أدى تنافس هؤلاء الكتّاب فى كتاباتهم بالمؤرخين أن يضعوا هؤلأء الكتّاب فى طبقات ،لكل طبقة رجالها ومميزاتها الفنيّة فالمدرسة الأولى هى مدرسة الترسل الطبيعى ورائدها عبدالله بن المقفع،وتمتاز تلك المدرسة بأعتمادها على الترسل الطبيعى الذى عماده الإيجاز، كما تمتازبتنويع العبارات وتقطيع الجمل ،وتوخى السهولة والعناية بالمعنى،والزهد فى السجع،ومن أشهر رجالها الحسن بن سهل ،وعمرو بن مسعدة،وعمارة بن حمزة.[2]

أما المدرسة أو الطبقة الثانية فهى مدرسة التحليل والإستقصاء،والتى حمل لواءها الجاحظ منذ أوآخر القرن الثانى الهجرى،وقد استمدت هذه المدرسة أسلوبها من رافدين زاخرين هما :

١. طريقة عبدالحميد القائمة على الإزدواج والإطناب.

٢. طريقة سهل بن هارون القائمة على التحليل والتعليل

وقد سارت هذه المدرسة على نهج المدرسة السابقة فى كثيرمن كتاباتها،بيد أنها تمتاز بالإستطراد ومزج الجد بالهزل،بالإضافة إلى الإطناب لتحليل المعنى وإستقصائه،ومن أشهر رجالها الصولى وأبن قتيبة.[3]

أما المدرسة الثالثة فهى مدرسة السجع والبديع ،فقد غلب بأنواعه على رسائل هذه المدرسة،وصار صناعةً فنيّة لتجميل العبارة وزخرفة الأساليب،وإمام هذه المدرسة عبدالله بن العميد،ومن أهم خصائصها الإهتمام بالسجع القصير الفقرات،والتوسع فى الخيال والتشبيهات ،والإكثار من الإستشهاد ،والعناية بالمحسنات البديعية.[4]

---

[1] –نشأة النثر وتطوره.عمر الدسوقى.ج١.ط٢.دارالفكرالعربى.ص١٠٥.

[2] بلاغة الكتّاب فى العصر العباسى.محمد نبيه حجاب.ط١.المطبعة الفنية الحديثة.١٣٨٥هـ١٩٦٥م. ص١٣٥– ١٣٨.

٣–بلاغة الكتّاب.محمد نبيه حجاب .مرجع سابق.ص١٥٢–١٥٤.

٤– المرجع السابق.ص١٧٢–١٨٨.

أما المدرسة الرابعة فهى مدرسة الصناعة اللفظية ورائدها القاضى الفاضل، إذ تأصلت أساليبها على يديه وأستقامت طريقتها على طريقته،وقد سارت على نهج المدرسة الثالثة فـى السـجع والإكثار من المحسنات البديعية،الا أنها أكثرت من التورية والجناس حتى أصـبحت الكتابـة عبارة عن ألفاظ منمقة[1].

١- المرجع السابق.ص١٩٧

٢- مفهوم الرسائل:-

نجد أن المراسلة أو المكاتبه تعنى مخاطبة الغائب بلسان القلم،وفائدتها أوسع من أن تُحصر من حيث أنها ترجمان الجنان،ونائب الغائب فى قضاء حاجاته.

أما مفهوم الرسائل فى الإصطلاح فقد جاء فيها"الترّسل من ترسّلتُ أترسّلت ترسلاً،وأنا مرسّل،ولا يقال ذلك الا لمن يكون فعله فى الرسائل قد تكرر ...،ويقال ... :أرسل يُرسل أرسالاَ،وهو مرسل.والأسم الرسالة أو راسل يرسل مراسلة وهو مراسل،وذلك إذا كان هو ومن يراسله قد إشتركا فى المراسلة،وأصل الإشتقاق فى ذلك أنه كلام يُراسل به من بعد أو غاب،فأُشتق له أسم الترّسل والرسالة من ذلك.[1]

وطريقة المراسلة هى طريقة المخاطبة البليغة،مع مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه والنسبة بينهما،وللمراسلة خواص يمكن أن نجملها فى الآتى:السذاجة والجلاء،الإيجاز والملاءمة والطلاوة.

فالسذاجة تجعل الكلام فطرياً سليماً من شوائب التكلف،بعيداً عن بهرجة الكلام.أما الجلاء فهو العدول عن الكلام المغلق،والتشابيه المستبعدة،أما الإيجاز فهو تنقيح الرسالة من حشو الكلام وتطويل الجمل،ليبرزها وافية الدلالة على المقصود ،مقتصرةً على المحسنات القريبة المنال.[2]وفى ذلك يقول جعفربن يحيى البرمكى :"لو أستعطتم أن تكون كتبكم كالتوقيعات فافعلوا."[3]

والملاءمة نعنى بها تنزيل الألفاظ والمعانى على قدر الكاتب والمكتوب إليه،فلا تعطى خسيس الناس رفيع الكلام ،ولا رفيع الناس خسيس الكلام،على أنها تجعل الرسالة وتعابيرها مستعذبه الأوضاع حسنة الإرتباط.

---

[1] - نقد النثر.أبى الفرج قدامة بن جعفر.تحقيق.طه حسين وعبدالحميد العبادى.المطبعة المصرية. ١٩٣٦.ص٩٥.

[2]- جواهر الأدب.أحمد الهاشمى.مرجع سابق.ص٤٤-٤٥.

[3] - الصناعتين.أبى هلال العسكرى.تحقيق على محمد البجاوى ومحمد الفضل إبراهيم.ط١.مطبعة عيسى البابى وشركاؤه.١٣٧١هـ.١٩٥٤م.

أما الطلاوة فهى تكسو الكلام رونقاً وإشراقاً بجودة العبارة ،وسلامة المعانى،وسلاسة الألفاظ وتجعله بذلك أحسن موقعاً عند سامعه[1].

وللرسائل أساليب تُفتتح بها وتُختتم،فمما يُراعى فى الإفتتاحات البسملة،والحمدلة ،والتشهد،والصلاة على النبىّ،والسلام.ولفظة "أمّا بعد"،والأدعية التى تتوسط ظهور الرسائل أو تبدأ بها،ويراعى فيها منزلة المكتوب إليه.

ومن أمثلة ما كان يصدر عن الخلفاء فى رسائلهم أن تتفتح الرسالة بلفظ "من فلان إلى فلان"أو "لفلان من فلان" أو " أمّا بعد"أو " كتبت" أو " أنا" أو " كتابى" أو " أُنهى إلينا كذا" ،هذه المقدمات نجدها خاصةً فى الرسائل الديوانية،أمّا الإخوانية فإن ضبط ظهورها وإبتداءاتها غير ممكن وذلك لإختلاف مذاهب الكتّاب فيها.

وإذا نظرنا إلى أختام الرسائل،فإنه عادةً ما يكون بآية قرآنية أو بلفظ " لا حول ولا قوة إلا بالله" أو "إن شاء الله" أو " السلام".

ومن الرسائل ما هو إبتداء ومنها ما هو جواباً فيه ما يدل على الوصول مثل "وصل كتاب أخى مخبراً بكذا" ويحسن ذلك فى أول الرسالة الجوابية.

ومن تمام البلاغة فى الرسائل أن يضمّن الكاتب فى مقدمتها إشارة إلى الغرض،وأن ينسق بين المطالع والخواتيم وما يعرض بينهما من موضوعات.

وتتنوع أساليب الرسائل ،فنجد منها الموجز المختصر،والمتوسط المعتدل،والمطنب المستفيض.أمّا الإيجاز فإنه يصلح لمخاطبة الملوك وذوى الهمم العالية والإطناب يصلح للمكاتبات الصادرة فى الفتوحات ونحوها مما يُقرأ فى المحافل،ومخاطبة من لا يصل إليه المعنى إلى فهمه بأدنى أشارة،بيد أننا نجد فى كل ذلك أن الإيجاز فى الرسائل هو الأفضل دائماً،وذلك إذا لم يكن للإطناب مبرراته.[2]

أمّا عن مفهوم الرسائل فى اللغة:فيقال تراسل القوم أى أرسل بعضهم إلى بعض رسول أو رسالة.

والرّسل :محركة القطيع من كل شئ، وبالكسر الرفق والتؤدة كالرسالة والترّسل.

---

[1] – جواهر الأدب.احمد الهاشمى.مرجع سابق.ص٤٥.

[2] –فى النثر العربى–قضايا وفنون.محمد يونس عبدالعال.الشركة المصرية للنشر.ط١. ١٩٦٩ ص١٦٤–١٦٩.

وأرسلوا كثُر رسلهم كرسلّوا ترسيلا،وصاروا ذوى رسل،وبالفتح السهل من السير ،ويقال ناقةً مرسال أى سهلة السير.[1]

وكذلك جاء فى العين،الرُسل:الذى فيه إسترسال ولين وهى تذكّر وتؤنث.والإسترسال إلى الشئ كالإستئناس والطمأنينة.والترسّل فى الأمر كالتمهل والتوقر.[2]

وجاء فى لسان العرب عند إبن منظور:الإرسال التوجيه ،وقد أُرســل إليه،والأســم الرســالة والرسول والرسيل والأخيرة عن ثعلب إذ يقول:

لقد كذّب الواشون ما بحت عندهم

بليلى،ولا أرسلتهم رسيل

ويُقال هى رسولك،وتراسل القوم،وأرسل بعضهم إلى بعض،ففى التنزيل العزيز"أنّا رسول رب العالمين" ولم يقل رُسل لأن فعولاً وفعيلا يستوى فيها المذكر والمؤنث والواحد والجمع.[3]

أمّا مفهوم الرسائل إصطلاحاً فقد جاء فيها الترسّل من ترسّلت أترسّل ترسّلاً،وأنا مترسّــل،ولا يُقال ذلك إلا لمن يكون فعله فى الرسائل قد تكرر.ويُقال:أرسل،يُرسل إرســالاً وهــو مرسَــل والأسم الرسالة أو راسل يُرسل مراسلة فهو مراسل،وذلك إذا كان هو ومن يراسله قد أشــتركا فى المراسلة.وأصل الإشتقاق فى ذلك أنه كلام يراسل به من بعُد أو غاب،فاُشــتق لــه أســم الترسّل والرسالة من ذلك.[4]

وقد تعددت أنواع الكتابه فى هذا العصر،فمنها الرسائل الديوانية أو الرســميّة الإداريّــة التــى تصدر عن دواوين الحكام وتعنى بأمور الدولة وشئونها السياسية ،لذا يحرص فيها علــى دقــة المعلومات ومراعاة الرسوم المتعارف عليها فى المكاتبات ذات الصيغة الرســمية،ومن هــذا النوع من الرسائل نجد العهود والبيعات والمناشير والفتوحات والدعوة على الطاعــة والحــث على الجهاد[5].

---

[1] -القاموس المحيط.مجد الدين الفيروزأبادى.ج٣.فصل الراء باب اللام.مطبعة السعادة.ص١٨٤.

[2] - كتاب العين.الخليل بن أحمد الفراهيدى.باب السين والراء.تحقيق مهدى المخزومى وإبراهيم السامرائى.مكتبة الهلال.المجلد ٧.ص ٢٤٠ – ٢٤١.

[3] - لسان العرب.أبى الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور.ط١.ج١١.دارصادر.بيروت.مادة " أرسل" ص ٢٨٣- ٢٨٤.

[4] -نقد النثر.أبى الفرج قدامة بن جعفر.حققه طه حسين وعبدالحميد العبادى.مطبعة الشركة المصرية.١٩٣٩. ص ٩٥.

[5] –فى النثر العربى قضايا وفنون.محمد يونس عبدالعال.مرجع سابق .ص ١٦٢.

أما من ناحية الموضوعات التى تناولتها تلك الرسائل الديوانية ،نجد تصريف أعمال الدولةوما يتصل بها،أيضاً تناولت بعض الأغراض التى كان يتناولها الشعرمن تهنئات وتعازى وشكر .
ونجدهم قد تفننوا فى ذلك بالإضافة إلى التحميدات التى كانت تصدر بها رسائلهم الديوانية[1].
وقد كانوا يتخيرون للإنشاء الديوانى بلغاءالكتّاب،إذ كان لهؤلاء الكتّاب من وراء ذلك رزق واسع،وجاه عريض،وتفننوا فى الكتابه فيها حتى أنه لا يظهر انه قد حدث تغيير على الأسلوب الديوانى بعد العباسيين[2].
ونجد أن كثرة الدواويين وإنتشارها قد ساعد على رقىّ الكتابه الديوانية وإزدهارها،وقد أدى تفنن الكتّاب فيها إلى أن تبلغ قمتها فى العصر العباسى الثانى ،وأيضاً أدى تنافسهم فيها إلى إلمامهم بكل الثقافات وفى مقدمتها الثقافة اللغوية[3].
ويمتاز الإنشاء فى الرسائل الديوانية ببسط الكلام،ويختلف الأسلوب فيها بأختلاف الأغراض،ففى رسائل التهانى مثلاً يذهب الكاتب إلى بسط القول فى شكر الله وتعظيم النصر،وذكر ما يتصف به الممدوح وغير ذلك مما يقتضيه المقام .
وهناك قواعد عامة ذكرها القلقشندى ليلتزم بها الكاتب فى مكاتباته الديوانية يمكن أن نجملها فى الآتى:

١. أن يأتى الكاتب فى أول المكاتبه بحسن الإفتتاح المطلوب فى سائر أنواع الكلام من نظم ونثرمما يوجب التحسين،ليكون داعية الإستماع.
٢. أن يأتى فى المكاتبة المشتملة على المقاصد الجليلة بمقدمة يصدّر بها تأسيساً بما يأتى به فى مكاتباته.
٣. أن يفرق بين الالفاظ المستعملة فى المكاتبات فيضع كلٍ فى موضعة.
٤. أن يعرف مواضع الدعاء فى المكاتبات،فيدعوا بكل دعاء فى موضعه.
٥. أن يعرف ما يناسب المكتوب إليه من الألقاب فيعطيه حقه منها.
٦. أن يراعى مقاصد المكاتبات،فيأتى لكل مقصد بما يناسبه.

[1] – العصر العباسى الأول.شوقى ضيف.ط٦.ص٤٨٦.
[2] –تطور الأساليب النثريةفى الأدب العربى.أنيس المقدسى.ط٣.دار العلم ببيروت.١٩٦٥. ص٢٢٢.
[3] –العصر العباسى الثانى.شوقى ضيف.ط٣.ص.٥٥٠.

٧. أن يعرف مقدارفهم كل طبقة من المخاطبين فى المكاتبات،فيخاطب كل أحد بما يناسبه من اللفظ،وما يصل إليه فهمه من الخطاب.
٨. أن يراعى رتبة المكتوب عنه والمكتوب إليه،فيعبر عن كل واحد منهما فى كل مكاتبه بما يليق به ،ويخاطب المكتوب إليه بما يقتضيه مقامه.
٩. أن يراعى مواقع الآيات والسجع ،وأبيات الشعر عند الإستشهاد بها أثناء المكاتبات،وأن يأتى فيها بحسن الأختام.[١]

ويلحق بهذا النوع من الرسائل الديوانية ،جنس آخر من الكتابة يُعرف بالتوقيعات، ويُراد بها التعليق على الرسائل الوارده إلى الديوان بما يناسبها،مع التعليل لذلك بآية قرآنية أو حكمة سائرة أو قول محكم من إنشاء الكاتب بأسلوب موجز[٢].

وهى باب أدبى عُنى به الفرس قبل الإسلام،وذلك نسبةً لعنايتهم بالبلاغة .فقد كانوا يرفعون إلى ولاة أمورهم أوراقاً تتضمن طلباً لشئ،أو شكوى من شئ،وتطلق عند العرب قديما"قِصَصا"،وكانت تُسمى رقاعاً لصِغر حجمها،وهى ما تُعرف فى وقتنا الحالى "بالعرائض". وقد كانت هذه القصة ترفع إلى الملك أو من يليه تبعا لموضوعها،وقد جرت عادة الملوك والولاة من الفرس أن يوقعوا عليهابعبارة بليغة أو حكمة حكيمة،يتخير لها أحسن اللفظ وأجود المعنى.

وقد نُقل إلى أدبنا العربى الشئ الكثير من توقيعات ملوك الفرس،وذلك فى مثل توقيع أحدهم عندم رفع رجل إلى كسرى بن قباذ رقعة يخبره فيها أن جماعةً من بطانته قد فسدت نياتهم ،فوقع فى أسفل كتابه:"إنما أملك ظاهر الأجسام لا النيات،وأحكم بالعدل لا الهوى،وأفحص عن الأعمال لا السرائر."

وبذلك أنتقلت التوقيعات وسال سيلها فى العصر العباسى،إذ أن معظم الكتّاب والوزراء كانوا فرساً،فساروا على سنن أبائهم ،وأنشئوا فيما بعد ديواناً أطلقوا عليه ديوان التوقيع[٣] .

ومن أنواع الرسائل أيضاً فى العصر العباسى نجد الرسائل الإخوانية ،بيد أننا لم نظفر فى الدراسات التى بين أيدينا ببحث مستقل فى تطور مصطلح الإخوانيات من الناحية الأدبية،فقد

---

[١] ـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء.أبى العباس أحمد بن على القلقشندى.دار الثقافة والإرشاد القومى.٨٢١هـ.١٤١٨م.ج٦.ص ٢٧٤-٣١٤.
[٢] ـبلاغة الكتّاب فى العصر العباسى.محمد نبيه حجاب .مرجع سابق.ص٩٥.
[٣] ـضحى الإسلام.أحمذ أمين.ج١.ط١٠.دار الكتاب العربى بيروت.ص١٨٧-١٨٨.

ظل مجال تنازع بين التحليل الإجتماعى والتحليل الأدبى،وإن كان قد أُستعمل فى الأصل للتعبير عن علاقة إجتماعية حضرية،فإنه تطور فى خطاب النقّاد وكتّاب الأدب القدامى،وتمخض للدلالة على مجال من مجالات التخاطب بين الشعراء والكتّاب المتكافئين فى المرتبة الإجتماعية.

وقد جاوز التخاطب الإخوانى أغراض المخاطبات الإخوانية فى المدلول الأصلى،أى الأغراض الناظمة لمعانى الأخوة والصداقة إلى أغراض أخرى تشمل جميع مشاغل الأدباء بوجه خاص،ومشاغل الطبقات الخاصة بوجه عام،وصارت الإخوانيات منذ مطلع القرن الثالث الهجرى جنساً من أجناس الحوار المكتوب[1].

فالإخوانيات تضم التهانى والتعازى والملاطفة والتهادى والشفاعات والإسترضاء والإستعطاف والإعتزار والشكوى والشكروالعتاب والسؤال عن حال مريض

ونجد أن هذه الرسائل الإخوانية قد نمت وتطورت بصورة واضحة فى العصر العباسى،ويرجع ذلك إلى أن هذه الرسائل كانت تصور عواطف الفراد ومشاعرهم،إذ أنها كانت تؤدى فى العصور السابقة بواسطة الشعر،أما فى هذا العصر فقد زاحم النثر الشعرويرجع ذلك إلى أمرين أولهما:ظهور طبقة ممتازة من الكتّاب الذين يجيدون فيه،وثانيهما:مرونة النثر ويسر تعابيره وقدرته على تصوير المعانى فقد أتاح له ذلك قدرة لا تتاج للشعر،وذلك لإرتباطه بقواعد موسيقية معقدة[2].

ونجد أن هذه الرسائل أيضاً كانت تعرف برسائل الأشواق،وذلك لدورانها بيت الأقارب والأصدقاء،وفى أنها تكشف عن مكنون الوداد،وسرائر الفؤاد،ولا حرج على الكاتب فيها فى بسط الكلام عن أحواله،وتنفرد تلك الرسائل عن غيرها بأن كاتبها يطلق لقلمه العنان فيها،ويتجافى عن الكلفة،ولا بدّ ان يراعى فيهامقتضى الحال،والإعتصام بركن الفطِنة أخذاً بقول أبى الأسود الدؤلى:

لا ترسلن رسالةً مشهورة

لا تستطيع إذا مضت إدراكها[3]

[1] ـ تطور الأساليب النثريةفى الأدب العربى.امين المقدسى.مرجع سابق.ص٢٢٣.
[2]ـ العصر العباسى الأول.شوقى ضيف.مرجع سابق.ص٤٩١.
[3] – جواهر الأدب.أحمد الهاشمى.مرجع سابق.ص٤٦.

ويلحق بالنوعين السابقين من أنواع الكتابة، نوع ثالث يعرف بالكتابة الأدبية،فهو لغة الإنشاء التى تثير العاطفة بجمالها،وتحرك المشاعر ببلاغتها،وتُصاغ فيها الحقائق العلميّة بأسلوب أدبى تخفيفاً لحدتها،وتلطيفاً لجفافها،والغرض الأساسى من هذا النوع قوة التأثير فى نفس السامع،لتنفعل نفسه بمثل ما إنفعلت به نفس الكاتب.[1]

ولا تختلف تلك الرسائل فى أسلوبها عن أسلوب الأنشاء الديوانى إذ أن كثيراً من كتّابها من أرباب الدوايين،ويكثر فيها أستخدامهم للسجع والبديع.[2]

أما الرسائل الأدبية الخالصة فهى التى تتناول خصال النفس ألإنسانية وتصور أهواءها وأخلاقها،وتوضح لها طريقها إلى الخير حتى لا تسقط فى مهاوى الشر.[3]

وحتى تكتمل الصورة وتتضح أكثر لتلك الأنواع من الرسائل،كان لا بدّ أن نفرد لها جانباً من الدراسة لنتبيّن طريقة الكتّاب فى صياغتها والتفنن فيها،هذا وقد خُصص الباب الأول من الدراسة لدراسة تلك الأنواع.

---

[1] –-بلاغة الكتّاب فى العصر العباسى.محمد نبيه حجاب .مرجع سابق.ص٨٨.

[2] – تطور الأساليب النثريةفى الأدب العربى.أنيس المقدسى.مرجع سابق.ص٢٢٣

[3] – العصر العباسى الأول.شوقى ضيف.مرجع سابق.ص ٥٢.

الباب الأول

أنواع الرسائل فى العصر العبّاسى

الفصل الأول:-

الرسائل الديوانيّة:-

المبحث الأول :- رسائل البيعات

1. رسالة الخميس لتأييد الدعوة العباسية
2. رسالة البيعة للمنتصر بالله
3. رسالة أبى جعفر بالبيعة للمهدى
4. رسالة المتوكل بالبيعة لبنيه

الرسائل الديوانية:-

ازدهرت المدينه فى عصر نفوذ الخلفاء إزدهاراً بالغاً،وأتسعت أعمال الدولة إتساعاً ظاهراً،وذلك بسبب تلاقى الثقافات ،وكذلك نجد أن تطور أنواع العمران وإعتماد العباسيين على الفرس فى إدارة شؤون الدولة أدى إلى إقتباس كثير من أنظمة الحكم عن الفرس وإلى إتساع نطاق الجهاز الإدارى للحكومة الإسلامية،فقد إستحدثت الوزارة كما أستحدثت دواوين جديدة،وتطورت نظم العمل فيما كان موجوداً من دواوين.[1]

فأنشأ الخلفاء العباسيون الكثير من الدواوين التى تقوم بانجاز الأعمال المتعددة ،وخصوا كل ديوان منها بعمل من الأعمال ،وأشرف على تنظيم هذه الدواوين الوزراء الفارسيون وأتباعهم ممن نقلوا النظام الكسروى فى الإدارة وطبقّوه فى دولة الخلافة.[2]

فالوزارة كنظام إدارى أخذه العباسيون مع قيام دولتهم من الفرس ،وإن كانت الكلمة عربية الأصل ومضمونها معروف من قبل عند العرب.

فالوزير هو الذى يلجأ الخليفة إلى رأيه وتدبيره،أو هو الذى يقوى به الخليفة كقوة البدن للظهر،وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم على لسان موسى عليه السلام بقوله "واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى أشدد به أذرى وأشركه فى أمرى"[3]

وفى أوائل الدولة العباسية أصبح الوزير بذلك على رأس الجهاز الحكومى[4].وهكذا اتسعت الدواوين فى الدولة العباسية باتساع الأعمال وتنوعت بتنوع مطالب الدولة.

والكتابة فى ديوان الرسائل كانت تجد العناية والأهتمام من كل جانب،ونعنى بهذه الكتابة،الكتابة الرسمية الإدارية ،والتى تصدر عن دواوين الحكام وتُعنى بأمور الدولة وشؤونها السياسية ،ولذا يحرص فيها على دقة المعلومات ومراعاة الرسوم المتعارف عليها فى المكاتبات ذات الصبغة الرسمية.[5]

---

[1] -صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية .أحمد السيد دراج.الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى.مكة المكرمة.ص ٣٤ .

[2] -الأدب العربى وتاريخه فى العصر الأموى والعباسى الأول.إبراهيم رفيدة.ط ١ .القاهرة:مكتبة القاهرة ١٩٦٦. .ص ٣٠٦ .

[3] - سورة طه.آية رقم (٢٩)

[4] - صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية .أحمد السيد..مرجع سابق .ص ٣٦ .

[5] - فى النثر العربى.محمد يونس عبدالعال.مرجع سابق .ص ١٦٢ .

وقد نشطت الكتابة الديوانية فى العصر العباسى نشاطاً واسعاً،وتوافر عليها الكثير من أصحاب الأقلام يحدوهم فى ذلك ما كانت تدره عليهم من أرزاق ،حتى أصبحت فى هذا العصر الجسر الذى يصل من خلاله الكاتب إلى أرفع المناصب.

والناظر لموضوعات الرسائل الديوانية فى عصر بنى العباس كما أسلفنا، يلاحظ أنها كانت تتناول تصريف أعمال الدولة وما يتصل بها من تولية الولاة،وأخذ البيعة للخلفاء،وولاة العهد،وأخبار الولايات وأحوالها ،ووصايا الوزراء والحكّام فى تدبير السياسة والحكم.

وأحياناً نجد أن هذه الرسائل الديوانية كانت تتناول بعض الأغراض التى كان يتناولها الشعر من تهنئات وتعزيات وشكر ،مما قد كانت تتناوله الرسائل الأخوانية من تلك المعانى التى تدل على المودة والإخاء.[1]

أمّا من حيث الأسلوب الذى أختصت به الرسائل الديوانية فنجد أنه فى أول الأمر كان خالياً من التهويل والمبالغات والخيال الخصب إلى حدٍ كبير،فلما أفتتن الكتّاب بأساليبها وبدأوا فى تجويدها نجد أن الخيال قد لعب دوره،وازدانت بالمحسنات،وأطنبوا حيث يجب البسط والتفصيل،وأوجزوا حيث يقتضى المقام.

وسنقف فى هذا الفصل على بعض الرسائل الديوانية وأخذ نماذج منها فى جميع الأمور التى كانت تصدر فيها ،حتى نتبين أسلوب العباسيين فى مكاتباتهم.

---

[1] – العصر العباسى الأول.شوقى ضيف.مرجع سابق .ص ٤٦٥ –٤٦٨ .

المبحث الأول :

رسائل البيعات:-

١- رسالة الخميس لتأييد الدعوة العباسية :-

جرت العادة لدى خلفاء الدولة العباسية أن يعهدوا إلى أبلغ كاتب بكتابة رسالة ضافية في تأييد العوة العباسية عامّة ،والخليفة القائم بأمر الخلافة خاصة،فيذكرون بعد التحميد أن بني العباس هم أحق الناس بالخلافة ،ثم يشيدون به ويعددون مناقبه ،وأنه أولى الناس بها.

وكانت مثل هذه الرسائل تلقى بخراسان فى جمع من الناس،يحشدون ليجددوا ولاءهم لبني العباس ،ويبايعون الخليفة.

وهذه الرسالة من الرسائل المجمع على جودتها والتى كتبها أبوجعفر أحمد بن يوسف ليجمع بها القلوب على محبة المأمون إذ يقول فيها:

"من عبدالله الإمام المأمون أمير المؤمنين إلى المبايعين على الحق ،والناصرين للدين،من أهل خراسان وعندهم من أهل الأسلام:

سلام الله عليكم ،فإن أمير المؤمنين يحمد اليكم الله الذى لا إله إلا هو،ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله .أما بعد:فالحمد لله القادر القاهرالباعث الوارث،ذى العز والسلطان ،والنور والبرهان،فاطر السموات والأرض وما بينهما،والمتقدم بالمن والطول على أهلها،قبل إستحقاقهم لمثوبته بالمحافظة على شرائع طاعته،الذى جعل ما أودع عباده من نعمته دليلاً هدياً لهم إلى معرفته،بما أفادهم من الألباب التى يفهمون بها فصل الخطاب.

ولم تزل رسل الله عزّ وجلّ تترى بالنور الساطع والبرهان القاطع،لا يجدون لما يوردون عليهم من الحق مردا ولا مدفعا،لقول الله عزّوجلّ " ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم ،فجاءوهم بالبينات ،فانتقمنا من الذين أجرموا ،وكان حقاً علينا نصر المؤمنين."[١] .فلم يجد المكذبون مساغاً إلا وقع ما أقيم عليهم من لازم الحجة إلا المعاندة والمجاحدة ،وكان أنبياء الله صلوات الله عليهم يبعثون فى أعصار الحقب نذراً للأمم حتى ختمهم الله عزّوجلّ بالنبى الأمى محمد صلى الله عليه وسلم ،فبعثه فرداً وحيداً لاعاضد ولا رافد إلى قوم يعبدون

---

[١] - سورة الروم.آية رقم (٤٧)

أصناماً بكماً ،وحجارةً صماً فكذب به القوم الذين بعث فيهم أول ما دعاهم ،ورامـــه ملـــوك أقطار الأرض بتوجيه الأجناد ،ومرافدة القوم والعتادوهو يدعو إلى سبيل ربه بما أمره به إذ يقول:" أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنه وجادلهم بالتى هى أحسن."[1]ثم جاهـد بمن أطاعه من عصاه ،وبمن اتبعه من خالفه حتى أعزّ الله كلمته ،وأظهر دعوتـــه ،وأكمـل لعباده دينهم الذى أرتضى لهم ،فلما اختار الله ما لديه ،واختصه بما عنده من النعـيم المقـيم ،والجزاء الكريم بعد استقامة الدين ودخول الناس فيه أفواجاً ،خلفـه ....إذ خـتم بــه الأنبياء ....بالبررة والنجباء من أدانيه ولحمته ،لإقامة الشرائع المفترضة ،وإنفاذ حكم الله المنزل ،وإقتفاء السنة المأثورة ،وحفظاً له قرابته ومجيبى دعوته ،وإتماماً لما أوجب له مـن الفضيلة ،وقريب الوسيلة ،وإنجازاً لما وعده من إظهار ما بعثه بـــه دينـــه الـــذى أصـــطفاه وارتضاه.

وكان إختيار أولى الفضل من لحمته وعصبته لإرث خلافته من عظيم الزلف التى رغب إلى الله فيها أنبياؤه وفيما أقتصّ فى منزل وحيه ،وأختص تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما أمره به من مسالة أمته تصيير مودته فى القربى،جزاءه ممن تبعه على الرسالة ،وهـداه من الضلالة ،فكانت فضيلتهم عزيمة من الله عزّوجلّ،دون طلب رسول الله صلى الله عليـــه وسلم،ألزمه تأديته إلى خلقه ،والزمهم أداءه فقال عزّوجلّ " قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى "[2] ودل بما أخبر به وأظهره من تطهيره اياهم وإذهابـــه الـــرجس عـــنهم علـــى إصطفائه لهم فقال تعالى:"إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيـــرا"[3] وكان مما أوجب لهم به حق الوراثة فى محكم تنزيله قوله تعالى:"وأولو الأرحـــام بعضـــهم أولى ببعض فى كتاب الله "[4] .

ثم قرن طاعتهم بطاعته فقال :"أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولىّ الأمر منكم"[5] .وأحلهم من النباهة والصيت فى المحل الذى أعلى به أمرهم ،ورفع به ذكرهم ،لما أحب من التبيين فـــى الدلالة عليهم ،والهداية إليهم فإنه يقول عزّوجلّ :"يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر"[1].

[1] – سورة النحل.آية رقم (١٥٢)
[2]- سورة الشورى.آية رقم(٣٢)
[3] –سورة الأحزاب.آية رقم(٣٣)
[4] –سورة الأنفال.آية رقم(٧٥)
[5] –سورة النساء.آية رقم(٥٩)

ثم ختم هذه الرسالة المطولة بقوله :وأمير المــؤمنين يســأل الله الــذى دل علــى الــدعاء تطولاً،وتكفل بالأجابة حتماً فقال عزّوجلّ:"أدعونى أستجب لكم"[2] .أن يجمع على رضاه الفتهم ،وأن يصل على الطاعة حبلهم ،وأن يمتعكم بأحسن ما أودعكم من مننه ،ويوزعكم عليها من شكره ما يواصل لكم مزيده وأن يكفيكم كيد الكافرين ،وحسد الباغين ،ويحفظ أمير المــؤمنين فيكم بأفضل ما حفظ به أمام هدى فى أوليائه وشيعته،ويحمل عنه ثقل ما حمله منكم ،وبــالله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوى من جزاءكم بالحسنى وحملكم على الطريقة المثلى،وبــه يرضى ناصراً ووليا،وكفى بالله وليا،وكفى بالله نصيرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته."[3]

مال الكاتب فى هذه الرسالة إلى الإطناب ،وقد دعاه الحال هنا إلى مثــل هــذه الإطالــة،لأن رسائل العباسسين والتى عادةً ما كانت تقرأ على الملأ يغلب عليها هــذا الطابع،وقــد بــدأها الكاتب بقوله :"من عبدالله الأمام المأمون .... " وهى من المقدمات التى كانت تبــدأبها كتب المنشورات والعهود ،ثم أتى بالسلام والبعدية.

ثم بدأ يبين للأمة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أُرسل بالبينات حتى يهتدوا ،وكأنه يقــارن أن هذا الخليفه فاعل فيهم ما فعله النبى صلى الله عليه وسلم ،ثم يبين لهم أيضــاً أن طاعــة الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعة الله.وبذلك يكون قد قرن طاعة الخليفــة بطاعــة الله ورسوله.

ونجد أنه قد بدأها أيضاً بمجموعة من التحميدات التى يُظهر فيها آيات الخالق وآلائه وقدرته وإثبات وجوده متمثلاً بالعديد من الآيات القرآنية.

وينتقل بعد التحميدات إلى الحديث عن الأنبياء والمرسلين وفى مقدمتهم أبوالبشر،وينتهى إلى ذكر تكريم المولى سبحانه وتعالى لبنى آدم ،ثمّ يستطرد الكاتب إلــى الحــديث عــن خــاتم المرسلين ،ويخلص من هذه المقدمات الطويله فى براعة تشهد له باللباقة والقدرة إلى الحديث عن آل البيت المطهرين :"إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس آل البيت...الخ".

ويعمل الكاتب على تطويع بعض الآيات ليخلعها على بنى العباس،ولا يكتفى بذلك بل يوردها فى سياق يفهم منها أن بنى العباس هم ورثة النبىّ صلى الله عليه وسلّم.

---

[1] – سورة البقرة .آية رقم(١٨٥)

[2] –سورة غافر.آية رقم (٦٠)

[3] – بلاغة الكتّاب.محمد نبيه حجاب.مرجع سابق.ص ٢٤٥ –٢٤٧ .

وهو يدلل فى هذه الرسالة أهل خرآسان ويجعلهم فى مقدمة رعيّة الخليفة ويفضـلهم علـى جميع الناس ويتجلى ذلك فى قوله :"إنكم أولى بحسن الطاعة وسرعة الإجابة."
ومن حُسن تفضيله لهم أن الخليفـة يخصـهم بالـدعوات "وأميرالمـؤمنين يسـأل الله–وأن يكفيكم...الخ"[1]
فالكاتب فى هذه الرسالة وإن سلك فيها أسلوباً أدبياً مطلقاً ،إلا أنها تُعتبر سياسية متعصبة.
ثم ختم هذه الرساله بدعاء أمير المؤمنين للأمة بالتوفيق والسداد وأتمها بالسلام .
فالناظر إلى هذه الرساله يجد أن الكاتب لم يتبع فيها أسلوباً معيناً،وأنما أطلـق نفسـه علـى سجيتها فجاءت معانيه مليئةٌ بالعبر ،وأساليبه مطلقة من كل قيد ،فاحياناً يجئ أسلوبه مرسـلاً مع الإزدواج الذى يحسن به وقع الكلام وذلك فى مثل قوله:"ثم جاهد بمن أطاعه من عصـاه ،وبمن أتبعه من خالفه حتى أعز الله كلمته ."
وأحياناً يجئ مسجوعاً وذلك مثل قوله:"جزاؤه ممن تبعه على الرساله، وهداه من الضلالة."
ولقد أكثر الكاتب من الإقتباس من القرآن الكريم فى هذه الرساله ،وذلك فى مثل قوله:"ولقـد أرسلنا من قبلك رسـلاً إلـى قـومهم ...." وقولـه تعـالى:"أدع إلـى سـبيل ربـك بالحكمة........."

[1] –جواهر الأدب.أحمد الهاشمى.مرجع سابق.ص٤٦.

٢- رسالةالبيعة للمنتصربالله:-

توفى المتوكل على الله سنة (٢٤٧هـ)،فبويع إبنه للخلافة من يومه فكانت نسخة البيعة التى أُخذت له على النسق الآتى :-

" بسم الله الرحمن الرحيم = تبايعون عبدالله المنتصر بالله أمير المؤمنين،بيعة طوع وإعتقاد ،ورضا ورغبة ،باخلاص من سرائركم ،وإنشراح من صدوركم ،وصدق من نياتكم ،لا مكرهين ولا مجبرين ،بل مقرين عالمين بما فى هذه البيعة وتأكيدها ،من طاعة الله وتقواه ،وإعزاز دين الله وحقه ،ومن عموم صلاح عباد الله ،وإجتماع الكلمة ،ولم الشعث وسكون الدهماء*[١]،وأمن العواقب ،وعِز الأوفياء ،وقمع الملحدين ،على أن محمداً الأمام المنتصر بالله عبدالله وخليفته المفترض عليكم طاعته ومناصحته والوفاء بحقه وعقده،لا تشكّون ولا تدهنون *،ولا تميلون ولا ترتابون ،وعلى السمع له والطاعة ،والمسالمة والنصرة،والوفاء والإستقامة ،والنصيحة فى السر والعلانية والخفوف *،والوقوف عند كل ما يأمر به عبدالله الأمام المنتصر بالله أمير المؤمنين ،وعلى أنكم أولياء أوليائه،وأعداء أعدائه من خاص وعام ،وأبعد وأقرب،وتتمسكون ببيعته بوفاء العقد ،وذمة العهد،سرائركم فى ذلك مثل علانيتكم ،وضمائركم مثل ألسنتكم ،راضين بما يرضاه لكم أمير المؤمنين فى عاجلكم وآجلكم ،وعلى إعطائكم أميرالمؤمنين بعد تجديدكم بيعته هذه على أنفسكم،وتأكيدكم إياها فى أعناقكم ،صفقة إيمانكم راغبين طائعين عن سلامة من قلوبكم واهوائكم ونياتكم،وعلى أن لا تسعوا فى نقض شئ مما أكد الله عليكم ،وعلى أن لا يميل بكم مميل فى ذلك عن نصرة وإخلاص،ونصح وموالاة ،وعلى أن لا تبدلوا ولا يرجع منكم راجع عن نيته وانطوائه إلى غير علانيته،وعلى أن تكون بيعتكم التى أعطيتم بها ألسنتكم وعهودكم بيعة يطلع الله من قلوبكم على إجتبائها*[٢]وإعتقادها،وعلى الوفاء بذمته بها ،وعلى إخلاصكم فى نصرتها وموالاة أهلها،لا

---

* الدهماء : عامة الناس
* تدهنون : إظهار خلاف ما يُضمر
* الخفوف : سرعة السير
* إجتباه : إختاره
* دغل : فساد
*إستشرفه حقه :ظلمه

يشوب ذلك منكم دغل* ولا إدهـان ،ولا إحتيـال ولا تـأوّل،حتى تلقـوا الله فـى مـوفين بعهده،ومؤدين حقه عليكم،غيرمستشرفين *
ولا ناكثين،إذا كان الذين يبايعون منكم أميرالمؤمنين إنما يبايعون الله،يد الله فوق أيديهم فمـن نكث فأنما ينكث على نفسه،ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً،عليكم بـذلك وبما أكدت هذه البيعة فى أعناقكم،واعطيتم بها من صفقة إيمانكم،وبمـا أُشـترطت علـيكم بها،ومن وفاء ونصروموالاة وإجتهاد ونصح،وعليكم عهد الله إن عهده كان مسئولا،وذمة الله وذمة رسوله ،وأشد ما أُخذ على أنبيائه ورسله وعلى أحد من عباده مـن متأكـد وثائقـه،أن تسمعوا ما أخذ عليكم فى هذه البيعة ولا تبدلوا ،وأن تطيعوا ولا تعصـوا،وأن تخلصـوا ولا ترتابوا،وأن تتمسكوا بما عاهدتم عليه تمسك أهل الطاعة بطـاعتهم ،وذوى العهـد والوفـاء بوفائهم وحقهم،لا يلفتكم عن ذلك هوى ولا مميل،ولا يزيغ بكم فيه ضلال عن هـدى،باذلين فى ذلك أنفسكم واجتهادكم،ومقدمين فيه حق الدين والطاعة ،بما جعلتم على أنفسكم ،لا يقبـل الله منكم هذه البيعة الا الوفاء بها ،فمن نكث منكم ممن بايع أميرالمؤمنين هذه البيعة عما أكد عليه مسراً أو معلناً أو مصرحاً أو محتالاً،فأدهن فيما أعطى الله من نفسه ،وفيما أُخذت بـه مواثيق أميرالمؤمنين وعهود الله عليه،مستعملاً فى ذلك الهويسنى دون الجد ،والركون إلـى الباطل دون نصرة الحق،وزاغ عن السبيل التى يعتصم بها أولوا الوفاء منهم بعهودهم،فكـل ما يملك كل واحد ممن خان فى ذلك بشئ نقض عهده،من مال أو عقار أو سائمة أو زرع أو ضرع صدقة على المساكين فى وجوه سبيل الله ،محرم عليه أن يرجع شئ من ذلـك إلـى ماله،عن حيلة يقدمها لنفسه أو يحتال بها،وما أفاد فى بقية عمره من فائدة مال يقل خطرها أو يجل قدرها ،فتلك سبيله إلى إن توافيه منيته،ويأتى عليه أجله،وكل مملوك يملكه اليـوم إلـى ثلاثين سنة من ذكر أو انثى أحرار لوجه الله،ونساءه يوم يلزمه الحنث ومن يتزوج بعـدهن إلى ثلاثين سنة طوالق البته طلاق الحرج لا مثنوية* فيه ولا رجعة،[1]وعليه المشى إلى بيـت الله الحرام ثلاثين حجة لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها ،وهـو بـرئ مـن الله ورسـوله والله

١- مثنوية : أى إستثناء

*٢-الحجة : السنة ٣- الصرف :التوبة ،العدل : الفدية

ورسوله منه بريئان،ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا*،والله عليكم بذلك شهيد وكفــى بــالله شهيدا."[1]

بدأ الكاتب هذه البيعة بلفظ البسمله ثم أتى بعدها بلفظ البيعة الا وهى قوله "تبــايعون" وهــى الصيغة العامة التى كانت تبدأ بها كتب البيعات فى الدولة العباسية،ثم ولــج مباشــرة إلــى تبصيرهم وتذكيرهم بانه عليهم أخذ البيعة للخليفة القائم على أمر الدولة ،ومؤكداً لهم بأن هذه البيعة هى أمانة فى أعناقهم ودين عليهم لذلك يجب عليهم تأديته طائعين.ويظهر فيها اســلوب اللين لأن المقام مقام ترغيب .

وفى هذه البيعة نلمس اسلوب الفترة الثانية من العصر العباسى،فهو اسلوب درج الكتّاب فيــه على استخدام الجناس وإن لم يلتزموه كما فى قوله "وتتمسكون ببيعته بوفــاء العقــد ،وذمــة العهد" وأيضاً استخدامه للطباق كما فى قوله :"من خاص وعام – وأبعد واقرب".

وأيضاً نجد أن الكاتب فى هذا العهد مال إلى الإقتباس والأخذ من القرآن الكريم وذلــك فــى مثل قوله :"إذا كان الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين إنما يبايعون الله ....الخ" أخذاً من قوله تعالى " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فأنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما"[2]. ويظهر الإقتباس أيضاً فى قوله:"وعليكم عهد الله أن عهده كان مسئولاً" وذلك أخذاً من قوله تعالى " وأوفوا بالعهــد إن العهــد كــان مسئولا"[3]

وقد ختم الكاتب بيعته هذه بشروط جزاء وذلك على من ينقض العهد ،وتتمثل تلك الشــروط فى الآتى:

١- من ينقض البيعة وله من الأموال والعقار والزرع،فهى صدقةُ على المساكين لا يرجع اليه منها شيئاً

٢- من له مملوك يملكه إلى ثلاثين سنه فهو حرُ لوجه الله

---

[1] -جمهرة رسائل العرب.أحمدزكى صفوت.ط٢. ج٤.مطبعة مصطفى البابى الحلبى.١٣٩١هــ. ١٩٧١م.ص ٢٢٤-٢٢٦.

[2] - سورة الفتح،آية رقم (١٠)

[3] -سورة الأسراء.آية رقم(٣٤)

٣- من له نساء أو يريد الزواج ،فزوجاته طوالق إلى ثلاثين سنه من أخـذ ميثـاق هـذه البيعة.

وقد ختمها بعبارة "وكفى بالله شهيداً"تلك العبارة التى تمثل أحدى الصيغ التى كان يختم بهـا كتّاب العصر العباسى البيعات والعهود.

٣- رسالة أبى جعفر بالبيعة للمهدى:-

هذه هى بيعة أبى جعفر المنصور يوصى فيها جميع المسلمين بمبايعة إبنه محمد المهدى من بعده،ثم بمبايعة عيسى بن موسى من بعده،وقد جاءت صيغة هذه البيعة على النحو التالى
"والمهدى –معشر المسلمين– فى عفافه وصلاحه وورعه وطبائعه وشيمه وحلمه ورأفته،وإستصلاحه وإستبقائه،وعفوه ومقدرته ،ورأيه ومكيدته وشوكته على عدوه ،وحسن تدبيره فى ولايته وسياسته لجنوده ،ورفقه وعدله ،وأدبه وفقهه،وفهمه ونجابته،ويمن نقيبته*[١]وتوسعة ذات يده ،وإغتفاره وهديه ،وحُسن جزائه أهل الغناء*[٢]عنه والبلاء معه ،والطاعة له والسمع منه،ولينه وحزمه وعزمه،ووفائه وصدقه،وهو المصطنع لولايتكم، والمتخيّر لسياستكم وإجتماع إلفتكم،وتمام نعمة الله عليكم،ولم يكن الله ليُعد لهذه الأمور إلا مصطنعاً فى رأيه،كاملاً فى فضله وسياسته،قوياً على طاعة الله ونصر دينه والذبّ عن حقه وملّته.

وقد بايع أميرالمؤمنين ومن قبله من أهل بيته وجنوده ورعيّته للمهدى إبن أميرالمؤمنين لعيسى بن موسى من بعد محمد المهدىمستبشرين ببيعتهم ،راغبين فيما صفقت*[٣] عليه أيمانهم من تخيّر الذى كان يُذكر فى الأمير من تمام نعمة الله عليهم ،مؤملين لما فى الأحاديث المأثورة من أهل الحق قبلهم موقنين بخيرة الله لهم،فإن اسم المهدىمحمد بن أمير المؤمنين واسم أبيه ،والزمان الذى كان يُذكر ذلك فيه ،والأمور التى نسبت إليه،والفتوح التى كانت تُذكر أنها كانت تُفتح عليهفى أول أمره،ومبتدأ زمانه –وقد رأيناها وعرفناها يشهد بعضها لبعض،متصلة على حالاتهامتوالية على ما ذُكر فى الأحاديث منها يصدق الأول منها الآخرعلى مراتبها ومنازلها،والأحايين التى تكون فيها،لا يحرم شئ منها عن شئ متلاحقة ملتئمة إن شاء الله ولا قوة إلا بالله،واصِل هذه الأطراف المبكرة والأعلام المقدمة بأصولها الجسيمة العظيمة التى ملأت الأرض نوراً وعدلاً وعزاً لأهل الأسلام ،وظفراً وتأييداً لأهل الحق ،ونصراً وفضلاً ونعمة من الله عليهم ،ولم بحب أمبرالمؤمنين أن يخرج عيسى بن

---

[١] * النقيبه: النفس والطبيعة

[٢] * الغناء:الكفاية

[٣] *صفقت:صفق يده بالبيع كضرب على يده،أى ضرب يداً بيد عن وجوب البيعة.

موسى من هذا الإلّ*[1]،فعقد له من بعد محمد بن أميرالمؤمنين وجعلـــه ولـــيّ عهـــده،ونوى أميرالمؤمنين الخير فى ذلك،وأحتسب الأجر من الله عليه،ورجا صلاح الرعيّة.
فبايعوا باسم الله وعلى بركته وتوفيقه وتسديده لمحمد بن أميرالمؤمنين بيعة رضوان مـــن الله إن شاء الله ،بصَحةٍ من نيّاتكم،وسلامة من صدوركم،ووفاء وإستقامةٍ بخير صـــفقة صـــفقت عليها أيمانكم،وأعظمها إن شاء الله وأتمها نعمة،وأحسنها عافية،وأبلغها فى طاعة الله منزلـــة وأرفعها فى الخير درجة ،فأبشروا بنعم مخبّآت:عاجلات وآجلات يعد الله بها دينكم ويتم بهـــا النعمة عليكم ،ويقمع بها الشـــيطان وجنـــوده وأبالســـته،ويفلّ بهـــا حـــدّهم ،ويـــوهن بهـــا قوتهم،ويصرعهم فى كل موطن،ويقتلهم فى كل مشهد،فإنكم–معشر المسلمين –قد أخذتم فـــى توفيق الله إياكم ،وتسديده لكم ،بطرف أمر فيمـــا ألهمكـــم الله مـــن بيعـــتكم للمهـــدى إبـــن أميرالمؤمنين،سيؤديكم إلى النعم التى كانت توصف ،والظهور الذى كان يُذكر[2]".
نلمس فى هذا العهد قوة الألفاظ وجزالة المعانى ،فالكاتب قد بدأ عهده هذا مؤكداً علـــى مـــن وقعت عليه تلك البيعة وذلك بقوله:"والمهدى–معشرالمسلمين".
ثمّ زاد ذلك التوكيد على مبايعته بتعداد صفاته من المبايعة قوةً،ثمّ أننا نلحظ فى هذه البيعة أن الكاتب يجر تلك البيعة لشخص وإنما أكّد على أن يكون هنالك من يخلفه فيجب مبايعته.
وأيضاً نلمس فيها أسلوب الكاتب وبراعته فى إستخدام بعض المحسنات البديعية دون تكلـــف وذلك مثل الطباق فى قوله:"لينه وحزمه".وقوله:"عاجله وآجلـــه"،والســـجع المتـــوازى فـــى قوله:"وحسن جزائه أهل الغناء عنه والبلاء معه".
ثم ختمها بتوكيده لهم بأن مبايعتهم للمهدى ستكون سبباً فى نزول النعم عليهم.

---

[1] *الإلّ: العهد

[2] – جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج٣.ط١. ١٣٥٦هـــ.١٩٣٧م.ص١٤٣–١٤٥.

٤- رسالة المتوكل بالبيعة لبنيه:-

عقد المتوكل الأمر بولاية العهد لبنيه الثلاثه-المنتصر والمعتز والمؤيد-وعقد البيعة فى سنة "٢٣٥هـ"،ضمّ فيه إلى المنتصر أفريقية والمغرب،وإلى المعتز كورخراسان وما يّضاف إليها،وإلى المؤيد الشام،وكتب بينهم هذا العهد الذى جاء نصّه على النحو التالى:

"هذا كتاب كتبه عبدالله بن جعفر الأمام المتوكل على الله أميرالمؤمنين ،وأشهد الله على نفسه بجميع ما فيه ،ومن حضر من أهل بيته وشيعته وقواده وقضاته وكفاته وفقهائه وغيرهم من المسلمين،لمحمدٍ المنتصر بالله ولأبى عبدالله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله بنىّ أميرالمؤمنين فى أصالة من رأيه ،وعموم من عافية بدنه ،وإجتماع من فهمه،مختاراً لما شهد به ،متوخيّاً بذلك طاعة ربه ،وسلامة رعيّته وإستقامتها،وإنقياد طاعتها ،وإتساع كلمتها ،وصلاح ذات بينها ،وذلك فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ومائتين،إلى محمد المنتصر بالله بن جعفر الأمام المتوكل على الله أميرالمؤمنين ولاية عهد المسلمين فى حياته ،والخلافة عليهم من بعده ،وأمره بتقوى الله التى هى عصمة من إعتصم بها ،ونجاة من لجأ إليها ،وعزّ من إقتصر عليها فإن بطاعة الله تتم النعمة،وتجب من الله الرحمة،والله غفور رحيم،وجعل عبدالله جعفر الأمام المتوكل على الله أميرالمؤمنين الخلافة من بعد محمد المنتصر بالله إبن أميرالمؤمنين،إلى إبى عبدالله المعتز بالله إبن أميرالمؤمنين،ثم من بعد إبى عبدالله المعتز بالله إبن أميرالمؤمنين الخلافة إلى إبراهيم المؤيد بالله إبن أميرالمؤمنين.

وجعل عبدالله جعفر الأمام المتوكل على الله أميرالمؤمنين لمحمد المنتصر بالله إبن أميرالمؤمنين ،علىأبى عبدالله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله إبنىّ أميرالمؤمنين:السمع والطاعة والنصيحة والمشايعة والموالاة لأولياءه ،والمعاداة لأعداءه ،فى السر والجهر،والغضب والرضا،والمنع والإعطاء،والتمسّك ببيعته والوفاء بعهده ،لا يبغيانه غائلة *[1]،ولا يحاولانه مخاتله*[2]ولا يمالئان*[3]عليه عدداً،ولا يستبدان دونه بأمر يكون فيه نقص لما جعل إليه أميرالمؤمنين،من ولاية العهد فى حياته والخلافة من بعده.

---

[1] *الغائلة:الداهية

[2] *المخاتله:المخادعه

[3] *مالأه على الأمر:ساعده وشايعه

وجعل عبدالله جعفر الأمام المتوكل على الله أميرالمؤمنين على محمد المنتصر بالله إبن أميرالمؤمنين ،لأبى عبدالله المعتزبالله وإبراهيم المؤيد بالله ،إبنىّ أميرالمؤمنين:الوفاء بما عقده لهما ،وعهد به إليهما،من الخلافة بعد محمد المنتصربالله إبن أميرالمؤمنين وإبراهيم المؤيد بالله إبن أميرالمؤمنين الخليفة من بعد أبى عبدالله المعتز بالله إبن أميرالمؤمنين- والإتمام على ذلك ولا يخلعهما، ولا واحداً منهما،ولا يعقد دونهما ولا دون واحدٍ منهما بيعة لولد ولا لأحدٍ من جميع البريّة،ولا يؤخر منهما مقدماً ولا يقدم منهما مؤخراً،ولا ينقصهما ،ولا واحد منهما شيئاً من أعمالهما التى ولاهمّا عبدالله جعفر الأمام المتوكل على الله أميرالمؤمنين،وكل واحدٍ منهما،من الصلاة والمعاون والقضاء والمظالم والخراج والضياع والغنيمة والصدقات وغير ذلك من حقوق أعمالهما ،وما فى عمل كل واحدٍ منهما من البريد والطراز وخزن بيوت الأعمال والمعاون ودور الضرب،وجميع الأعمال التى جعلها أميرالمؤمنين ويجعلها إلى كل واحد منهما،لا ينقل عن واحدٍ منهما أحداً من ناحيته من القواد والجند والشاكرية*[1]والموالى والغلمان وغيرهم،ولا يفترض عليه فى شئ من ضياعه وإقطاعاته وسائر أمواله وذخائره وجميع ما فى يده وما حواه وملكت يده من تالد وطارف،وقديم ومستأنف،وجميع ما يستفيده ويُستفاد له،بنقض،ولا يُخرم*[2]، ولا يجنف*[3]،ولا يعرض لأحد من عمّاله وكتّابه وقضاته وخدمه ووكلائه وأصحابه وجميع أسبابه،بمناظرة ولا بمحاسبه،ولا غير ذلك من الوجوه والأسباب كلها،ولا يفسخ فيما وكده أميرالمؤمنين لهما فى هذا العقد وما يّزيل ذلك عن جهته أويؤخره عن وقته أو يكون ناقضاً لشئ منه.

وجعل عبدالله جعفر المتوكل على الله أميرالمؤمنين على أبى عبدالله المعتز بالله إبن أميرالمؤمنين،إن أفضت إليه الخلافة بعد محمد المنتصرإبن أميرالمؤمنين،لإبراهيم المؤيد بالله إبن أميرالمؤمنين مثل الشرائط التى إشترطها على محمد المنتصر بالله إبن أميرالمؤمنين بجميع ما سمّى فيه ووصف فى هذا الكتاب،وعلى ما بيّن وفسرّمع الوفاء من أبى عبدالله المعتز بالله إبن أميرالمؤمنين،بما جعله أميرالمؤمنين لإبراهيم المؤيد بالله إبن أميرالمؤمنين من الخلافة وتسليم ذلك رضياً ممضياً له مقدماً ما فيه حق الله عليه وما أمره به

[1] *الشاكرى:الأجير والمستخدم
[2] *الخرم:النقض
[3] * الجنف:الميل والجور

أمير المؤمنين،غير ناكث ولا ناكب*[1]،بذلك ولا مبدل،فإن الله تعالى جّده،وعزّ ذكره ،يتوعد من خالف أمره ،وعَنَد عن سبيله فى محكم كتابه:"فمن بدله من بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم"[2]

على أن لأبى عبدالله المعتز بالله بن أمير المؤمنين،ولأبراهيم المؤيد بالله إبن أمير المؤمنين،على محمد المنتصر بالله بن أمير المؤمنين إذا أفضت الخلافة إليه وهما مقيمان بحضرته،أو أحدهما ،أوكانا غائبين عنه ،مجتمعين كانا أو متفرقين،وليس أبوعبدالله المعتز بالله إبن أمير المؤمنين فى ولايته بخراسان وأعمالها المتصله بها،والمضمومة إليها،وليس إبراهيم المؤيد بالله إبن أمير المؤمنين فى ولايته بالشام وأجنادها،فعلى محمد المنتصر بالله بن أمير المؤمنين أن يمضى أبا عبدالله المعتز بالله بن أمير المؤمنين إلى خراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها،وأن يسّلم له ولايتها وأعمالها كلها وأجنادها،والكور الداخله فيما ولى جعفر الأمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أبا عبدالله المعتز بالله بن أمير المؤمنين فلا يعوقه عنها،ولا يحبسه قِبله،ولا فى شئ من البلدان دون خراسان والكور والأعمال المضمومة إليها ،وأن يعجّل إشخاصه إليها والياً عليها وعلى جميع أعمالها،مفرداً بها ،مفوضاً إليه أعمالها كلها،لينزل حيث أحبّ من كورعمله،ولا ينقله عنها ،وأن يشخص معه جميع من ضم إليه أمير المؤمنين،ويضم من مواليه وقواده وشاكريته وأصحابه وعماله وخدمه،ومن أتّبعه من صفوف الناس وأهاليهم وأولادهم وعيالهم واموالهم ،ولا يحبس عنه أحداً ،ولا يُشرك من أعماله أحداَ،ولا يوجه عليه أميناً ولاكاتباً ولا بريداً ،ولا يضرب*[3] على يده فى قليل ولا كثير،وأن يطلق محمد المنتصر بالله لإبراهيم المؤيد بالله بن أمير المؤمنين الخروج إلى الشام وأجنادها،فيمن ضم أمير المؤمنين ويضمه إليه،من مواليه وقواده وخدمه وجنوده وشاكريته وصحابته وعمّاله وخدّامه،ومن أتبعه من صنوف الناس بأهليهم وأولادهم وأموالهم ولا يحبس منهم أحداً ،ويسلم إليه ولايتها وأعمالها وجنودها كلها لا يعوقه عنها ولا يحبسه قبله ،ولا فى شئ من البلدان دونها، وأن يعجل إشخاصه إلى الشام وأجنادها،والياً عليها،ولا ينقله عنها،وآت عليه له فيمن ضمّ إليه من القواد والموالى والغلمان والجنود والشاكريه وأصناف الناس ،وفى جميع الأسباب والوجوه مثل الذى إشترط على محمد

[1] *ناكب:ناكص
[2] سورة البقرة .آيه رقم(١٨١)
[3] *ضرب على يده:منعه من أمر أخذ فيه

المنتصر بالله إبن أمير المؤمنين لأبى عبدالله المعتز بالله بن أمير المؤمنين فى خراسان وأعمالها،على ما رسم من ذلك وبُيّن ولُخص وشُرح فى هذا الكتاب.
ولإبراهيم المؤيد بالله بن أمير المؤمنين على أبى عبدالله المعتز بالله بن أمير المؤمنين إذا أفضت الخلافة إليه وإبراهيم المؤيد بالله مقيم بالشام أن يقرّه بها ،أو كان بحضرته أو كان غائباً عنه أن يمضيه إلى عمله من الشام ،ويسلّم إليه أجنادها وولايتها وأعمالها كلها ،ولا يعوقه عنها ،ولا يحبسه قبله ولا فى شئ من البلدان دونها،وأن يعجّل إشخاصه إليها ،والياً عليها وعلى جميع أعمالها ،على مثل الشرط الذى أُخذ لأبى عبدالله المعتز بالله بن أمير المؤمنين على محمد المنتصربالله بن أمير المؤمنين فى خراسان وأعمالها،على ما رُسم ووصِف وشُرط فى هذا الكتاب لم يجعل أمير المؤمنين لواحد ممن وقعت عليه وله هذه الشروط،من محمد المنتصر بالله وأبى عبدالله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله بنى أمير المؤمنين ،أن يُزيل شيئاً مما إشترطنا فى هذا الكتاب ووكّدنا،وعليهم جميعاً الوفاء به،لا يقبل الله منهم إلا ذلك ولا التمسك إلا بعهد الله فيه وكان عهد الله مسئولاً.
أشهد الله رب العالمين جعفر الأمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ومن حضر من المسلمين بجميع ما فى هذا الكتاب،على إمضائه إياه،على محمد المنتصر بالله وأبى عبدالله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله بنى أمير المؤمنين بجميع ما سُمّى ووصف ،وكفى بالله شهيداً ومعيناً لمن أطاعه راجياً ،ووفى بعهده خائفاً،وحسيباً ومعاقباً من خالفه معانداً،أو صدف*[1] عن أمره مجاهداً."[2]

القارئ لهذه البيعة يلمس فيها قوة معانيها وإحكام صياغتها،فالكاتب فيها بسط القول وأطنب فى مجال كان يمكن له فيه أن يوجز،وتجد التكرار واضحاً فى بعض العبارات وذلك فى مثل قوله:"محمد المنتصر بالله بن أمير المؤمنين"فقد ركّز كثيراً على تكرار عبارة "أمير المؤمنين".بيد أنه قد أشار ووضح شروط من ينبغى أن تعقد عليه الأمه آمالها وهذه هى الأشياء التى دائماً ما كانت تُذكر فى بيعات العباسيين.

---

[1] - *صدف: أعرض
[2] -جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج٤.مرجع سابق.ص١٢٨-١٣٣.

أيضاً مما يُلاحظ على هذه الرسالة أن الكاتب لم يتقيد فيها بالمحسنات البديعية بل أطلق لنفسه العنان حتى تأتى عباراته منسجمه وإن وجد بعضها فى بعض جوانب الرسالة مثل السجع فى قوله:"وسلامة رعيته وإستقامتها،وإنقياد طاعتها ،وإتساع كلماتها ،وصلاح ذات بينها".

ونجده قد إقتبس من معنى قوله تعالى وذلك فى قوله:"والتمسك بعهد الله فيـــه،وكان عهـــد الله مسئولاً" والله تعالى يقول:"وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا"

أما من حيث مقدمتها فقد بدأها بقوله :"هذا كتاب كتبه فلان ...لفلان"،وختمها بقولـــه:"وكفـــى بالله شهيدا".

تلك هى الصيغ المتبعة فى كتابة البيعات لدى الكتّاب فى الدولة العباسية.

المبحث الثانى:-

رسائل العهود:-

١. رسالة عبدالله بن هارون الرشيد بالعهد لعلىّ بن موسى
٢. رسالة عبدالكريم الطائع بالعهد للحسين بن موسى
٣. رسالة المهدى بالعهد لأحد ولاته
٤. رسالة العاضد بتقليد الوزارة لصلاح الدين الأيوبى

المبحث الثانى: رسائل العهود:-

١-رسالة عبدالله بن هارون الرشيدبالعهد لعلى بن موسى:-

هذه هى نسخة عهد كتب به عبدالله بن هارون الرشيد،لولى عهده من بعده على بن موسى بن جعفر.وقد بدأالعهد بقوله:

"هذا كتاب كتبه عبدالله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين بيده ،لعلى بن موسى بن جعفر ولىّ عهده.أما بعد،فإن الله عزّوجل إصطفى الأسلام ديناً،وإصطفى له من عباده رسلاً دالين عليه،وهادين إليه،يبشر أولهم بآخرهم ،ويصدق تاليهم ماضيهم،حتى إنتهت نبوة الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل،ودروس من العلم،وإنقطاع من الوحى،وإقتراب من الساعة،فختم الله به النبيين وجعله شاهداً لهم،ومهميناً عليهم ،وأنزل عليه كتابه العزيز الذى"لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد".[1]

فأحل وحرّم،ووعد وأوعد ،وحذر وأنذر،وأمر ونهى:لتكن له الحجة البالغة على خلقه:و"ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حىّ عن بينة وإن الله سميع عليم"[2].فبّلغ عن الله رسالته ،ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة،والمجادلة بالتى هى أحسن،ثم بالجهاد والغلظة حتى فبضه الله إليه،وإختار له ما عنده صلى الله عليه وسلّم،فلما إنفضت النبوة وختم الله بمحمد صلى الله عليه وسلّم الوحى والرسالة،جعل قوام الدين،ونظام أمر المسلمين،بالخلافة وإتمامها وعزها،والقيام بحق الله فيها بالطاعة التى تقام بها فرائض الله وحدوده وشرائع الإسلام وسننه،ويُجاهد بها عدوه،فعلى خلفاءالله طاعته فيما إستحفظهم وأسترعاهم من دينه وعباده،وعلى المسلمين طاعة خلفائهم ومعاونتهم على إقامة حق الله وعدله،وأمن السُبل وحقن الدماء،وصلاح ذات البين،وجمع الإلفة وفى إخلال ذلك إضطراب حبل المسلمين وإختلالهم،وإختلاف ملتهم،وقهر دينهم ،وإستعلاء عدوهم،وتفرق الكلمة،وخسران الدنيا والآخرة،فحق على من إستخلفه الله فى أرضه ،وإئتمنه على خلقه أن يؤثر ما فيه رضا الله وطاعته ويعدل فيما الله واقفه عليه وسائله عنه،ويحكم بالحق ويعمل بالعدل فيما حمّله الله وقلّده،فإن الله عزّ وجل يقول لنبيه داؤود عليه السلام:"يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض

[1] - سورة فصلت.آية رقم (٤٢)
[2] - سورة الأنفال.آية رقم(٤٢)

فأحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله،إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب"[1] .وقال عزّ وجل:"فوربك لنسئلنهم أجمعين عمّا كانوا يعملون"[2] .وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال:"لو ضاعت سخله بجانب الفرات لتخوفت أن يسألنى الله عنها".وأيم الله إن المسئول عن خاصة نفسه،الموقوف على عمله،فيما بين الله وبينه لمتعرض لأمر كبير ،وعلى خطر عظيم،فكيف بالمسئول عن رعاية الأمة،وبالله الثقة،وإليه المفزع والرغبه فى التوفيق مع العصمة،والتسديد والهدايه إلى ما فيه ثبوت الحجة ،والفوز من الله بالرضوان والرحمة.وأنظر الأئمه لنفسه ،وأنصحهم فى دينه وعباده وخلافته فى أرضه،من عنل بطاعة الله وكتابه وسنة نبيه عليه السلام فى مدة أيامه،وأجتهد وأجهد رأيه ونظره فيمن يوليه عهد،ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده،وينصبه علماً لهم،ومفزعاً فى جمع إلفتهم ،ولم شعثهم،وحقن دمائهم ،والأمن بإذن الله من فرقتهم،وفساد ذات بينهم وإختلافهم،ورفع نزغ الشيطان وكيده عنهم،فإن الله عزّ وجل جعل العهد بالخلافة من تمام أمر الإسلام وكماله وعزه وصلاح أهله،والهم خلفائه من توسيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عُظمت به النعمة ،وشملت منه العافية،ونقض الله بذلك مرّ*[3] أهل الشقاق والعداوة والسعى فى الفرقة والرّفض*[4] للفتنه،ولم يزل أميرالمؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة فأختبر بشاعة مذاقتها،وثقل محملها وشدة مئونتها،وما يجب على من تقلدها من إرتباط طاعة الله ومراقبته فيما حمّله منها ،فأنصب بدنه،وأسهر عينه،وأطال فكره فيما فيه عزّ الدين،وقمع المشركين،وصلاح الأمة،ونشر العدل،وإقامة الكتاب والسنه،ومنعه ذلك من الخفض والدعه بهنىّ العيش:علماً بما الله سائله عنه،ومحبة أن يلقى الله مناصحه فى دينه وعباده،ومختاراً لولاية عهده ،ورعاية الأمة من بعده،أفضل من يقدر عليه فى دينه ورعه وعلمه،وأرجاهم للقيام بأمر الله وحقه،مناجياً لله بالإستخارة فى ذلك،ويسأله إلهامه ما فيه رضاه وطاعته فى ليله ونهاره،ومُعملاً فى طلبه وإلتماسه من أهل بيته من ولد عبدالله بن العباس وعلى بن أبى طالب فكره ونظره،ومقتصراً فيمن علم حاله ومذهبه منهم على علمه،وبالغاً فى المسأله عمّن خفى عليه أمره جهده وطاقته،حتى إستقصى أمورهم بمعرفته،وأبتلى أخبارهم مشاهده،وكشف ما

[1] -سورة ص.آية رقم(٢٦)
[2] -سورة الحجر.الآيات(٩٢، ٩٣)
[3] -*مَرّ:المَر بفتح الميم هو الحبل
[4] -*الرّفض فيها:أى تركها تسير فيهم

عندهم مُساءله،فكانت خيرته بعده إستخارته لله وإجهاده نفسه فى قضاء حقه وبلاده،من البيت جميعاً "على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب:لما رأى من فضله الشارع،وعلمه الناصع،وورعه الظاهر،وزهده الخالص،وتخليه من الدنيا،وتسلمه من الناس،وقد إستبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئه،والألسن عليه متفقة والكلمه فيه جامعه،ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعاً ناشئاً ،وحدثاً ومكتهلاً،فعقد له بالعقد والخلافة إيثاراً لله والدين،ونظراً للمسلمين،وطلباً للسلامة وثبات الحجة والنجاة فى اليوم الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين.

ودعا أمير المؤمنين ولده،وأهل بيته،وخاصته،وقواده،وخدمه،فبايعوا مسرعين مسرورين،عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى فى ولده وغيرهم من هو أشبك به رحماً وأقرب قرابة،وسمّاه "الرضّى"إذ كان رضيّاً عند أمير المؤمنين.فبايعوا معشر بيت أمير المؤمنين ومن بالمدينه المحروسه من قواده وجنده،وعامة المسلمين"الرضىّ" من بعده،على إسم الله وبركته وحسن قضائه لدينه عباده،بيعة مبسوطة إليها أيديكم،منشرحة لها صدوركم،عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها،وآثر طاعة الله والنظر لنفسه ولكم فيها،شاكرين لله على ما ألهم أمير المؤمنين من نصاحته فى رعايتكم،وحرصه على رشدكم وصلاحكم،راجين عائده فى ذلك فى جمع ألفتكم،وحقن دمائكم،ولم شقتكم،وسد ثغوركم،وقوة دينكم،ورغم عدوكم،وإستقامة أموركم،وسارعوا إلى طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين،فإنه الأمر إن سارعتم إليه،وحمدتم الله عليه،عرفتم الحظ فيه إن شاء الله تعالى[١]" .

بدأ الكاتب عهده بذات الصورة التى كانت تفتتح بها العهود فى العصر العباسى ألا وهى "من عبدالله بن هارون الرشيد،لعلى بن موسى".ثم أتى بعده بالبعديه وهى قوله"أمّا بعد".

ونلمس فيها كثرة إستعماله الصور البيانية وذلك مثل الطباق فى قوله:"أحل وحرّم"-"وعد وأوعد"-"حذر وأنذر"-"أمر ونهى".والجناس فى مثل قوله:"فضله البارع،وعلمه الناصع".ثم درج على إقتباس كثير من الآيات وبعض الأحاديث وذلك فى مثل أخذه من قوله تعالى"لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه".وقد ياتى إقتباسه أحياناً إشارة وذلك مثل قوله:"ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة والموعظة ...الخ"-أخذاً من قوله تعالى:"أدع إلى سبيل ربك

[١] -صبح الأعشى.أبى العباس أحمد بن على القلقشندى.ج٩ .١٨٢١هـ.١٤١٨م.ص٣٦٢-٣٦٦.

بالحكمة والموعظة الحسنه وجادلهم بالتى هى أحسن".وأيضاً قولــه:وطلبــاً للســلامة وثبــات الحجة...الخ–مأخوذه من قوله تعالى:"يوم يقوم الناس لرب العالمين"[١].

أما إقتباسه من الأحاديث فهو أخذه من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه:"لو ضاعت سخله بجانب الفرات...الخ".وهو إقتباس بأخذ النص.

ثم بين فى هذا العهد أنه قائماً على إستخارة الله عزّوجل فى ذلك الأمر وعلى مشــورة أهــل بيته،مبيناً صلاح من أُختير لولاية عهدهم.

ثم ختم بقوله:"إن شاء الله تعالى".تلك العبارة التى عادة ما يختتم بها العهد العباسى وبخاصه فى الأمور المستقبله.

---

[١] -سورة المطففين.آيه رقم(٦).

٢- رسالة عبدالكريم الأمام الطائع بالعهد للحسين بن موسى العلوى:-

هذا العهد كتب به أبوأسحاق الصابى عن الطائع لله للحسين بن موسى العلوى فى ولاية عهده للأوقاف ،وجاء نص ذلك العهد على النحو التالى:

"هذا ما عهد عبدالله عبدالكريم الأمام الطائع لله أميرالمؤمنين،إلى الحسين بن موسى العلوى ،حين طابت منه العناصر،ووصلته بأميرالمؤمنين الأواصر،جمع إلى شرف الأشراف الذى ورثه شرف الخلًق الذى إكتسبه،ووضحت آثار دينه وأمانته ،وبانت أدلة فضله وكفايته،فى جميع ما أسنده أميرالمؤمنين إليه من الأعمال، وحمّله إليه من الأثقال،فأضاف إلى ما كان قد ولاّه من ذلك النظر فى الوقوف التى كانت يدخلان فيها بالحصرة وسوادها،ثقةً بسداده،وسكوناً إلى رشاده،وعلماً بأنه يعرف حق الضيعة ،ويرعى ما يستحفظه من الوديعة،ويجرى فى المنهل الذى أحمده أميرالمؤمنين من ووكل إليه.والله يمد أميرالمؤمنين بصواب الرأى فيمانحاه وتوخاه،ويؤمنه فى عاقبته الندم فيما قضاه وأمضاه،وما توفيق أميرالمؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنيب.

أمره بتقوى الله التى هى عمادالدين،وشعار المؤمنين،وأن يعتقدها فى سره ونجواه،ويجعلها الذخيرة لأولاه وأُخراه،ويتجنب الموانع المونيه،ويتوقى الموارد المُريه،ويغض طرفه عن المطامع المغويه،ويذهب بنفسه عن المطارح المخزيه،فإنه أحق من فعل ذاط وآثره،وأولى من أعتمده وأستشعره،بنسبه الشريف ،ومفخره المنيف، وعادته المشهورة،وشاكلته المأثورة ،وتلاوة كتاب الله الذى هو وسنة رسول الله الثقلان المخلفان فى الأمة،وقد جمعته، وآخرهما الأنساب وجمعته الثانى عصمة أولى الألباب،وتوجهت حجة الله بما يرجع من هذه الفضائل إليه،وأنه غصن من دوحة أميرالمؤمنين،التى تحدّاها الله بالأنذار قبل الخلائق أجمعين،إذ يقول لرسوله محمد صلى الله عليه وسلّم وعلى آله:"وأنذر عشيرتك الأقربين"[١].وقد حضّ تبارك وتعالى على التقوى،ووعد عباده عليها الزلفى ،فقال:"ياأيها الذين آمنوا إتقوا الله وكونوا مع الصادقين"[٢].

وأمره بالإشتغال على ما أسنده إليه أميرالمؤمنين من هذه الوقوف مستفداً طوقه فى عمارتها،مستفرغاً وسعه فى مصلحتها،دائباً فى إستغلالها وتثميرها،مجتهداً فى تدبيرها وتوفيرها، وأن يصرف فاضل كل وقف منها بعد الذى يخرج للنفقة على حفظ أصله،وإستدرار

[١] -سورة الشعراء.آية رقم (٢١٤)
[٢] -سورة التوبة.آية رقم(١١٩)

حلبه،والمئونة الراتبة للقوام عليه،والحفظه له،إلى أربابه الذى يعود ذلك عليهم فـــى وجوههـــا التى سُل لها،ووقف عليها،واضعاً جميع مواضعه،موقعاً له مواقعه،خارجاً إلى الله من الحق فيه مؤدياً الأمانة إليه،وأن يُشهد على القابضين بما يقبضونه من وقوفهم،ويكتب البرآآت عليهم بما يستوفونه من أموالهم ،وما يستظهر لنفسه بإعداد الشواهد والأدلة على ما ينفقه من أموال هـــذه الوقوف على مصالحه، ويصرفه منها إلى أهله،ويخرجه منها فى حقوقها وأبواب برها،وســـائر سبلها ووجوها ، سالكاً فى ذلـــك مذهبـــه المعـــروف فـــى أداء الأمانة،وإســـتعمال الظّلّـــف والنزاهه،معقّباً على من كان ناظراّ فيها من الخونه الذين لم يرعوا عهداً،يتصونوا عن ســـحت المطاعم،وظلم المآثم.

وأمره باستكتاب كاتب معروف بالسداد،مشهور بالرشاد،معلوم منه نصيحة الأصحاب،والضبط للحساب،وتفويض ديوان الوقوف وتدبيره إليه ،وتوصيته بصيانة ما يشتمل عليه مـــن أصـــول الأعمال وفروعها،وقليـــل الحجـــج وكثيرهـــا،وأن يحتـــاط لأربابهـــا فـــى حفـــظ رســـومها ومعاملاتها،وحراسة طسوقها*[1]ومقاسماتها، حتى لا يستمرعليها حيف يبقى أثـــره ،ولا يتغيـــر فيها رسم يخاف ضـــرره،وان ينصـــف الإكـــرة فيهـــا والمـــزارعين ،وســـائر المخـــالطين والمعاملين،ولا يجشمهم*[2]حيفاً، ولا يسومهم خسفاً،ولا يغضى لهم عن حـــق،ولا يســـمح لهـــم بواجب،خلا ما عادت السماحة به بزيادة عماراتهم،نيّاتهم،وإحتلاب الفائدة منهم والفائدة لهم،فإنه مؤتمن فى ذلك كله أمانة،وعليه أن يؤديها ويخرج عن الحق فيها.

وأمره باختيارخازن حصيف*[3]،قؤم أمين،يخزن حجج هذه الوقوف وسجلاتها،وسائر دفاترهـــا وحساباتها،فإنها ودائع أربابها عنده،وواجب أن يحتاط عليها جهده،ومتى شك فى شـــرط مـــن الشروط،أو حدٍ من الحدود،أو عارض معارض،أو شاغب مشاغب،فى أيام نظره وأيّـــام مـــن عسى أن تنقل ولاية هذه الوقوف إليه،ويُناط تدبيرها به،دفع ما يحدث منه ذلك بهـــذه الحجـــج التى هى معارف البرهان،وقواعد البنيان،وإليها المرجع فى كل ســـنة تُنصـــر وتقام،وشـــبهة تُدحض وتضام.

---

[1] * الطسوق :

[2] * الجشم:الثقل بالأمر

[3] * الحصيف:جيّد الراى محكم العقل

هذا عهد أميرالمؤمنين إليك، ووثيقته الحاصلة فى يديك،فأتبع آثار أوامره،وأزدجر عن نواهيه وزواجره،وأستمسك به تنجح وتسلم،وأعمل عليه تفز وتغنم،وأسترشد الله يرشدك،وأستهده يهدك،وأستعن به ينصرك،وفوّض إليه يعصمك،إن شاء الله تعالى."[1]

يُعد أبو إسحاق الصابى من الكتّاب البلغاء فى الفتره الثانية من العصر العباسى،بدأ كتابه هذا بقوله :"من فلان إلى فلان".ثم دلف مباشرة إلى الموضوع الذى من أجله كُتب هذا العهد ألا وهو الأوقاف،فقد كان من عادة الكتّاب وبعد التقديم الموجز لرسائلهم الولوج إلى الموضوع مباشرة ودون إطناب،وعلى هذا النسق فعل الصابى فى رسالته.

ثم بدأ فى تعداد صفات من يريد الخليفة أن توكل إليه مهمة عهد الأوقاف،بعد ذلك عرض لبعض الأمور التى أمر بها الخليفة مثل تقوى الله،والعمل جاهداً على عمارة ديوان الأوقاف،وأن يتخذ له كاتباً يقوم بضبط حساباته،وأن يعمل على إختيار خازن يُعنى بشئون الأوقاف وسجلاتها.

أيضاً نجد فى هذه الرسالة بلاغة الكاتب والتى تتمثل فى استخدامه السجع بصورة واسعة واستخدامه للمقابله فى مثل قوله:"ويغض طرفه عن المطامع المغوية،ويذهب بنفسه عن المطارح المخزيه".

وأيضاً لجأ إلى الإقتباس الصريح من القرآن الكريم من قوله تعالى:"وأنذر عشيرتك الأقربين".

وأيضاً لجأ إلى السجع المتوازى فى قوله :"واضعاً جميع ذلك مواضعه،موقعاً له مواقعه".وأيضاً فى قوله :"عارض معارض"."شاغب مشاغب".

ثم تتضح حصافة الكاتب وبلاغته وإستخدامه لأسلوب النهى الذى يهيأ لقارئه أنه لا يخرج فيما نُهو عنه،ثم يعود ويوضح بعض الأمورالتى يسمح بها وذلك فى قوله:"ولا يغضى لهم عن حق ،ولا يسمح لهم بواجب،خلا ما عادت السماحة به بزيادة عماراتهم...الخ"

ثم ختم هذا العهد ببعض الوصايا التى يجب أن يتمسك بها المعهود إليه،وبقوله:"إن شاء الله تعالى".

---

[1]- صبح الأعشى.القلقشندى.ج١٠.مرجع سابق.ص٢٥٩ -٢٦٢.

٣- رسالة المهدى بالعهد لأحد ولاته:-

هذه نسخة عهد كتب بها الخليفة عبدالله المهدى محمد أميرالمؤمنين إلى أحد ولاته حيث ولاه على أرمينيا وجميع أعمالها،وجاءت نسخته على النسق التالى:

"هذا ما عهد به عبدالله المهدى محمد أميرالمؤمنين إلى فلان،أمره بتقوى الله فى سرائره وعلانيته،والإعتصام بالله والعمل بطاعته،والإيثار لحقه على ما سواه ،والمراقبة له والخشية منه،والحفظ لدينه وأمانته،والإنتهاء إلى ما يحق عليه فيما وافقه وخالفه ،فأن الله لا يضيع لمحسن أجراً ولا يصلح لمفسد عملاً.

وأمره أن يشعر قلبه مخافة الله وهيبته،وأن بعلم أنه لا حول قوة فى شئ إلا بالله والعمل بطاعته،فإن الله عزّوجل إذا علم بذلك بصدق نيته وصحة من يقينه،أحسن عونه،وخار*[1]له فى قضائه،وكفاه ما همّه،ولم يكله فى شئ من أمره إلى نفسه إن شاء الله.وأمره أن يتعاهد نفسه فى دينه وطاعته ونصيحته وحاله،والصغير والكبير من أمره،ويكثر ذكر علمه به وقدرته عليه،ولا يأتمر أمراً حتى يستخير الله فيه،ويستعينه عليه،ويستقضيه فيه،بالذى هو أحب إليه،وأرضى عنده،فإن العاقبة للتقوى،وإن أفضل الأمور أصلحها عاجلاً ،وخيرها عاقبة ،وأعظمها أجراً،وأحسنها ذخراً،إن شاء الله.

وأمره أن يعلم أن الثغر الذى ولاّه أمره،من أعظم ثغوره عنده،وأهم أعماله إليه،لقربه من العدو،وإطلاله عليهم،وموقعه من المسلمين،وأنه لم يسنده إليه إلا لحاله عنده،وثقته به،ومعرفته بطاعته ونصيحته،وكفايته وضبطه ومبالغته،وحسن سيرته وسياسته ومكيدته،ونكايته فى أهل الشرك بالله،وعن الإسلام،وأهله وانه ليس أحد من عماله إن أتقى وأعتصم بأمره وأخذ بعهده ورأيه،بأسرع منه بكل أمر زاده الله به عنده منزلة ومزية وفضلا.

،امره أن يصلى الصلوات لمواقيتها فى مسجد الجماعة،ولا يتشاغل عنها بغيرها،فإن الله جعلها عمود الدين فقال تبارك وتعالى:"فإذا أطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً[2]".

---

[1] * خار الله له فى الأمر:حعل له فيه الخير

[2]- سورةالنساء .آية رقم(١٠٣)

وأمره أن يفتح بابه لأهل عماله،ويُقل الإحتجاب عنهم،ويُلين كنفه*[1] لهم،وينظر فـي أمـورهم ومظالمهم،وينصف بعضهم من بعض،ولا يخاف شـريفاً لشـرفه،ولا يتعـدى علـى وضـيع لضعته،وألا يكون لأحد من الناس،يخالف الحق عنده،هوادة ولا غميزة*[2]،وأن يصبر نفسه على ما نابه وورد عليه من أمورهم ومظالمهم ،وينظر ويجلس له،حتى يؤدى إلـى كـل ذى حـق حقه،فإن فى ذلك صلاحهم ومعونته على ما ينوى من العدل عليهم ،وتأدية حق الله عليه فـيهم إن شاء الله.

،امره أن بحسن الولاية ورفق السياسة،وإظهار العدل والعمل بالحق ،وكف الظلـم ،وإبطـال الجور،وإيثار أهل الطاعة والنصيحة والفضل والورع وصدق النية،ويفضـلهم علـى غيـرهم ويستعين بآرائهم فيما هو مصدره حتى يكون ما يُمضى وينفذ منه بحسب ما يجتمعـون عليـه ويرونه موافقاً للعدل،مجانباً للظلم والجور.

هذا عهدى إليك ،وأمرى إياك فيما وليتك ،وأسـندت إليـك وقلدتك،فأمتثلـه وأعمـل بـه ولا تجاوزه،وأستعن بالله فيما عليك،يعنك الله ،والله أسأل أن يصلى على محمد عبده ورسـوله،وأن يوفقك ويحسن كفايتك".[3]

لجأ الكاتب فى هذا العهد إلى إستخدام أسلوب اللين وعدم الشـده حيـث أن المقـام يقتضـى ذلك،وبدأه بقوله:"هذا ما عهد به فلان إلى فلان"،ثم دلف إلى تعداد ما ينبغى أن يكون عليه من الطاعة فى حفظ حدود الله فى رعيته وفيما ولاه عليه ،ونجده فى هـذا الكتـاب لـم يسـتخدم المحسنات إلا قليلا وذلك مثل الإقتباس فى قوله:"الله لا يضيع لمحسن أجراً"والله سبحانه وتعالى يقول:"والله لا يضيع أجر المحسنين"[4].وأيضاً أخذ من حديث النبى صلى الله عليه وسـلّم:" وإذا أستعنت فأستعن بالله" حينما قال:"وأستعن بالله فيما عليك ،يعنك الله"

ثم ختم هذا العهد بالدعاء له بالتوفيق.

---

[1] *الكنف:الجانب

[2] *غميزة:مطعن أو مطمع

[3] -جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج٣.مرجع سابق..ص ١٥٢-١٥٤،

[4] -سورة التوبة .آيه رقم(١٢٠)

٤- رسالة العاضد الفاطمى بتقليد الوزارة لصلاح الدين الأيوبى:-

وعلى نفس النسق الذى كانت تجرى عليه عهود العباسيين لأبنائهم بالخلافة من بعدهم،وعهودهم لولاتهم بمخافة الله فى رعيتهم ،كانت عهودهم بتقليد المناصب والوزارات،وهذه نسخة عهد كتب بها القاضى الفاضل عن الخليفة العاضد لدين الله أميرالمؤمنين بتقليد الوزارة للناصر صلاح الدين الأيوبى،وجاءت نسخة العقد كما يلى:

"من عبدالله ووليّه عبدالله أبى محمد الأمام العاضد لدين الله أميرالمؤمنين،إلى السيّد الأجّل،الملك المنصور،سلطان الجيوش،ولىّ الأمة،فخرالدولة،أسد الدين،الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب،أصلح الله به الدين،وأمتع بطول بقائه أميرالمؤمنين،وأدام قدرته،وأعلى كلمته.

سلام عليك،فإن أميرالمؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو،وسأله أن يصلى على سيدنا محمد خاتم النبيين،وسيد المسلمين.

أما بعد ،فالحمد لله مصرّف الأقدار،ومشرّف الأقدار،ومحصى الأعمال والأعمار،ومبتلى الأخيار والأبرار،وعالم سرالليل وجهر النهار،وجاعل دولة أميرالمؤمنين فلكاً تتعاقب فيه أحوال الأقمار:بين إنقضاء سرار وأستقبال إبدار،وروضاً إذا هوت فيه الدوحات أينعت الفروع سابقة النوّار باسقة الثمار،ومنجد دعوته بالفروع الشاهدة بفضل أصولها،والجواهر المستخرجة من أمضى نصولها،والقائم بنصرة دولته فلا تزال حتى يرث الله الأرض ومن عليها قائمة على أصولها.

والحمد لله الذى أختار لأميرالمؤمنين ودله على مكان الأختيار،وأغناه بإقتضاب الإلهام عن رؤية الإختبار،وعضّد به الدين الذى أرتضاه وعضّده بمن أرتضاه،وأنجز له وعد السعد ما قضاه قبل إن إقتضاه،ورفع محله عن الخلق فكلهم من مضاف إليه غير مضاه ،وجعل مملكته عريناً لإعتزازها بالأسد وشبله،ونعمته ميراثاً أولى بها ذوى الأرحام من بنى الولاء وأهله،وأظهر فى هذه القضية ما أظهره فى كل القضايا من فضل أميرالمؤمنين وعدله،فأولياؤه كلآيات التى تتسق ذرارى أفقهاالمنير،وتتسق در عقدها النظيم النضير:"ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها،ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير"[١].

---

[١] - سورة البقرة.آيه رقم (١٠٦)

والحمد لله الذى أتمّ بأمير المؤمنين نعمة الإرشاد،وجعله أولى من للخلق ساد،وللحق شـــاد،وآثر بالمقام الذى لا ينبغى إلا له فى عصره،وأظهر له من معجزات نصره مـــا لا يســتقل العــدد بحصره،وجمع لمن والاه بين رفع قدره ووضع إصره،وجعل الإمامـــة محفوظـــة فـــى عقبـــه والمعقبات تحفظه بأمره،وأودعه الحِكم التى رآه لها أحوط من أودعه،وأطلع من أنوار وجهـــه الفجر الذى جهل من ظن غير نور مطلقه،وآتاه ما لم يؤت أحداً،وأمات بـــه غيـــاً وأحيـــا بـــه رشداً،وأقامه للدين عاضد فأصبح به معتضداً،وحفظ به مقام جده وإن رغم المســتكرون،وأنعم به على أمته أماناً لولاه ما كانوا ينظرون ولا يبصرون:"ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم،وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون"[1]

يحمده أمير المؤمنين على ما آتاه من توفيق يذلل لـــه الصـــعب الجامح،ويـــدنى منـــه البعيـــد النازح،ويخلف على الدين من صلاحه الخلف الصالح،ويُلزم آراءه جدد السعود الواضح،ويريه آيات الإرشاد،ويسأله أن يصلى على جده محمد الذى أنجى أهل الإيمان ببعثه،وطهّر بهديه من رجس الكفر وخبثه ،وأجار بإتباعه من عنت الشيطان وعبثه،وأوضح جاده التوحيد لكل مشرك الإعتقاد مثلّثه،وعلى أبينا أمير المؤمنين على إبن أبى طالب الـــذى جادلـــت يـــده بلســـان ذى الفقار،وقسم ولاؤه وعدواته بين الأتقياء والأشقياء الجنّة والنار،وعلى الأئمة من ذريتهما الذين أذل الله بعزتهم أهل الإلحاد،وأصفى بما سفكوه من دمـــائهم مـــوارد الرشـــاد،وجرت أيـــديهم وألسنتهم بأقوات القلوب وأرزاق العباد،وسلّم ومجّد ووالى وجدد.

وأن الله سبحانه ما أخلى قط دولة أمير المؤمنين التى هى مهبط الهدى ومحـــط النـــدى،ومورد الحياة للولىّ والردى للعدا،من لطف يتلافى الحادثه ويشعبها ويرأبُها،ونعمة تبلغ بهـــا النفـــوس أربها،وموهبة تشد موضع الكلم،وتســـد موضـــع الثلم،وتُجلـــى عمـــائم النعم،وتُحلـــى مغـــانم النّعم،وتستوفى شرائط المناجح،وتستدنى فوارط المصالح،ولم يكن ينسى الحادثـــه فـــى الســـيد الأجلّ الملك المنصور رضى الله عنه وأرضاه،وجعل الجنّة متقبله ومثـــواه،التى كـــادت لهـــا أواخى*[2] الملك تترعرع،ومبانى التذبير تتضعضع،إلا ما نظر فيه أمير المؤمنين بنور الله مـــن اصطفائك أيها السيّد الأجّل الملك الناصر-أدام الله قدرتك-لأن تقوم بخدمته بعده،وتســـد فـــى

---

[1]- سورة ألأنفال.آيه رقم (٣٣)

[2]* -أواخى:جمع أخيه،وهو عود يعرض فى الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة تشد إليه الدابة.

تقدمه جيوشه مسده،وتقفو فى ولائه أثره،ولا تفقد منه إلا أثره،فوازن الفارحة فيه النعمة فيك،حتى تستوفى حظه من أمير المؤمنين بأجر لا يضيع الله فيه عمله،فأستوجب معقد صدق بما أعتقده من تأدية الأمانة له وحمله،وأستحق أن ينضر الله وجهه بما أخلقه الله من مواقف الجهاد وبذّله،ومضى فى ذمام رضا أمير المؤمنين،وهو الذمام الذى لا يقطع الله منه ما أمره أن يصله ،وأتبع من دعائه بتُحف أول ما تلقاه بالروح والريحان،وذخرت له من شفاعته ما عليه معوّل أهل الإيمان فى الأمان،فرعى الله له قطعه البيداء إلى أمير المؤمنين وتجشمه الأسفار،ووطأه المواطئ التى تغيظ الكفار،وطلوعه على أبواب أمير المؤمنين طلوع أنوار النهار،وهجرته التى جمعت له أجرين:أجر المهاجرين وأجر الأنصار،وشكر له ذلك المسعى الذى بلغ من الشرك الثار،وبلغ الإسلام الإيثار،وما لقى ربه حتى تعرض للشهادة بين مختلف الصفاح،ومشتجر الرماح،ومفترق الأجسام من الأرواح،وكانت مشاهدته لأمير المؤمنين أجراً فوق الشهادة ،ومِنة لله عليه له بها ما للذين أحسنوا الحسنى وزيادة،وحتى رآك أيها السيّد الأجل الملك الناصر–أدام الله قدرتك–قد أقررت ناظره،وأرغمت مناظره،وشددت سلطانه،وسددت مكانه،ورضى بك فأصاب،وسقى بك فصاب،وجمعت ما فيه من أبهه المشيب إلى ما فيك من مضاء الشباب،ولقنت ما أفادته التجارب جمله،وأعانتك المحاسن لتى هى فيك جُله،وقلب عليك إسناد الفتكات فتقلبت،وأوضح لك منهاج البركات فتقّبلت،وسددك سهماً،وجردك شهماً ،وأنتضاك فأرتضاك عربا،وآثرك على آثر ولده إمامه فى التدبيروحرباً،وكتب فى السلم لسانه الآخذ بمجامع القلوب،وفى الحرب سنانه النافذ فى مضايق الخطوب،وساقته إذا طُلب،وطليعته إذا طَلب،وقلب جيشه إذا ثبت،وجناحه إذا وثب،ولا عُذر لشبل نشأ فى حجر أسد ،ولا لهلال أستملى النور من شمس وأستمد.

هذا ولو لم يكن لك هذا الإسناد فى هذا الحديث،وهذا المسند الجامع من قديم الفخر وحديث،لأغنتك غريزة عزيزة،وسجيَة ،وشيمه وسميه،وخلائق فيها ما تحب الخلائق،ونحائز لم يحز مثلها حائز،ومحاسن، ماؤها غير آسن،ومآثر جد غير عاثر،ومفاخر غفل عنها الأوّل ليستأثر بها الآخر،وبراعة لسان ينسجم قطارها،وشجاعة جنان تضطرم نارها،وخِلال جلال عليك شواهد أنوارها تتوضح،ومساعى مُساعد لديك كما تم نورها تتفتح،فكيف وقد جمعت لك فى المجد بين نفس وأب وعم،ووجب أن أسألك من اصطفاء أمير المؤمنين ماذا حصل ثمّ على الخلط عمّ،فيومك واسطه فى المجد بين غدك وأمسك،وكل نادِ من أندية الفخار لك أن تقول فيه

وعلى غيرك أن يمسك،فتراك أن أنعم أميرالمؤمنين موصولة منك بوالدٍ وولد،وأن شمس ملكه بكم كالشمس أقوى ما كانت فى بيت الأسد.

ولما رأى الله تقلب وجه أميرالمؤمنين فى سمائه ولاّه من اختيارك قبله،وقامت حجته عند الله بأستكفائك،وزيراً له ووزراً للمّلّه،فناجته مراشد الإلهام،وأضاءت له مقاصد لا تعقلهاكل الأفهام ،وعزم له على أن قلّدك تدبير مملكته الذى أعرقت فى إرثه وأغرقت فى كسبه،ومهّد لك أبعد غاية فى الفخر بما يسّر لك من قربه،ولقد سبق أميرالمؤمنين إلى أختيارك قبل قول لسانه بضمير قلبه،وذكر فيك قول ربه:"والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه"[1].وقلّدك لأنك سيف من سيوف الله تعالىيحق به التقلّد وله التقليد،وأصطفاك على علم بأنك واحد منتظم فى معنى العديد،وأحيا فى سلطان جيوشه سنة جدّه الأمام المنتصربالله فى أمير جيوشه الأول،وأقامك بعده كما أقام بعده ولده وانه ليرجو أن تكون أفضل من الأفضل،وخرج أمره إليك بأن يوعز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل لك بتقليده وزارته التى أحلك ربوتها،وأحل لك صهوتها،فتقلّد وزارة أميرالمؤمنين من رتبتها التى تناهت فى الأناقة،إلى أن لا رتبة ألا فوقها إلا ما جعله الله تعالى للخلافة،وتبوأ منها صدراً لا تتطلع إليه عيون الصدور،وأعتقل منها فى درجة على مثلها تدور البدور:"وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور[2]":وقل"الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور[3]".

وباشر مستبشراً.وأستوطن متدبراً،وأبسط يدك فقد فوّض إليك أميرالمؤمنين بسطاً وقبضاً،وأرفع ناظرك فقد أباح لك رفعاً وخفضاً،وأثبت على درجات السعادة فقد جعل لحكمك تثبيتاً ودحضاً،وأعقد حُبى العزمات فقد أطلق بأمرك عقداً ونقضاً،وانفذ فيما أهلّك فقد أدى بك نافلة من السياسة وفرضاً،وصرف أمور المملكة فاليك الصدق والتصريف،وثقف أود الأيام فعليك أمانة التهذيب والتثقيف وأسحب ذيول الفخار حيث لا تصل التيجان وأملأ لحظاً من نور الله تعالى حيث تتقى الأبصار لحين الأجفان،إن هذا لهو الفصل المبين فارتبطه بالتقوى الت ىهى عروة النجاة وذخيرة الحياة والممات،وصفوة ما تلقى آدم من ربه من الكلمات،وخير ما قدمته النفوس لغدها فى أمسها،وجادلت يوم تجادل كل نفس عن نفسها،قال الله سبحانه وتعالى،ومن

---

[1] - سورة الأعراف.آيه رقم(٥٨)
[2] -سورة لقمان.آيه رقم(١٧)
[3] -سورة فاطر.آيه رقم (٣٤)

أصدق من الله قيلا:"والآخرة خير لمن أتقى ولا تُظلمون فتيلا"[١].وأستتم بالعدل نعم الله عليك،وأحسن كما أحسن الله إليك،وآمر بالمعروف فأنك من أهله،وأنه عن المنكر كما كنت تتنزهت عن فعله ،وأولياء أميرالمؤمنين وأنصاره الميامين،ومن يحق بمقام ملكه من الأمراء المطوقين،والأعيان المعصبين،والأماثل والأجناد أجمعين،فهم أولياؤه حقاً،ومماليكه رقاً،والذين تبوءوا الدار والإيمان سبقاً،وأنصاره غرباً كما أن عسكرك أنصاره شرقاً،فهم وهم يد فى الطاعة على من ناواهم،يسعى بذمتهم أدناهم وتحكم وأنت عند أميرالمؤمنين أعلاهم.

هذا وقد كان السيد الأجل الملك المنصور-رضى الله عنه-أستمطرهم إنعام أميرالمؤمنين المسامحه بعقلهم،وساوى فى هذه المنقبة التى أستحق بها حسن الذكرين طوائفهم وفرقهم،فصنهم من جائحات الإعتراض ،وأبذل لهم صالحات الأغراض،وأرفع دونهم الحجاب،ويسر لهم الأسباب،وأستوف منهم عند الحضور إليك غايات الخطاب،وصرّفهم فى بلاد أميرالمؤمنين ولاة وحُماه،كما تصرفهم فى أوقات الحرب لماة وكماة،وعرفهم بركة سلطانك،وأقتد قلوبهم بذمام إحسانك.

وأمّا القضاة والدعاة فهم بيت كفالتك وهديك،والتصريف على أمرك ونهيك،فأستعمل منهم من أحسن عملا،فأمّا بالعنايات فلا.

والجهاد فأنت راضع درّه،وناشئة حجره،وظهور الخيا مواطنك،وظلال الجبل مساكنك،وفى ظلمات مشاكله،تجلى محاسنك،وفى أعقاب نوازله ،تتلى ميامنك،فشمّر له عن ساق من القنا،وخض فيه بحراً من الظبا،وأحلل فيه عقدة كلمات الله سبحانه وثيقات الحُبى،وأسل الوهاد بدماء العدا وأرفع برؤسهم الرّبا،حتى يأتى الله بالفتح الذى يرجو أمير المؤمنين أن يكون مذخوراً لأيامك ومشهودا به يوم مقامك بين يديه من لسان إمامك.

والأموال فه زُبدة حلب اللطف لا العنف،وجُمّة يمتريها الرفق لا العسف،وما برحت أجد ذخائر الدّول للصفوف،وأحد أسلحتها الت ىتمضى وقد تبؤ السيوف،فقدم للبلاد الإستعمار،تقدم لك الإستثمار،وقطرة من عدل تتخذ بها من مال بحار.

والرعايا فهم ودائع الله لأميرالمؤمنين وودائعه لديك،فأقبض عنهم الأيدى وأبسط بالعدل فيهم يديك،وكن بهم روؤفاً،واجعل الضعيف منهم فى الحق قوياً والقوى فى الباطل ضعيفا،ووكل برعايتهم ناظر إجتهادك،وأجعل ألسنتهم بالدعاء من سلاحك وقلوبهم بالمحبة من أجنادك،ولو

---

[١] - سورة النساء.آيه رقم(٧٧)

جاز أن يستغنى عن الوصيّة قائم بـأمر،أو جـالس فـى صدر،لأستغنيت عنهـا بفطنتـك الزكية،وفطرتك الذكية،ولكنها من أمير المؤمنين ذكرى لك وانت من المؤمنين،وعَرابـه بركـه فتلق رايتها باليمين،والله تعـالى يؤيـدك أيهـا السـيّد الأجّـل-أدام الله قـدرتك- بالنصـر العزيز،ويقضى لدولة أمير المؤمنين على يديك بالفتح الوجيز،ولأهلهـا فـى نظـرك بـالأمر الحريز.ويُمتع دست الملك بحلىّ مجدك الإبريز،ويقر عيون الأعيان بما يظهر لك فـى ميـدان السعادة من السبق والتبريز،ويُملّيك من نِحلة أنعـم أمير المـؤمنين بمـا ملكـت إيـاه ملـك التحويز،ويُلحق بك فى المجد أولك،ويُحمد فيك العواقب ولك،فأعلم ذلـك مـن أمير المـؤمنين ورسمه،وأعمل بموجبه وحكمه،إن شاء الله تعالى"[1] .

بدأ القاضى الفاضل هذا العهد بلفظ :"من فلان" ،ثم أتى بعد ذلك بلفظ "أما بعد".ثـم أتـى بعـد البعديه بالتحميد وقد ذكره فى هذا العهد ثلاث مرات.

ثم نلمس فى هذا العهد كثرة الإقتباس من القرآن الكريم،بآيات صريحة مثل قوله:"ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها "-وأخذه من قوله تعالى:"ما كان الله ليعذبهم وأنـت فـيهم..".أو إقتباس فيع إشارة وذلك فى مثل قوله:"حتى تستوفى حظه من أمير المؤمنين بأجر لا يضـيع الله فيه عمله".أخذاً من قوله تعالى:"إن الله لا يضيع أجر عامل...الخ"،وأيضاً فى مثل قوله:"وصفوة ما تلقى آدم من ربه من الكلمات".أخذاً من قوله تعالى :"إذ تلقى آدم من ربه كلمات".

وأيضاً تظهر فى هذا العهد الصور البيانية بشتى أنواعها من جناس وطباق ومقابلة وتظهر فيها صور التشبيهات ،ونلمس الجناس فى مثل قوله:"وقلّب عليك إسناد الفتكات فتقبلت،وأوضح لك منهاج البركات فتقبلّت".ويظهر الطباق فى قوله:"بسطاً وقبضاً""وأرفع ناظرك فقد أباح لك رفعاً وخفضاً"."والتصريف على أمرك ونهيك"-"فأقبض عنهم الأيدى ،وأبسط بالعدل فـيهم يـديك"- وتتجلى المقابلة فى قوله:"أمات به غيا وأحيا به رشدا"- وقوله:"وأجعل الضعيف منهم فى الحق قويا والقوى فى الباطل ضعيفا".

أمّا السجع فإنه لا يلتزمه إلتزاماً فى كل نواحى الرسالة،فإنه يأتى به فى مواضع ،ثـم يتركـه ويعود إليه مرة ثانية.

---

[1] -صبح الأعشى.القلقشندى.ج١٠.مرجع سابق.ص ٩١-٩٨.

أمّا عن الصورة العامة لهذا العهد فإن كاتبه يوصى من يقع عليه تولى أمرالمسلمين أن يلتـــزم بتوخى العدل فى كل جوانبه من قضاه ورعاية أموال الدوله وغيرها. ثمّ يخـــتم هـــذا العهـــد بالدعاء له،والتأييد والنصرة من عند الله تعالى.

المبحث الثالث:-

رسائل العباسيين فى شتى المجالات:-

١. رسالة عهد وولاء للخلافة
٢. رسالة أسماعيل بن صبيح لعمّال الدولة
٣. رسالة أحمد بن إسرائيل فى الوعيد والأنذار
٤. رسالة عمرو بن مسعدة فى الفكاهة
٥. رسالة عبدالله بن المعتز فى الوصف
٦. رسالة عمرو بن مسعدة عن المأمون فى الوصيّة
٧. رسالة القاضى الفاضل فى خبر فتح

المبحث الثالث: رسائل العباسيين فى شتى المجالات:-

١- رسالة عهد وولاء للخلافة:-

هذه الرسالة تُعد من الرسائل الديوانية التى كتب بها القاضى الفاضل على لسان صلاح الدين الأيوبى إلى الخلافة ببغداد،فيها توضيح لولائه للخليفة،وتعهده بمولاة نصره بكل ماأوتى من جهد وقوة،وإذ يقول:

"أسعد الله عظماء الأملاك*[١]بالأنتساب إلى الخدمة الشريفة النبوية،وأفزعهم ما أمرهم به من طاعته .وخلّد ملك الديوان العزيز النبوى ما دامت الأفلاك قائمة،والنجوم على ناجمة*[٢]،ونقع*[٣]بغمائمها غُلل الآمال الحائمة،وفسّر مع مكارمها حُلم الأمانى الحالمة،ورتق*[٤] بتدابيرها المعصومة فتوق النوب المتعاظمة،وأظهر على أيدى أوليائها معجزات نصرها،وصرف الأيام والليالى بين المرضيين لله إليها نهيها وأمرها وأودع بركات السماء والأرض بمودعها هذا ومستقرها.

المملوك-وإن كان قد يسر الله له مذ أطلقت عذبه*[٥] لسانه خدمة الدولة العباسية،فتفسح فى وسيع مآثرها،وتخيّر من بديع جواهرها،وأمتاج من نمير*[٦]ذواخرها-فإنه لا يعتذر عن الحصر*[٧]الذى أعتراه فى وصف المنعم عليه به من الخطاب الشريف،الذى لولا أن عصمة الموالاة تثبت فؤادهالخافق،وتسدد لسانه الناطق،لما تعاطى وصف ما أعطاه من كتابه المرقوم*[٨] ،وسبق إليه من سحابه المركوم *[٩]فإنه مما يسف عنه الأمل ناكصاً*[١٠]،وهو كبير،وينقلب دونه البصر خاسئاً وهو حسير.إلا أن الإنعام الشريف يبدأ الأولياء بما لو وكلهم

---

[١] *الأملاك:جمع ملك

[٢] *نجم:ظهر

[٣] *نقع:روى

[٤] *رتق:ضد الفتق

[٥] *العذبه:الطرف

[٦] *النمير:الزاكى من الماء

[٧] * الحصر:العى فى الكلام

[٨] * المرقوم :من رقّم الكتاب أعجمه وبيّنه

[٩] * الركم:جمع شئ فوق آخر

[١٠] *نكص: أحجم

إلى أمانيّهم لتهييت أن تتعاطى حظيّته،ولو فوضه إلى راحتهم لنكّلت أن تترقى نصـــيّته*[1].ولا غرو للسحاب أن يصافح قطره الثرى،والفجر أن يُشرق نوره على عين الكرى والسّرى.

فالحمد لله الذى قرّب على المملوك منال الآمال زثبت حصاة فؤاده لما لا تستثقل بحمله صُــم الجبال.ويستنيب عن جهر الشكر بسر الأدعية،ويقتصر على ما يقضى به إلى المحاريــب وإن لم يقصّر عما يقصه فى الأندية،ويطالع بأن مملوك الخدمة وإبن مالكها أخذ الكتاب بقوة.وشّمر لخدمة أشرف خلافة لأشــرف نبوة،وتلقــاه تلقـــى أبيــه الأول الكلمـــات.ورأى إطـــلاع الله لأميرالمؤمنين على ما فى ضميره من طاعته إحدى المجــزات والكرامات،وســمع المشــافهة خاشعاً منصدعاً.وأشتمل عليها بفهمه سامياً طرفه متطلعاً.

ولقد أشبه هذا الكتاب الكريم بيعة أُخذت عليه،مدّ إليها يده آخذاً بكلتا يديه.والمملوك يرجو بــل يتحقق أن هذا العبد المشار إليه سيوفى على سابقه من عبيد الدولة العباسية فى الزمان،ويكون بمشيئة الله أسبق منهم بالإحسان.

وقد صدرت خدمتان من جهته وبعدهما تصدر الحزم،ولا يألوا حهداً فى الخدمتين مباشراً بيــده السيف ومستنيباً عنها العلم،وله نصره باقية فى الولاء وهو غنىّ بها عــن النصير،وســريره بادية فى الطاعة وهو إليها أسكن منها إلى كل مثير،يعود المملوك إلى ما لا يزال يفتــتح بـــه الصلوات المفروضة،ويختتم به الختمات المعروضة من الدعاء الصالح الــذى وإن أغنـــى الله وليّه عنه،فقد أحوج ذوى العقائد السليمة إليه،لأنه مبروك لأعمالهم،بل متمم لإسلامهم،وكيف لا يدعون لمن يدعون به يوم يدعى كل أناس بإمـــامهم،فيقول:جمـــع الله لأميرالمــؤمنين طاعـــة خلقه،وأذل رقاب الباطل سيف حقه؛وجعل الله ما هو قبضته فى الأخرى قبضة أميرالمــؤمنين فى الأولى من الأرض التى هى موطوءه كالسموات العلـــى،وأدام نعمـــه علـــى هـــذه الأمـــة بإمامته،وأظهر كرامة نبيّه–عليه السلام –بما يُظاهره من كرامته،وعجل لمن لا تقوم بفــرض ولايته إقامة قيامته،وردّ بسيوفه التى لا تُرد ما الإسلام ممطول به من ظلامته،وأقام به منـــاهج الدين لأهله،وأظهره بمظاهرته على الدين كله،حتى يلقى الله وما خلّف فى الــدنيا كـــافراً،ولا ضميراً إلا بالتوحيد عامرا،ولا بلداً إلا وقد بات الإسلام به آهلاً وقد أصبح منه الكفر داثراً،إن شاء الله تعالى."[2]

---

[1] *نصيّته:أنصى الجبل بمعنى طال وأرتفع

[2] –أعلام الأدب العباسى.محمد رضوان الدايه.ط٧. ١٤٠٣هـ.١٩٨٧م.ص٢١٠-٢١٤.

تدل هذه الرسالة على ولاء صلاح الدين للخلافة،وتعهده بموالاة نصرة الدولة.

بدأ القاضى الفاضل، وهو من الكتّاب البلغاء فى الدولة العباسية،الرسالة بالدعاء للخليفة،وختمها بالولاء للخلافة.ويُلاحظ فى هذه الرسالةظاهرة التطويل فى مجال كان لا يحتل من الرسالة إلا حيّزاً ضيقاً،إذ شمل الدعاء-الإستفتاح-التحميد-عبارة الختام-كما شمل العبارات نفسها فى معظم جوانب الرسالةفنجد بين البدء والختام بون واسع،والتطويل الذى لجأ إليه القاضى الفاضل فى العبارات أدخل فيها نوعاً من الإبهام،وذلك بسبب حشوها بكلام غير أساسى،أو بسبب اللجوء إلى أنواع الصنعة،كما يُلاحظ فى مقدمتها:"ونقع بغمائمها غُلل الآمال الحائمة...الخ".

أيضاً لجأ الكاتب إلى أسلوب السجع والجناس والإقتباس من معانى القرآن الكريم.وذلك فى مثل قوله:"وأوزعهم ما أمرهم به من طاعته"أخذاً من قوله تعالى:"رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ"[1].

وقوله:"أودع بركات السماء والأرض بمودعها ومستقرها"أخذاً من قوله تعالى:"الذى أنشأكم من نفس واحده فمستقر ومستودع"[2].

وقوله:"لولا إن عصمة الموالاه تثبت فؤاده الخافق"،أخذاً من قوله تعالى:"نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك"[3].وقوله :"وينقلب دونه البصر خاسئاً وهو حسير"أخذاً من قوله تعالى:"ثم أرجع البصر كرتين ينقلبإليك البصر خاسئاً وهو حسير"[4].وقوله:"بأن مملوك الخدمة وإبن مملوكها أخذ الكتاب بقوة"،أخذاً من قوله تعالى:"يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا"[5].وقوله :"تلقاه تلقى أبيه الأول الكلمات"،مأخوذاً من قوله تعالى:"وإذ إُبتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن"[6].وقوله:"وسمع المشافهة خاشعاً متصدعاً"أخذاً من قوله تعالى:"لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله"[7] .

---

[1] -سورة النمل.آيه رقم(١٩)
[2] - سورة الأنعام.آيه رقم(٩٨)
[3] - سورة هود.آيه رقم(١٢٠)
[4] -سورة الملك.آيه رقم(٤)
[5] -سورة مريم.آيه رقم(١٢)
[6] - سورة البقرة.آيه رقم(١٢٤)
[7] -سورة الحشر.آيه رقم (٢١)

ونجده قد لجأ غلى الإزدواج بدلاً عن السجع فى بعض الفقرات.وذلك مثل"ولا يألوا جهداً فـــى الخدمتين مباشراً بيده السيف...الخ".

ومجمل القول نجد أن القاضى الفاضل أحدث فيها أشياء تختلف عن عصر السياقة فى الرسائل الديوانية مثل التطويل وأستخدام بعض العبارات التى لم تكن شائعة من قبل مثل "المملوك"الذى هو دون الخليفة."الخدمة"بمعنى أعمال صلاح الدين،وأيضاً برز فيها إطالة التمهيدات وعبارات البدء والختام.[١]

[١] ـ أعلام الأدب العباسى.رضوان الداية.مرجع سابق.ص٢٤٣ـ٢٤٤.

٢- رسالة أسماعيل بن صبيح لعمّال الدولة:-

هذه رسالة كتب بها أحد البلغاء المجيدين لعصر المهدى ألا وهو أسماعيل بن صبيح لعمّال الدولة فيها وعيد وأنذار لهم إذ يقول:

"أمّا بعد،فإن الله حبب إلى كل مسلم شُعبة من دينه،فمنهم من حبب إليه الصلاة،فهو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الأخرة،ومنهم من حبب إليه الزكاة،فهو ينفق ماله بالليل والنهار سراًوعلانية،إبتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم،ومنهم من حبب إليه الجهاد،فهو بين المسلمين وبين عدوهم،يذبّعن حريمهم ويقاتل دونهم،وفاءً بعهد الله وتسليما لبيعة الله.فأما الراسخون فى العلم ممن قد عرف سيرتك،وما أبدى الله لهم من سريرتك،فقد أقتصروا على بغضك ،ثقةٍ والله بعداوتك،فهم لا يوترون*[١]،إلا بك وبأشباهك،ولا يرون القنوت اليوم واجباً إلا من اجلك واجل أضرابك*[٢]،ولا يعتمدون بالدعاء فيه إلا عليك وعلى أمثالك،حفظاً على صلواتهم،ورعاية لما أئتمنوا عليه من دينهم،ووفاءً بعهد الميثاق الذى أُخذ عليهم:أن يصلوا مع الله وملائكته على رسوله،وأن يلعنوا مع الله من لعن من أعدائه وأهل مصيبته،فهم يعرضونك على الله فى أدبار السجود،وعند إدبار النجوم،ويسألون بآلائه مخلصين،وبأسمائه ملحفين،أن يصيبك بعذاب من عنده أو بأيديهم،لما إستحلت جنودك من سفك الدماء،وأباحت رسلك من حُرم النساء،ولِظلمك اليتامى،وأفترائك على ذى القربى،وتعريضك إياهم فى فتوحك للعقاب والهلكة والخلاق والمعصية،فويل لك ولكتّابك مما كتبت أيديكم وويل لكم مما تكسبون،فقد وردت كتبك بحمدالله من أميرالمؤمنين-حفظه الله-على حلم لا يوهنه الغضب،وعلى عمل لا يغيّره الكذب،وعلى إيمان لا يستخفه الذين لا يوقنون،حفظ الله أميرالمؤمنين حفظاً يكون له حصناً من عذابه،وحرزاً من غضبه،وحاجزاً من معصيته،ونوراً يستضئ به يوم لقائه فى خلقه،ويهتدى به إلى جنته"[٣].

بدأ الكاتب رسالته بالبعدية،ثم أخذ يوضح لهم شُعب الإسلام وأن كل مسلم له شُعبه محببه إلى نفسه،والملاحظ فى هذه الرسالة انها مطلقة تماماً من المحسّنات مع كثرة إستخدامه للإقتباس،إذ نلمس شيوعه فى هذه الرسالة وذلك فى المواضع الآتية:-

---

[١] *أوتر: أى صلى الوتر

[٢] * الأضراب:جمع ضرب بالفتح وهو المثل

[٣] - جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.مرجع سابق.ص ٢١٣-٢١٥.

قوله:"فهو قانت آناء الليل ساجدا...الخ"أخذاً من قوله تعالى:"أمّن هو قانت آناء الليل.."[1]،وقوله:"فهو ينفق ماله بالليل والنهار...الخ"أخذاً من قوله تعالى:"الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[2].وقوله:"إبتغاء مرضاة الله...الخ"،أخذاً من قوله تعالى:"ومثل الذين ينفقون أموالهم إبتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم...الخ بما تعملون بصير"[3]،وقوله:"ورعاية لما أئتمنوا عليه من دينهم".إقتباساً من قوله نعالى:"والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون"[4]،وقوله:"أن يصلوا مع الله وملائكته على رسوله".أخذاً من قوله تعالى:"إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً"[5].وقوله :"وأن يلعنوا مع الله من لعن من أعدائه"،أخذاً من قوله نعالى:"أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون"[6].وقوله فهم يعرضونك على الله فى أدبار السجود...الخ"،أخذاً من قوله تعالى:"ومن الليل فسبحه وإدبار السجود"[7].وقوله :"أن يصيبك بعذاب من عنده أو بأيديهم".أخذاً من قوله تعالى:"ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا"[8].وقوله:"فويل لك ولكتّابك مما كتبت أيديكم وويل لكم مما تكسبون"،من قوله تعالى:"فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون"[9].وقوله:"لا يستخفه الذين لا يوقنون"،أخذاً من قوله تعالى:"ولا يستخفنك الذين لا يوقنون"[10].

إذن الصورة الفنيّة الشائعه فى هذه الرسالة هى كثرة الإقتباس من القران الكريم،ثم ختم الكاتب هذه الرسالة بالدعاء لأميرالمؤمنين.

[1] – سورة الزمر.آيه رقم (٩)
[2] – سورة البقرة .آيه رقم(٢٧٤)
[3] – سورة البقرة.آيه رقم(٢٦٥)
[4] –سورة المؤمنون.آيه رقم(٨)
[5] – سورة الأحزاب.آيه رقم (٥٦)
[6] – سورة البقرة.آيه رقم(١٥٩)
[7] – سورة ق.آيه رقم(٤٠)
[8] – سورة التوبه.آيه رقم (٥٢)
[9] – سورة البقرة.آيه رقم(٧٩)
[10] – سورة الروم .آيه رقم (٦٠)

٣- رسالة أحمد بن إسرائيل فى الوعيد والإنذار:-

هذه رسالة أخرى تحمل معنى الوعيد والإنذار كتب بها أحد كتّاب الفترة الثانية من العصر العباسى الأ وهو أحمد بن إسرائيل الذى كان وزيراً للخليفة المعتز،ويُعد من الكتّاب البارعين فى هذا العصر،هذه الرسالة وجهها إلى عمّال الذولة حين أعطاهم المعتز الحق فى التنكيل بأعدائه،وهى تمتلئ وعيداً وتهديداً،وفيها يقول:

"أما بعد،فإن زيغ الهوى صدف بكم عن حزم الرأى،فأقحمكم حبائل الخطأ،ولو ملكتم الحق عليكم وحكمتم به فيكم لأوردكم البصيرة ونفى غيابة*[١] الحيرة،والآن فإن تجنحوا للسلم تحقنوا دمائكم وترغدوا عيشكم ويصفح أميرالمؤمنين عن جريرة جارمكم،ويسبغ النعمة عليكم،وإن مضيتم على غلوائكم وسوّل لكم الأمل أسوأ أعمالكم فأذنوا بحرب من الله ورسوله بعد نبذ المعذرة إليكم وإقامة الحق عليكم.ولئن شُنت الغارات وشبّ ضرام الحرب،ودارت رحاها على قطبها وحسمت*[٢] الصوارم أوصال حماتها،وإستجرت*[٣] العوالى من نهمها،ودُعيت نزال،والتحم الأبطال،وكلحت الحرب عن أنيابها أشداقها،وألقت للتجرد عنها قناعها،وأختلفت أعناق الخيل،وزحف أهل النجدة إلى أهل البغى لتعلمن أى الفريقين أسمح بالموت نفساً،وأشد عند اللقاء بطشاً،ولات حين معذرة،ولا قبول فدية،فقد أعذر من أنذر،"وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون"[٤].

تمتاز هذه الرسالة بضبط الصياغة وإحكامها،كما يكثر فيها الإقتباس من القرآن الكريم،وذلك فى مثل قوله:"فإن جنحوا للسلم فأجنح لها ...الخ"[٥].وقوله:"فأذنوا بحرب من الله ورسوله "[٦].وقوله:" وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينفلبون"[٧].

ذلك وإن دل إنما يدل على ثقافة الكاتب وبراعته وقدرته على التصريف والقياس فى بعض الكلمات،وذلك عند إستخدامه كلمة "أستجرت"بدلاً عن "إجترت".

---

[١]-* غيابه:غشاوه

[٢] -* حسمت قطعت

[٣] -* إستجرت:إجترت

[٤] - سورة الشعراء.آيه رقم (٢٢٧)

[٥] - سورة الأنفال.آيه رقم(٦١)

[٦] - سورة البقرة.آية رقم (٢٧٩)

[٧] - سورة الشعراء.آيه رقم(٢٢٧)

وكذلك نجده قد أستخدم فى هذه الرسالة بعض الأمثال مثل:"ودعيت نزال".وهو مثل يُضـــرب لإحتدام الحرب.ومثل:"قد أعذر من أنذر".

وكذلك تمتاز هذه الرسالة بامتلأئها بالعديد من الصور البيانية مثل:إســباغ النعمـــة –ضـــرام الحرب–دارت رحاها على قطرها–حسمت الصوارم أوصال حمائها– كلحـــت الحـــرب عـــن أنيابها–ألقت للتجرد عنها قناعها"

تلك الصور التى قصد إليها الكاتب ليدل على براعته الفنيّة.

٤- رسالة عمرو بن مسعده فى الفكاهة:-

العلاقات بين الناس إذا أستمر صفاؤها وعمقت جذورها وتنوعت أسـبابها فـى ظـل حيـاة إجتماعيّة ميسرة،تحولت بسرعة إلى الجانب الباسم البعيد عن التكلف،وجنحت إلـى السـهولة والبساطة.ولبيان أسلوب الفكاهة فى الكتابة وبراعتهـا،نعرض لهـذا النمـوذج لعمـرو بـن مسعده،الذى يداعب فيه صديق وقد تزوجت أمه وهى فى سن يرفض فيه المجتمع الزواج مـن إمرأة كبيرة وارملة ولها أبناء.

"الحمدلله الذى كشف عنا ستر الحيرة،وهدانا لستر العورة،وجدع بما شرع من الحـلال أنـف الغيرة،ومنع من عضل*[1] الأمهات،كما منـع مـن وأد البنات،إسـتنزالاً للنفـوس الأبيّـة،عن الحميّة،حميّة الجاهليّة،ثم عرض لجزيل الأجـر،من إستسـلم لواقـع قضـائه،وعوض جليـل الذخر،من صبر على نازل بلائه،وهنأك الذى شـرح للتقـوى صدرك،ووسـع فـى البلـوى صبرك،والهمك من التسليم بمشيئته،والرضا بقضيته،ما وفقك له من قضاء الواجب فـى أحـد أبويك،ومن عِظم حقه عليك،وجعل الله-تعالى جدّه-مـا تجرعتـه مـن أنف،وكظمتـه مـن أسف،معدوداً فيما يعظم به أجرك،ويجزل عليـه ذخرك،وفـرت بالحاضـر مـن إمتعاضـك بفعلها،النتظر من إرتماضك*[2] بدفنها،فتستوفى بها المصيبة،وتستكمل عنها المثوبة.

فوصل الله ليسدى ما إستعرته م الصبر على عرسها،يستكسبه من الصبر على نفسها،وعوضه من أسرّة فرشها ،أعواد نعشها وجعل- تعالى جّده-ما ينعم بها عليه مـن نعمة،معـدّى مـن نقمة،وما يوليه بعد قبضها من منحة،فأحكم الله- تعالى جدّه وتقدّست أسماؤه-جارية على غيـر مراد المخلوقين،ولكنه تعالى يختار لعباده المؤمنين،ما هو خير لهم فى العاجلة،وأبقى لهم فـى الآجله،أختار الله لك فى قبضها إليه،وقدومها عليه،ما هو أنفع لها وأولى بها،وجعل القبر كفئـاً لها ،والسلام."[3]

تمتاز هذه الرساله بروح الطرافة والفكاهة التى تُذهب عن قارئها الهم والحزن،هـذا بجانـب ملئها بالصور البديعية من مثل السجع الذى ألتزمه فـى فقراتـه:"سـترالحيرة ،هـدانا لسـتر

---

[1] - *عضل:منعها الزواج ظلماً

[2] - * امتعض من الأمر:شقّ عليه/إرتمض:إشتد عليه

[3] -الأدب فى موكب الحضارة الإسلاميّة مصطفى الشعكة.مكتبة الأنجلوالمصرية.١٩٦٨.ص ٤٩٦- ٤٩٧.

العوره،وجدع بما شرع أنف الغيرة".وأستخدامه للجناس فى قولـــه:"نعمـــه–نقمـــه" "منحـــة – محنة".ونلمس تلاعبه بالمتقابلات من العبارات فى مثل قوله:"إمتعاضك بفعلها– المنتظـــر مـــن إرتماضاك".

ثمّ لجأ الكاتب إلى الإقتباس الذى نستنتجه إستنتاجاً من قوله:"ثم عرض لجزبـــل الأجـــر ،مـــن أستسلم لواقع قضائه،وعوض جليل الذخر،من صبر علـــى نـــازل بلائـــه"،أخـــذاً مـــن قولـــه تعالى:"وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون"[١]

[١] – سورة البقرة.آيه رقم(١٥٦)

٥- رسالة عبدالله بن المعتز فى الوصف:-

من الموضوعات التى أهتم بها الكتّاب العباسيين الوصف،فقد وصفوا كل ما يقع فى ناظرهم،وأجادوا وأبدعوا،فها هو عبدالله بن المعتز يصف الكتاب والقلم بأروع ما يكون الوصف قائلاً:-

"الكتاب والج الأبواب،جرئ على الحجّاب،مفهّم لا يفهم،ناطق لا يتكلم،به يشخص المشتاق إذا أقعده الفراق.

والقلم مجهّر لجيوش الكلام،يخدم الإرادة،ولا يمل الإستزاده،يسكت واقفاً،وينطق سائراً،على أرض بياضها مظلم،وسوادها مضئ،وكأنه يقبّل بساط سلطان،أو يفتح نوّار بستان"[١].

تتسم هذه الصورة بالروعة فى تلك الرسالة التى يصف فيها إبن المعتز الكتاب والقلم،ففى وصفه أناقة وفخامة تعبيرات مستوحاة من بيئته المترفه. كما نجد أنه يقتنص المعانى فى أسلوب رقيق ويُلبسها جميل الألفاظ،كما نجد أستخدامه المحسنات البديعية زادها روعة على روعتها وذلك مثل السجع :"والج الأبواب-جرئ على الحجّاب"-"به يشخص المشتاق-إذا أقعده الفراق".

وأستخدامه للمقابله فى مثل قوله:"على أرض بياضها مظلم-سوادها مضئ"-والتشبيه والكنايه فى قوله:"كأنه يقبّل بساط سلطان".

[١] - زهر الآداب.إبراهيم بن على الحصرى.تحقيق زكى مبارك.ط٣.ج٣.القاهرة.مكتبةالسعادة. ١٩٥٣م.ص ٣٢.

٦- رسالة القاضى الفاضل فى خبر فتح:-

كتب القاضى الفاضل إلى الناصر فى بغداد على لسان صلاح الدين يخبره بفتح القدس وذلك بقوله:"وكتاب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو الذى تشظت قناته شفقاً،وطارت فرقه فرقاً،وفلّ سيفه فصار عصا،وصدعت حصاته وكان الأكثر عدداً وحصى،فكلت حملاته،وكانت قدرة الله تصرف فيه العنان بالعيان،عقوبة من الله ليس لصاحب يدٍ بها يدان،وعثرت قدمه ونت الأرض لها حليفة،وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كسيفة،ونام جفن سيفه وكانت يقظته تريق نطف الكرى من الجفون،وجدعت أنوف رماحه وطالما كانت شامخة بالمنى أو راعفة بالمنون. فبيوت الشرك مهدومة،ونيوب الكفر مهتومة،وطوائفه المحامية مجتمعة على تسليم البلاد الحامية،وشجعانه المتوافية،مرغنه ببذل المطامع الوافيه،لا يرون فى ماء الحديد لهم عصرة ،ولا فى فناء الأفنية لهم نصرة،وقد ضُربت عليهم الذلة والمسكنة،وبدّل الله مكان السيئة الحسنة،ونقل بيت عبادته من أيدى أصحاب المشأمة إلى أيدى أصحاب الميمنة،ولم يبق إلا القدس،وقد أجتمع إليها كل شريد منهم وطريد،وأعتصم بمنعتها كل قريب منهم وبعيد،...الخ"[1]

ففى هذه الرسالة إستطاع القاضى الفاضل أن يجمع فيها كل أنواع البديع،فالمجاز نلمسه فى قوله"كلّت حملاته" "والأرض لها حليفة" و"عيون السيوف كسيفة" و"نام جفن سيفه" و"جدعت أنوف رماحه".أمّا الكناية فتتمثل فى قوله"صدعت حصاته" و"فلّ سيفه"و"وعثرت قدمه" و"وأصحاب المشأمة"و"أصحاب الميمنة".هذا بالأضافة إلى الطباق والجناس والإقتباس.

[1] - بلاغة الكتّاب.محمد نبيه حجاب.مرجع سابق.ص ١٩٧-١٩٨.

٧- رسالة عمرو بن مسعدة عن المأمون فى الوصيّة:-

كتب عمرو بن مسعدة عن المأمون إلى بعض عمّاله بالوصيّة عليه والإعتناء بأمره إذ يقــول:" كتابى إليك كتاب واثق بمن كتبت إليه،معنى بمن كتبت له،ولن يضــيع بــين الثقــة والعنايــة موصله،والسلام"[١]

نلمس فى هذه الرسالة الإيجاز الذى التزمه الكاتب،فقد أدى المضمون فى إيصال الغرض بقليل من العبارات ،فأصاب بذلك وأفهم.

[١] - الرسائل الأدبية.صالح بن رمضان .مرجع سابق ص ٣٤٧.

المبحث الرابع:-

رسائل الأمان

١. أمان أبى جعفر المنصور لأبن هبيرة

٢. أمان أبى جعفر المنصور للنفس الزكيّة

المبحث الرابع: رسائل الأمان:-

هى من الكتب التى برع فيها العباسيون وتفننوا فى صياغتها وضبطها،ونعنى بالأمان ما كـان يصدر من الخلفاء فى شأن أحد من رعيتها أو وزرائها عندما يخرجون عن الحدود،ولكى نتبيّن طريقتهم فى كتابة الأمان لا بدّ من أخذ نماذج منها:

١ - أمان أبى جعفر المنصور لأبن هبيرة:-

فمن كتب الأمان ما كتبه أبوجعفر المنصور فى شأن إبن هبيرة وكان قد حصـره شـهوراً،ثم جرت السفراء بينهم بالصلح حتى جعل له أماناً،وكتب له كتاباً مكث فيه إبن هبيرة أربعين يوماً يشاور العلماء حتى رضيه،وكان قد ضم الأمان فى طياته ما يلىّ:

"بسم الله الرحمن الرحيم:هذا كتاب مـن عبـدالله بـن محمـد بـن علـى أبـى جعفرولـىّ أمرالمسلمين،ليزيد بن هبيرة ومن معه من أهل الشام والعراق وغيـرهم فـى مدينـة واسـط وأرضها من المسلمين والمعاهدين،ومن معهم من وزرائهم.

إنى أمنتكم بأمان الله الذى لا إله إلا هو،الذى يعلم سرائر العباد،ويعلم ما تُخفى الصـدور،وإليه الأمر كلـه،أماناً صـادقاً لا يشـوبه غـش،ولا يخالطـه باطـل،على أنفسـكم ووزرائكـم وأموالكم،وأعطيت يزيد بن عمر بن هبيرة،ومن أمّنته فى أعلى كتابى هذا،الوفاء بما جعلت لهم من عهد الله وميثاقه،الذى واثق به الأمم الماضية مـن خلقه،وأخـذ علـيهم بـه أمره،عهـداً خالصاً،وذمة الله وذمة محمد،ومن مضى من خلفائه الصالحين،وأسلافه الطيبين،التى لا يسـع العباد نقضها،ولا تعطيل شئ منها،ولا ألاحتقار لها،وبها قامت السـموات والأرض والجبـال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها،تعظيماً لها،وبها حُقنت الدماء،وذمة روح الله وكلمته عيسى بـن مريم،وذمة أبراهيم،وأسماعيل،وأسحاق،ويعقوب،والأسباط،وأعطيتك ما جعلت لـك مـن هـذه العهود والمواثيق ولمن معك من المسلمين،وأهل الذمة،بعد إستئمارى فيما جعلـت لـك منـه عبدالله بن محمد أميرالمؤمنين،أعزّ الله نصره،وأمر بإنفاذه لكم،فأطمئن إلى ما جعلت لك مـن الأمان والعهود والمواثيق،وثق بالله وبأمير المؤمنين فيما سلم منه ورضى به،وجعلته لك ولمن معك على نفسى،ولك علىّ الوفاء بهذه العهود والمواثيق والذمم أشدّ ما أخذ الله وحرّمـه ومـا أنزل الله تبارك وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلّم،فإنه جعله كتاباً مبيناً لا يأتيه مـن بين يديه ولا من خلفه،ونوراً وحجة على العباد،حتى ألقى الله وأنا عليه،وأنا أشهد الله وملائكته

ورُسله،ومن قُــرئ عليــه كتــابى هــذا،من المســلمين والمعاهــدين بقبــول هــذه العهــود والمواثيق،وإقرارى بها على نفسى ،وتوكيدى فيها،وعلى تسليمى لك ما سألت،لا يغادر منهــا شئ،ولا يُنكث عليك فيها،وأدخلت فى أمانك هذا جميع من قِبلى من سيعة أميرالمــؤمنين مــن أهل خراسان،ومن لأمير المؤمنين عليه طاعة من أهل الشام والحرب وأهل الذمة،وجعلت لــك أن لا ترى منى إنقباضاً ولا مجانبة ولا إزوراراً*[1] ولا شيئاً تكرهه فى دخولــك علــىّ إلــى مفارقتك إياى،ولا ينال أحداً معك أمرُ يكرهه،وأذنت لك ولهم فى المسير والمقام،وجعلت لهــم أماناً صحيحاً،وعهداً وثيقاً،وأن عبدالله بن محمد إن نقض ما جعل لكم فى أمانكم هــذا،فنكث أو غدر بكم،أو خالف إلى أمر تكرهه،أو تابع على خلافه أحد من المخلوقين فى سرٍ أو علانية،أو أضمر لك فى نفسه غير ما أظهر لك،أو أدخل عليك شيئاً فى أمانه،وما ذكر لك مــن تســليم أميرالمؤمنين،إلتماس الخيعة،والمكر بك،وإدخال المكره عليك،أو نوى غير ما جعل لــك مــن الوفاء لك به،فلا قبل الله منه صرفاً ولا عدلا*[2]،وهو برئ من محمد بــن على،وهــو يخلــع أميرالمؤمنين، ويتبرأ من طاعته،وعليه ثلاثون حجة*[3]يمشيها من موضعه الذى هو بــه مــن مدينة واسط إلى بيت الله الحرام الذى بمكة حافياً راجلاً،وكل مملوك يملكه من اليوم إلى ثلاثين حِجّة بشراء أو هبة أحرار لوجه الله،وكل إمرأة له طالق ثلاثاً،وكل ما يملكه من ذهب أو فضة أو متاع أو دابة أو غير ذلك فهو صدقة على المساكين،وهو يكفر بالله وبكتابه المنــزّل علــى نبيّه،والله عليه فيما وكد وجعل على نفسه فى هذه الأيمان راع وكفيل،وكفى بالله شهيداً"[4]

بدأ الكاتب أمانه هذا بقوله:"بسم الله الرحمن الرحيم"،ثم ذكر أنه من فلان لفلان،ثم دلف مباشرة إلى الغرض الذى من اجله كُتب هذا الأمان،وأطال فيه وأسهب فى الوقت الذى كان بإمكانه أن يوجز بأنه أعطى الأمان لمن يريد،ثم نجد أنه قد أشار فى هذا الأمان إلى مبدأ مهم من مبــادئ الإسلام وهو مبدأ الشورى،أى أن هذا الأمان قائم على الشورى ثم من بعد ذلك تمّ إنفاذه وذلك فى قوله:"بعد إستئمارى فيما جعات لك منه عبدالله بن محمد"

[1] *-إزوراراً: إنحرافاً

[2] * صرفاً :توبه * عدلاً: فدية

[3] *حجة:سنة

[4] –جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج٣.مرجع سابق.ص ٣–٥.

ونلمس فيه إقتباساً من القرآن الكريم حينما أشار إلى أنه كتاباً مبيناً...الـــخ.أخــذاً مــن قولـــه تعالى:"لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه".

وقد جعل الكاتب فى هذا الأمان شروطاً جزائية،وذلك على من ينقض العهد،ويأتى بخلاف مـــا جاء فيه،وذلك مثل المشى حافياً من مدينة واسط إلى المسجد الحرام.

وأيضاً ما نلمسه فى هذا الأمان عدم تقيد الكاتب نوعاً من المحسنات البديعية.

ثم ختم هذا الأمان بعبارة:"وكفى بالله شهيدا"

٢-أمان أبى جعفر المنصور إلى النفس الزكيّة:-

ومن كتب الأمان أيضاً ما كتبه أبى جعفر المنصور لمحمد بن عبدالله بن الحسن بن على بن أبى طالب المشهور بالنفس الزكية ،حينما علم بأمر خروجه بالمدينة خوفاً على نفسه من بنى العباس،فكتب له المنصور أماناً يؤمنه فيه على نفسه،وهو كما يلى:

"بسم الله الرحمن الرحيم،من عبدالله أميرالمؤمنين،إلى محمد بن عبدالله،أما بعد:"فإنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يُقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف،أو ينفوا من الأرض،ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم،إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فأعلموا أن الله غفور رحيم "[١].

ولك علىّ عهد الله وميثاقه وذمتة وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلّم،إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمنك وجميع ولدك وأخوتك واهل بيتك ومن إتبعك على دمائكم وأموالكم ،وأسوغك ما أصبت من دم أو مال، وأن أعطيك ألف ألف درهم،وما سألت من الحوائج ،وأنزلك من البلاد حيث شئت، وأن أطلق من فىحبسى من أهل بيتك،وأن اؤمن كل من جاءك وبايعك وأتبعك ،أو دخل فى معك فى شئ من أمرك،ثم لا أتتبع أحداً منهم بشئ كان منه أبداً،فإن أردت أن تتوثق لنفسك فوجّه إلىّ من أحببت يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تثق به،والسلام"[٢].

بدأ الكاتب أمانه هذا بالبسملة،ثم قوله:"من فلان لفلان" ثم جاء فيه بالبعدية بعكس ما كان فى الأمان السابق،وأستهل أمانه بآية من كتاب الله عزّ وجل تذكيراً له بجزاء من يخالف ويخرج عن الجماعة،ثم أنه فى هذا الأمان لم يطنب كما فعل سابقاً بل أوجز فى إيصال المراد،وهوإعطائه الأمان فى نفسه وأهله،ثم أنه لم يلتزم فيه نوعاً من المحسنات إلا ما جاء عفواً كما أوردته الصياغة وذلك مثل السجع فى قوله:"وأن أطلق من أهل بيتك،وأن أؤمن كل من...وأتبعك،أو دخل معك...من أمرك".

ثم ختم أمانه بقوله:" والسلام".

[١] - سورة المائدة.آيه رقم(٣٣)

[٢]- جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج٣.مرجع سابق.ص٧٨.

الفصل الثانى:-

رسائل الولاة الإخوانيّة:-

المبحث الأول:رسائل التهانئ والتعازى والتهادى

١. رسالة ابن العميد يهنئ عضد الدولة
٢. رسالة جبل بن يزيد فى التعزية
٣. رسالة إبراهيم بن العباس يهنئ ويعزّى
٤. رسالة غسّان بن عبدالحميد معزيّاً أحد الخلفاء
٥. رسالة إلى يحيى البرمكى فى التهادى
٦. رسالة إحدى الجوارى إلى المأمون فى التهادى

المبحث الأول:رسائل التهانئ والتعازىوالتهادى:-

مقدمة:-

من المعروف أن الرسائل الديوانية هى:تلك التى تصدر عن الديوان فى أمر من أمور الدولة،ويقوم بكتابتها أبلغ الكتّاب وذلك على لسان الخليفة،أما الإخوانى والذى يصدر عن الديوان فهو ما يتبادله الخلفاء فيما بينهم أو ما يصدر إليهم من مكاتبات تحمل معنى الإخاء،بعيداً عن شئون الدولة،فهى أفسح مجالاً من الرسائل الرسميّة.

ونج أن هذه الرسائل الديوانيّة إخوانية قد أخذت تتناول بعض الأغراض التى كان يتناولها الشعرمن تهنئات وتعازى وشكر وعتاب...الخ.

وقد تفنن الكتّاب كثيراً فى كتابتها وفى مقدماتها،ولكى يتضح لنا ذلك لا بدّ من الوقوف على بعض الرسائل التى تحمل تلك المعانى الإخوانية داخل الديوان.

١- رسالة إبن العميد يهنئ عضد الدولة:-

هذه الرسالة تحمل تهنئة بعث بها إبن العميد إلى أحد خلفاء الدولة العباسية ألا وهو عضد الدولة ،وذلك عندما رُزق بولدين توأمين ،فقد بعث إليه مهنئاً قائلاً:

"أطال الله بقاء الأمير الأجلّ عضد الدولة،دام عزّه وتأييده،وعلّوه وتمهيده،وبسطته وتوطيده،وظاهر له من كل خير مزيده،وهناه ما أحتظاه به على قرب البلاد،من توافر الأعداد،وتكثر الإمداد،وتشمّر الأولاد،وأراه من النجابة فى البنين والأسباط،ما أراه من الكرم فى الآباء والأجداد،ولا أخلى عينه من قره،ونفسه من مسّره،ومتجدد نعمة،ومستأنف مكرمة،وزياده فى عدده،وفسح فى أمره، حتى يبلغ غاية مهله،ويستغرق نهاية أمله،ويستوفى ما بعد حسن ظنه،:وعرفّه الله السعادة فيما بشّر عبده من طلوع بدرين هما إبتعثا من نوره،وأستنارا من دوره،وحفا سريره،وجعل وفدهما متلائمين،وزودهما توأمين،بشيرين بتظاهر النعم،وتوافر القسم،ومؤذنين بتردف بنين يجمعهم منخرق الفضا ويُشرق بنورهم أفق العلا،وينتهى بهم أمر النماء إلى غاية تفوق غاية الأحصاء،ولا زالت السبل عامرة،والمناهل غامرة،يصافح صادرهم بالبشر،وآملهم بالنبل القاصد."[1]

تمتاز هذه الرسالة ببسط الكلام فيها،فقد بدأها الكاتب بالدعاء للشخص الذى يريد أن يهنئه،ثم بالدعاء للمولدين.

ومما يُلاحظ على أسلوب إبن العميد أنه يُكثر من أستخدام السجع،فالناظر إلى تلك الرسالة يجد أنه إلتزم السجع فيها،ثم ختمها بالدعاء للمولدين بأن يكونا قِبلة كل من يقصدهم من غير ضجر.

[1] - تطور الأساليب النثرية.انيس المقدسى.مرجع سابق.ص ٢٦١-٢٦٢.

٢- رسالة جبل بن يزيد فى التعزية:-

هذه الرسالة كتب بها أحد الكتّاب البلغاء الا وهو جبل بن يزيد وقد كتب بها إلى أحد خلفاء الدولة العباسية يعزّيه فيها عن إبنه إذ يقول:

"فإن الله أنزل أميرالمومنين من الإسلام وأهله منزلاً عظُم فيه فضله،وأختصه منه بالذى هو أهله وأولى به،فأصبح بفضل نعمة الله عليه،ولطيف إحسانه إليه،عماداً لجميع المسلمين،عليه تجتمع أهواؤهم،وإليه تسكن أملاؤهم،[١]وبه يُصلح الله دينهم،ولا تصلح إلا به دنياهم،فما يُلبسه الله من عافية ،ويحدث له من كرامة،تُجللهم مع النعمة فى وصولها،وأعباء الشكر فى وجوبها،وما ينوبه-والله ولىّ حفظه- من نائبة حدثٍ برزء مصيبة ،شركوه فى ألم الحدث،وتركوه شركته فى حسن الثواب.

وقد كان من قضاء الله فى إبن أميرالمؤمنين،ما عظُمت به المصيبة،وعمّت به الرزية،للمنزلة التى أنزله الله بها من دينه وقرابته من نبيّه صلى الله عليه وسلّم،مع مكانته من خليفته،وما كان فيه مع ذلك من الأمل العظيم،والرجاء الحسيم،الذى به سكنت القلوب،وأمّل لجليلات الخطوب،وكان عارية من عوارى نعم الله ،أنعم بها الله على أميرالمؤمنين،فاستمتع بما أعاره الله فيه من قرّة العين والغبطة والسرور،إلى أن بلغ منتهى مدة ما أُعير،وقضى كل إرتجاع يرتجعها معيرها فيبتلى بها من أعير،

وكان يجرى من تقدير الله فى ذلك على حتم من العمر،وقسم من الرزق،ومدةً لها وقت وتأجيل،فلما أستكمل الحتم من عمره،وأستتم القسم من رزقه،قبضه الله إليه إختياراً لما عنده ،وأبتلى أميرالمؤمنين ليجمع له إن شاء الله حسن ثواب حسبته،إلى ماضى ما استمتع به من نعمة،محموداً فى ذلك بلاؤه،منتصحاً فيه قضاؤه،مسلماً فيه لأمره الذى جرت به سنته،وأعتدلت بالأسوة فيه حال جميع خلقه،فإنا لله وإنا إليه راجعون،نسأل الله الذى إبتدأه بمنه وفضله،أن يجعله وخليفته وارث إرث نبوته،وصفىّ الأصفياء من صفوته،وفى معدن الفضل من أهل خيرته،وأن يلحقه بالأخيار والمنتجبين*[٢]الأبرار من فرطه،ويكرم فيما لديه مآبه،ويُحسن فى المعاد ثوابه،ويعظم هناك فضيلته،ويُقّرب إليه وسيلته،ويرفع فى أعالى درجات الصالحين

---

[١] - *الأملاء:جمع ملأ بالفتح وهو الجماعة

[٢]*- إنتجبه:أى أختاره

درجته،إكراماً بذلك لنبيّه،وتوقيراً لخليفته.وتطولاً عليه فيه بمنه وكرمه،وأن يُحسن أجر أمير المؤمنين فى مصيبته ويحسن فيها ثوابه،ويجزل فيها عِوضه ،ويكرم بها فى المعاد ذكره،ويريه من معارف عاجل حسن الخلق فى الزيادة الناميه فى عباده،والمواهب المتتابعه فى ولده،ما يجبر به مصيبته،ويُقر به عينه،ويتم به كرامته،ويبلغ به أفضل ما ينتهى إلى رضاه،من سبوغ*[1] العطيه،وتمام النعمه،وإيتاء كل حسنه ،وصرف كل سيئة،ولا يريه وأيانا فى ولده مكروهاً أبداً،فأنه وليه وولىّ إتمام النعمة عليه ،وما أختصه به وظاهر عليه من المن والإحسان والسلام".[2]

بدأ الكاتب هذه الرسالة ببسط الكلام فيها،وتطويل المقدمة تطويلاً كان يمكن إيجازه،ثم دلف بعدها إلى الغرض منها،وتعزيّة الخليفة فى إبنه:"وقد كان من قضاء الله فى إبن أمير المؤمنين...الخ".وقد أكثر فيها من إستخدام المحسنات من سجع:"عليه تجتمع أهواؤهم، وإليه تسكن أملاؤهم،وبه يصلح دينهم"،وطباق كما فى قوله:"به يصلح الله دينهم،ولا تصلح إلا به دنياهم".كما نجد أنه إقتبس من القرآن ولكن هذا الإقتباس لم يكن واضحاً وإنما يُلحظ من سياق الجملة،وذلك فى قوله:"وكان يجرى من تقدير الله فى ذلك على حتم من العمر،وقسم من الرزق،ومدة لها وقت وتأجيل"أخذاً من قوله تعالى:"لكل أجل كتاب،فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون"[3].

ثم ختمها بالدعاء له ،وأن يجده الله فى مصيبته،وأن يخلف له أحسن منها،وختمها بقوله والسلام.

---

[1] *سبوغ العطيّة:أى تمامها

[2] – جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج٣.مرجع سابق.ص ١٣٩–١٤١.

[3] –سورة الأعراف.آية رقم (٣٤)

٣- رسالة أبراهيم بن العباس يهنئ ويعزىّ:-

هذه الرسالة كتب بها إبراهيم بن العباس لما توفى المعتصم بالله ،وقــام إبنـــه الواثــق خليفــة بعده،يعزّيه فيها بأبيه،وويهنئه بالخلافة،إذ يقول فيها:

"إن أحق الناس بالشكر من جاء به عــن الله،وأولاهــم بالصــبر مــن كــان ســلفه رســول الله،وأمير المؤمنين-أعزّه الله وأباؤه-نصرهم الله-أُلو الكتاب الناطق عــن الله بالشــكر،وعترة رسوله المخصوصون بالصبر،وفى كتاب الله أعظم الشفاء،وفى رسوله أحسن العزاء،وقد كان من وفاة أمير المؤمنين المعتصم بالله،ومن مشيئة الله فى ولاية أمير المؤمنين الواثق بالله،ما عفى على أوله آخره،وتلاقت بدأته عاقبته،فحق الله فى الأولى الصبر،وفرضه فى الثانية الشكر،فإن رأى أمير المؤمنين أن يستنجز ثواب الله بصبره،ويستدعى زيادته بشكره فعل إن شاء الله تعالى وحده"[1]

هذه الرسالة أستخدم فيها أسلوب اللين والتخفيف،وأوضح فيها إن من أحق الشكر مــن كانــت مصيبته من عند الله سبحانه وتعالى- ثم جمع فيها ما بين التعزية والتهنئه فى آن واحد وذلــك فى قوله:" وقد كان من وفاة أمير المؤمنين المعتصم بالله،ومن مشيئة الله فى ولاية أمير المؤمنين الواثق بالله،ما عفى على أوله آخره،وتلاقت بدأته عاقبته".

وأوضح فيها جتنبى الرضا بأمر الله والصبر على المصيبة،والشكر على نعمــة الله والحفــاظ عليها،ثم ختمها بقوله:"إن شاء الله تعالى".

[1] -أعلام الأدب العباسى.رضوان الدايه.مرجع سابق.ص ١٣١.

٤ - رسالة غسان بن عبدالحميد لأحد الولاة معزيّاً:-

كتب غسان بن عبدالحميد كتاباً بعث به إلى أحد الخلفاء معزّياً إذ يقول:

"أمّا بعد،فإن الله جعل خلافته حفظاً لدينه،ورحمةً لعباده،ثم جعل لهم أولياء خلفاء يتوارثونها،ويتداولون الكرامة من الله بها،فتنقضى مدة ماضيهم لخبرة الله إياه،وتأتى خلافة باقيهم لاصطناع الله لهم،فنحمد الله الذى جعل فيكم أهل تلك الخلافة ،الذين جعلهم لها وراثّاً،فكان منهم الماضى الذى كانت له،والباقى الذى صارت إليه،والحمد لله على ما كانت عليه حياة أميرالمؤمنين ووفاته من كرامة الله إياه،وعلى وضعه الخلافة عند أميرالمؤمنين الباقى،ونسأل الله أن يعظّم فى الماضى الأجر،ويمنحك من الباقى أفضل الحظ،ويعينك فى المصيبة على أفضل الصبر،وفى النعمة على أفضل الشكر".[١]

نلمس فى هذه الرسالة أسلوب الكاتب المهذب ،وطريقته فى مواساته لأميرالمؤمنين،ثمّ أنه لم يلتزم فيها السجع إلا ما جاء عفواً كما التزمه غيره من الكتّاب،وذلك فى مثل قوله:"ويعينك فى المصيبة على أفضل الصبر،وفى النعمة على أفضل الشكر".

[١] -جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج٣.مرجع سابق.ص ١٠٨.

٥- رسالة إلى يحيى البرمكىّ فى التهادى:-

من الرسائل التى أكثروا منها،وهى التى كانوا يرسلون بها إلى أحد أصدقائهم،أو إلى بعض الوزراء،ومن ذلك ما يروى أن يحيى البرمكى عزم على ختان أحد أولاده،فأهدى إليه وجوه الدولة كل منهم بحسب قدرته،وتظرّف بعض من كانوا من أسبابه للدلالة على قصور همته،فملأ وعاءً من أدم مِلحاً مطيّباً وآخر سُعدا*[1] معطراً وكتب إليه يقول:

"لو تمت الإرادة ،لأسعفت العادة،ولو ساعدت القدرة،على بلوغ النعمة،لتقدمت السابقين إلى خدمتك،وأتبعت المجتهدين فى كرامتك،لكن قعدت ب القدرة،عن مساواة أهل النعمة،وقصّرت بى الجِدة*[2] عن مباهاة أهل المُكنة*[3]،وخشيت أن تطوى صحيفة البر،وليس لى فيها ذكر،فانفذت المفتتح بيمنه وبركته وهو الملح،والمختتم بطيبه ونظافته وهو السعّد،باسطاً يد المقدرة،صابراً على ألم التقصير،متجرعاً غصص الإقتصاد على اليسير،والقائم بعذرى فى ذلك:"ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرجٌ"[4].والمَهدى ضارع فى الإمتنان عليه بقبول مقدرته ،والإحسان إليه بالإعراض عن جراءته"[5].

نلمس فى هذه الرسالة شيوع السجع فى جميع جوانبها وذلك فى قوله:"لو تمت الإرادة-لأسعفت العادة"-القدرة ،النعمة"،هذا بجانب إستخدامه للمحسنات البديعية الأخرى من مثل المقابلة فى قوله:"قعدت بى القدرة عن مساواة أهل النعمة،وقصّرت بى الجدّة عن مباهاة أهل المكنة".والطباق فى قوله:"المفتتح بيمنه،المختتم بطيبه"

---

[1] -* السُعد:نبت طيب الرائحة

[2] -* الجِدة: الغنى

[3] -* المُكنة: الإستطاعة

[4] - سورة التوبة.آية رقم(٩١)

[5] - العباسى الأول.شوقى ضيف.مرجع سابق.ص ٤٩٩.

٦- رسالة إحدى الجوارى إلى المأمون فى التهادى:-

وكما كان للرجال نصيب فى الكتابة فى صدر الدولة العباسية فقد كان للمرأة أيضاً نصيب،فا هى إحدى جوارى المأمون تبعث بهدية إليه مصحوبة بكتاب إذ تقول:

"لما رأيت تنافس الرعيّة فى الهدايا وتواتر*[1] ألطافهم عليك،فكرت فى هدية تخف مؤنتها،وتهون كلفتها،ويُعظم خطرها*[2]،ويجل موقعها،فلم أجد ما يجتمع فيه هذا النعت،ويكمل فيه هذا الوصف ،إلا التفاح،فأهديت إليك منها واحدة فى العدد كثيرة فى التقرب،وأحببت يا أميرالمؤمنين أن أعرب لك عن فضلها،وأكشف لك عن محاسنهاوأشرح لك لطيف معانيها،وما قالت الأطباء فيها،وتفنن الشعراء فى أوصافها،حتى ترمقها*[3] بعين الجلالة،وتلحظها بمقلة الصيانة،فقد قال أبوك الرشيد رضى الله عنه:"أحسن الفاكهة التفاح،أجتمع فيه الصفرة الدرية،والحمرة الخمرية،والشقرة الذهبية،وبياض الفضة ولون التبر،يلذ بها من الحواس:العين ببهجتها،والأنف بريحها،والفم بطعمها".وقال أرسطاطاليس الفيلسوف عند حضوره الوفاة،وأجتمع إليه تلاميذه:"إلتمسوا لى تفاحة أعتصم بريحها،وأقضى وطرى*[4] من النظر إليها".وقال إبراهيم بن هانئ :"ما عُلل المريض المبتلى،ولا سكنت حرارة الثكلى*[5]،ورُدت شهوة الحبلى،ولا جمعت فكره الحيران،ولا سكنت حنقة الغضبان،ولا تحبب الفيان فى بيوت القيّان،بمثل التفاح".

والتفاحة ياأميرالمؤمنين إن حملتها لم تؤذك،وإن رميت بها لم تؤلمك،وقد أجتمع فيها ألوان قوس قزح،من الخضرة والحُمرة والصُفرة،وقال فيها الشاعر:

حُمرة التفاح مع خضرته ... أقرب الأشياء من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة ... وأسقنيها بنشاطٍ وفرح*[6]
ثم غنى لكى تطربنى ... طرفك الفتّان قلبى قد جرح

---

[1] -*التواتر:التتابع *اللطفة:الهدية
[2]-* خطرها: قدرها
[3] -*ترمقها:تلحظها
[4] -*وطرى:الحاجة
[5]- *الثكلى:التى فقدت ولدها
[6]-*القهوة:الخمر

فإذا وصلت إليك ياأمير المؤمنين فتناولها بيمينـك ،وأصـرف إليهـا بغيتك،وتأمـل حُسـنها بطرفك،ولا تخدشها بظفرك ولا تُبعدها عـن عينـك،ولا تبـذلها لخـدمك،فإذا طـال لبثهـا عندك،ومقامها بين يديك،وخفت أن يرميها الدهر بسهمه،ويقصدها بصرفه*[1]،فتـذهب بهجتهـا ،وتحيل نضرتها ،فكلها "هنيئاً مريئاً غير داء مخامر"[2] والسلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمـة الله وبركاته.[3]"

نلمس فى هذه الرسالة الدقة والروعة التى كتبت بها تلك الجارية هـذه الرسـالة،فقد تخيـرت لألفاظها أروع المعانى،ونجد أنّ الهدية التى أهدتها مع قلتها فبأوصافها أستطاعت أن تضع لها صورة كبيرة ،وأنّ تضخمها فـى نظـر مـن أُهـدت إليـه ،وممـا زاد الرسـالة روعـة وجمالا،أستخدامها للمحسنات البديعية دون تكلف من مثل السجع فى قولها:"لمّا رأيـت تنـافس الرّعية فى الهدايا إليك ،وتـواتر ألطـافهم عليـك" ،"تخـف مؤنتهـا،وتهون كلفتهـا،ويعظم خطرها،ويجلّ موقعها"

وأستخدامها للترادف فى قولها" ترمقها بعين الجلالة،وتلحظها بمقلة الصيانة".

وأيضاً نلمس فيها مقدرتها الفائقة على التلاعب بالألفاظ وذلك فى وصفها للتفاحة ممـا زادهـا جمالاً ،وأيضاً نجد فيها الإقتباس وذلك فى قولها" هنيئاً مريئاً غير داء مخامر"أخذاً مـن قـول الشاعر كثير عزّة:

لعزّة من أعراضنا ما أستحلت

هنيئاَ مريئاً غير داء مخامر

فالرسالة فى مجملها مجموعة مـن الأوصـاف والتوشـيّات التـى تزيـد المعنـى روعـة وبهاء،والأروع من ذلك المقدرة الفنيّة للمرأة والتى جعلتها تصوغ مثل هذه الرسالة.

---

[1] –*صرف الدهر:نوائبه

[2] – عجز بيت لكثير عزّة وصدره :لعزّة من أعراضنا ما أستحلت

[3] – العقد الفريد.إبن عبدربه.ج١.ص ٣١٠.

المبحث الثانى:-

رسائل العتاب والإستعطاف

١. رسالة ابن العميد لأبن بلكا يعاتبه
٢. رسالة إبراهيم بن سيابة ليحيى البرمكى يستعطفه
٣. رسالة أحمد بن يوسف إلى المأمون يستجديه
٤. رسالة أحمد بن يوسف إلى المأمون فى الشكوى

المبحث الثانى:- رسائل العتاب والإستعطاف :-

١- رسالة ابن العميد لإبن بلكا يعاتبه:-

هذه الرسالة تحمل معنى العتاب،فكثيراً ما تعاتب الكتّاب فى هذا العصر،وقد تفننوا فى عتابهم،فقد كانوا يعنفون،ولكنه عنف المتحضر المهذب،الذى قد يمس ولكنه لا يخدش،[1]ومن الرسائل التى تحمل ذلك المعنى ورسالة ابن العميد إلى ابن بلكا عند إستعصائه على ركن الدولة،إذ يقول فيها:

"كتابى،وأنا متأرجح بين طمع فيك،ويأس منك،وإقبال عليك،وإعراض عنك،فإنك تدلى سابق حُرمه،وتمت سالف خدمة،أيسرهما يوجب حقاً ورعاية،ويقتضى محافظة وعناية،ثم تشفعهما بحديث غلول*[2] وخيانة،وتتبعهما بآنف*[3] خلاف ومعصية،وأدنى ذلك يحبط أعمالك،ويمحق كل ما يُرعى لك،لا جرم أنى وقعت بين ميل إليك وميل عليك أقدم رجلاً لصدك،وأوخر أخرى عن قصدك،وأبسط يداً لإصطلامك*[4] وإجتياحك،وأثنى ثانية لإستبقائك وإصطلاحك،وأتوقف عن إمتثال بعض المأمور فيك،ضناً بالنعمة عندك ومنافسة فى الصنيعة لديك،وتأميلاً لفيئتك*[5]،وإنصرافك،ورجاء لمراجعتك وإنعطافك،فقد يغرب العقل ثم يؤوب،ويعزب اللب ثم يثوب،ويذهب الحلم ثم يعود،ويفسد العزم ثم يصلح،ويُضاع الرأى ثم يستدرك، ويسكر المرء ثم يصحو،ويكدر الماء ثم يصفو،وكل ضيقة فالى رخاء،وكل غمرة فالى إنجلاء،وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحسبه أولياؤك،فلا بدع أن تأتى من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك،وكما أستمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت،وأخترت ما أخترت،فلا عجب أن تنتبه إنتباهة تُبصر فيها قبح ما صنعت،وسوء ما آثرت،وسأقيم على رسمى فى الإبقاء والمماطلة ما صلح،وعلى الإستيناء*[6] والمطاولة ما أمكن،طمعاً فى أنابتك وتحكيماً لحُسن الظن بك،فلست أعدم فى ما

---

[1] -العباسى الأول.شوقى ضيف.مرجع سابق.ص٤٩٣.

[2] - *غلول:خيانة

[3] - *آنف: أشد

[4] -* إصطلامك:إستئصال

[5] -* فيئه :الرجوع

[6] -* الإستيناء: التأنى

أظاهره من أعذار،وأرادفه من إنذار،إحتجاجاً عليك،وإستدراجاً لك،فإن يشأ الله يرشـــدك،ويأخذ بك إلى حظك ويسددك"[1] .

القارئ لهذه الرسالة يلمس فيها أسلوب اللين فى معاتبة من خرج عن طاعة الدولة، ولم يلجـأ فيها إلى عنف الأسلوب،ويجد فيها أنها تمضى كلها على السجع والعناية بالبديع.كـذلك ألتـزم فيها الكاتب بتقصير الفقرات.

نلمس فى أول الرسالة أن الكاتب لجأ إلى السجع القصير الذى لا يأخذ من قارئه زمناً،وأيضـاً لجأ إلى الموازنة بين العبارتين المتجاورتين موازنة تكاد تجعلهما مسجوعتان وذلك فـى مثـل قوله:"فأنك تدلى بسابق حرمة وتمـت بسـالف خدمـة".وقولـه:"وأبسـط يـداً لإصـطلامك وإجتياحك،وأثنى ثانية لإستبقائك وأصطلاحك". إذن فأبن العميد كـان يعـادل فـى عباراتـه معادلات تجعل بينهما إئتلاف.

إذن فهذه الرسالة تمتاز ببعض المميزات مثل عدم التقيد بالسجع مع شيوعه فيها،وميلـه إلـى الترادف والإطناب مثل:"يغرب العقل ثم يؤوب،ويعزب اللب ثـم يثوب،ويـذهب الحـزم ثـم يعود،ويفد العزم ثم يصلح".بالإضافة إلى وحود بعض من الجناس والطباق.

ثم نلمس فيها اللهجة الخطابية البليغة كقوله:"فلا عجب ان تنتبه إنتباهة تُبصر بهـا قُـبح مـا صنعت".[2]

وقد أجمع أهل البصيرة فى الترسّل على أن رسالته هذه هى غرّة كلامه،وواسطة عقده."[3]

---

[1] – الفن ومذاهبه فى النثر العربى.شوقى ضيف.مرجع سابق.ص٢٠٩-٢١٠.

[2] – تطور الأساليب النثرية.أنيس المقدسى.مرجع سابق.ص ٢٦٠.

[3] – أعلام الأدب العباسى.رضوان الداية.مرجع سابق.ص ١٦٦.

٢- رسالة إبراهيم بن سيابة لخالد البرمكىّ يستعطفه:-

من الناس من يصعُب عليه أمر ويقع فى ضيقه،فيطلب لذلك مخرجاً،فهذه الرسالة يظهر فيها ضعف الكاتب ورجاؤه،ويلتمس فيها العطف ممن يكتب إليه،هى رسالة إستعطاف بعث بها إبراهيم بن سيابة إلى يحيى بن خالد البرمكى،وكان قد أنكر منه شيئاً،فكتب إليه يترضاه بقوله: "للأصيد*[١] الجواد،الوارى الزناد،*[٢] الماجد الأجداد،الوزير الفاضل،الأشمّ*[٣]البازل، اللباب الحُلاحِل*[٤]،من المستكين المستجير،البائس الضرير فإنى أحمد الله ذا العزّة القدير،إليك وإلى الصغير والكبير،بالرحمة العامة،والبركة التامة.

أما بعد:فأغنم وأسلم،وأعلم إن كنت تعلم،أنه من يرَحم يُرحم،ومن يحرِم يُحرم،ومن يُحسن يغنم،ومن يصنع المعروف لا يعدم*[٥]،وقد سبق إلىّ تغضّبك علىّ،وإطراحك لى،وغفلتك عنى،بما لا أقوم به ولا أقعد،ولا أنتبه ولا أرقد،فلست بحىّ صحيح،ولا بميت مستريح،ففررت بعد الله منك إليك،وتحمّلت بك عليك،ولذلك قلت:

أسرعت بى حَثّاً إليك خِطائى

فاناخت بمذنبٍ ذى رجاء

راغب راهبٍ إليك يُرجّى

منك عفواً عنه وفضل عطاء

ولعمرى ما من أصرّ ومن تا

ب مُقرّاً بذنبه سواء

فإن- رأيت-أراك الله ما تحب،وأبقاك فى خير-أن لا تزهد فيما ترى من تضرعى،وتخشعى وتذللى،فإن ذلك ليس منى بنحيزة*[٦]،ولا طبيعة،ولا على وجه تصيد تصنّع وتخدّع*[٧]ولكنه

---

[١] - *الأصيد:السيّد الرافع رأسه أنفة

[٢]- *الزناد :أصله مخرج النار منه،وهو كناية عن مضاء العزيمة

[٣] - * الأشمّ : المملوء أنِفة

[٤] -* الحُلاحِل:السيّد الشجاع ذو المروءة

[٥] -*يَعدم:أى لا يعدم مكافأته

[٦] - * نحيزة:طبيعة

[٧]- * تخدع:خداع

تذلل وتخشّع وتضرع من غير ضارع*[1]،ولا مهين ولا خاشع لمن لا يســتحق ذلــك إلا مــن التضرع له عزّ ورفعه وشرف"[2].

بدأ الكاتب رسالته بتطويل المقدمة،وهى مدح ممدوحه ونعته بالعديدمن الصفات،ثم وصل بعــد ذلك إلى الغرض الذى يريده وهو العفو عنه،ونلحظ فيها كثر إســتخدامه للســجع مــن مثــل قوله:"الأصيد الجواد،الوارى الزناد،الماجد الأجداد".كذلك يكثر فيها ترادف العبارات وذلك فــى قوله:"وأعلم إن كنت تعلم أنه من يرَحم يُرحم،ومن يحرِم يُحرم".كذلك لجأ إلى الشعر حتى يميل إليه قلب من يرجو منه العطف.

ثم يختمها بترك الخيار لمن يريد منه العفو،إن رأى فى هذا التــذلل والتضــرع فيــه العفــو فليفعل،وإن رأى غير ذلك فليفعل،مع تأكيده بأن هذا التضرع والتذلل لم يكن إلا لمن هو رفيــع المقام ،عزيز الشرف.

ويقول الجاحظ فى شأنها:"أن عامّة أهل بغداد كانوا يحفظونها إعجاباً ببلاغتها".

---

[1] -*ضارع:ذليل

[2] -العباسى الأول.شوقى ضبف.مرجع سابق .ص٤٩٥.

٣- رسالة أحمد بن يوسف إلى المأمون يستجديه:-

هذه الرسالة بعث بها أحمد بن يوسف إلى المأمون،يطلب منه ويستجديه للسماح لـزوار ببابـه بالدخول،ويظهر فيها الإيجاز إذ يقول:

"داعى نداك ياأمير المؤمنين،ومنادى جدواك،جمعا ببابك الوفود،يرجون نائلك المعهود،فمنهم من يمت بحرمة،ومنهم من يدلى بخدمة،وقد أجحف بهـم المقام،وطالـت علـيهم الأيام،فـإن رأى أمير المؤمنين أن يتعسهم بسببه،ويحقق حُسن ظنهم بطوله*[1]، فعل إن شاء الله تعالى".[2]

وقيّل لما سمع المأمون هذه الشكوى،ما كان منه إلا أن كتب له:"الخير متبعُ،وأمـوال الملـوك مظان لطلاب الحاجات،فاكتب أسماءهم،وبين مرتبة كل واحد منهم ليصير إليـه علـى قـدر إستحقاقه،ولا تُكدرن معروفنا بالمطل الحجاب،فقد قال الشاعر:-

فإنك لن ترى طرداً لحُرٍ

كإلصاق به طرف الهوان

ولم تُجلب مودة ذى وفاء

بمثل الود أو بذل اللسان[3]

ففى هذه الرسالة يمكننا أن نعد ذلك الرد الذى بعث به المأمون من توقيعات بنى العباس التـى كان يوقعها الخلفاء أنفسهم،وأيضاً يظهر فيها إستخدام الكاتب للسجع وذلك مثل:"داعى فـداك- منادى جدواك"-"الوفود المعهود"،والجناس فى قوله:"يمت بحرمة،يدلى بخدمة".

---

[1] - *الطول والطائل والطائلة:الفضل والقدرة والغنى والسعة

[2] - الأدب العربى وتاريخه فى العصر الأموى والعباسى الأول.إبراهيم رفيدة.مرجع سابق. ص ٣٠٣-٣٠٤

[3] -الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى.محمد عبدالمنعم خفاجى.ط٢. :القاهرة:مطبعة مصطفى بابل الحلبى.١٩٧٣.ص١١٣.

٤- رسالة أحمد بن يوسف إلى المأمون فى الشكوى:-

تُعد هذه الرسالة من أبلغ الرسائل التى كتب بها أحمد بن يوسف،إذ تلطف فيها بتوصيل شكوى الجند الذين تأخرت أرزاقهم إلى المأمون من غير أن تكون فيها إيلام للخليفة أو إعتداء علـــى سامى مقامه،إذ يقول فيها:

"كتابى إلى أمير المؤمنين،ومن قِبلى من قواده وسائر أجناده فى الإنقياد والطاعة،على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم،وإنقياد كفاةٍ تراخت أعطياتهم،وأختلت لـــذلك أحـــوالهم والتاثت معه أمورهم."[١]

من الصيغ التى تفتتح بها مكاتبات الرسائل فى العصر العباسى قولهم:"كتابى"،تلك الصيغة التى عادةً ما يكتب بها من هو دون الخليفة إلى الخليفة،وهذا هو أحمد بن يوسف وقد بدأ كتابه إلـــى المأمون بتلك العبارة،كما نلمس فيها براعته فى الإيجاز فى إيصال الغرض مـــن الرســـالة،مع عدم إلتزام الكاتب بالمحسنات البديعية.

[١] -الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى..محمد عبدالمنعم خفاجى.مرجع سابق.ص١١٥.

الفصل الثالث: التوقيعات

المبحث الأول:- توقيعات الخلفاء

١. توقيع السّفاح لأهل الأنبار
٢. توقيع أبى جعفر المنصور لأهل الكوفة
٣. توقيع المأمون لأبن هشام
٤. توقيع المهدى لأحد الشعراء
٥. توقيع الرشيد لصاحب خراسان

المبحث الثانى:- توقيعات الأمراء والوزراء

١. توقيع الفضل بن سهل لمظلوم
٢. توقيع جعفر البرمكى لعلىّ بن عيسى
٣. توقيع الحسن بن سهل لأحد الشعراء
٤. توقيع الحسن بن سهل لمتظلم

الفصل الثالث:- التوقيعات:-

ظل الميل إلى الإيجاز متغلباً فى نفوس الأدباء حتى مال إلى حد التوقيع،فالتوقعيات فنُ أدبى عُنى به الفرس قبل الإسلام،ونما وتطور إلى أن وصل إلى الدولة العباسية.

وللتوقيع فى اللغة معانٍ كثيرة ترجع كلها إلى المعنى الإصطلاحى،وهو مصطلح يُطلق على الرد الذى يكتبه الخليفة أو الوالى أو الوزير فى ذيل الرقعة التى تتضمن قصة تُرفع إليه.وهو موجز لا يتجاوز جملة أو جملتين.وقد مثّل التوقيع منذ آواخر القرن الثانى الهجرى نموذجاً أمثل لكتابة الرسائل عامة حتى قيل أن جعفر بن يحيى البرمكى قد قال لكتّابه:"إن أستطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا"[1]

وقد كان الخلفاء فى صدر الإسلام هم الذين يوقعون بأنفسهم ،وتكون هذه العبارة التى تُكتب حلاً لقضية أو جواباً عنها ،وتتميز التوقيعات بصدورها عن أُولى الأمر إلى من هم أدنى منهم مرتبة،وأهم ما يميزها أيضاً أنها موجزة مختصرة،بليغة رفيعة المستوى،وقد تكون عباراتها إبداعاً من الكاتب وقد تكون إقتباساً من القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية أو الأمثال أو الأشعار أو الأقوال المأثورة.[2]

ومن معانى التوقيع اللغوية:التأثير القليل،يُقال جنب هذه الناقة مُوقّع،أى أن فيه تأثيراً خفيّاً من الحبال.والجامع ما بين المعنيين أن التوقيع فى أسفل الكتاب تأثير خفيف إلى جانب ما كُتب فيه من عبارات مسهبة،

ومن معانيه أيضاً:إيقاع شئ صغير على آخر مع تخالف فى لونيهما،يُقال بعير موُقّع إذا دبر ظهره ثم برئ فيُرى بموضعه شامة بيضاء،والتوقيع على عهدهم كان يكتب بمداد أحمر ،والقصص عادة ما كانت تُكتب بالسواد،فمن هنا تبدو العلاقة ما بين المعنيين واضحة.[3]

والتوقيعات داخل الدولة العباسية كثيرة لا نستطيع حصرها ولكن لكى نتبين براعة الكتّاب العباسيين فى كتابتها وتنميق عباراتها لا بدّ من أخذ نماذج منها.

فمن أمثلة التوقيع ،ما وقّعه السفاح إلى قوم من أهل الأنبار حينما شكوا إليه أن منازلهم أُخذت وأُدخلت فى بناء أمر به،ولم يُعطوا أثمانها فوقّع على رقعتهم بقوله:

---

[1] -الصناعتين.أبى هلال العسكرى.مرجع سابق.ص١٦٦.

[2] -تاريخ الترّسل النثرى عند العرب.محمود المقداد.مرجع سابق.ص٨٠.

[3] - محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية.محمد الحضرى بك.المكتبة التجارية الكبرى.ص ٩٤.

"هذا بناءٌ أُسس على غير تقوى".ففى هذا التوقيع يظهر الإيجاز فى توصيل المراد،وبراعته فى أخذه من القرآن الكريم.

وشكا أهل الكوفة إلى أبى جعفر المنصور من سوء معاملة عاملهم،فما كان منـــه إلا أن وقّـــع على كتابهم بقوله:

"كما تكونوا يؤمّر عليكم".ففى هذا التوقيع تظهر لنا أولاً الحكمة ندبمعنى أنه يريد أن يخبـــرهم بأن الجزاء من نفس العمل،هذا مع الإيجاز فى إيصال المعنى المراد.

وكتب إبن هشام إلى المأمون يتظلم من أمرٍ،فوقّع على كتابه:

"من علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من دونه،فأى الرجلين أنت".[1]

فقد حاول المأمون بهذا التوقيع أن يداوى ظلم إبن هشام بالحكمة .

وقد كانت التوقيعات فى العصر العباسى لا تقتصر على المظـــالم التـــى تـــرد إلـــى الخلفـــاء والشكاوى،بل كانوا يتفننون فيها فقد تكون رداً على مدح أو غيره وذلك عندما وقـــع المهـــدى على أبيات شاعر أسرف فى مدحه بقوله:

"أسرفت فى مديحك فقصرنا فى حبائك".

نلمس فى هذا التوقيع أن كثرة المدح أحياناً تقلل العطاء.[2]

ووقع هارون الرشيد إلى صاحب خراسان بقوله:"داو جرحك لا يتسع".[3]

ولم تكن التوقيعات خاصة بالخلفاء فقط فى الدولة العباسية،فقد كان للأمراء والوزراء نصـــيب منها،فمن توقيعات الوزراء ما وقّعه الفضل بن سهل على قصة مظلوم:

"كفى بالله لمظلوم ناصرا".فهو توقيع يُعد إقتباساً من القرآن الكريم.

ووقع جعفر بن يحيى البرمكى على كتاب لعلىّ بن عيسى بن ماهان يعتذر فيه عن أشياء بلغته عنه بقوله:

"حُبب إلينا الوفاء الذى أبغضته،وبغّض الغدر الذى أحببته،فما جزاء الأيام أن تُحسن ظنك بهـــا وقد رأيت غدراتها ووقعاتها عياناً وإخباراً"[4]

---

[1] – تاريخ آداب اللغة العربية.جرجى زيدان.مرجع سابق.ص ١٤٩.

[2] –محاضرات تاريخ الأمم الإسلاميّة.محمد الحضرى.مرجع سابق .ص ٩٦.

[3] –جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج٤.مرجع سابق.ص ٣٧٤.

[4] –العصر العباسى الأول.شوقى ضيف.مرجع سابق.ص ٤٩٠.

نلحظ فى هذا التوقيع الإطالة فى إيصال الغرض،وأن كاتبه أستخدم فيه بعض المحسنات البديعيه مثل المقابلة ما بين:"حُبب–بُغّض"–"الوفاء–الغدر"–"ابغضته–أحببته".

ووقع الحسن بن سهل فى رقعة متظلم رُفعت إليه وذلك بقوله:"يُنظر فيما رُفع،فإن الحق متبع،وإلا فشأن السليم دواء السقيم"[1]

ووقع الفيض بن أبى صالح*[2]فى رقعة معتذر تائب وذلك بقوله:"التوبة للمذنب كالدواء للمريض،فإن نصحت توبته أتمّ الله شفاءه،وإن تكن الأخرى أدام الله داءه".

كذلك لم تخلو توقيعات بنى العباس من الشعر،فقد درجوا فى بعض التوقيعات أن تحمل أبياتاً من الشعر،رداً على القصة التى ترد إليهم،فهاهو الحسن بن سهل يوقّع رداً على أحد الشعراء بقوله[3](أضغاث أحلام،ومانحن بتأويل الأحلام بعالمين،والحق له ماإلتمسه)

رداً على أبياته تلك:

رأيت فى النوم أنى راكب فرساً
ولى وصيف وفى كفى دنانير
فقال قوم لهم فهم ومعرفة
رأيت خيراً وللأحلام تعبير
رؤياك فسر غداً عند الأمير تجد
تعبير ذاك وفى الفال التباشير

وكما كانت توقيعاتهم تحما إقتباساً صريحاً من القرآن الكريم،فإنها أحياناً تحمل فى طيّاتها إشارة إلى معنى آية،فمن ذلك ما وقّعه المأمون إلى إبن رافع بقوله:

"يا أبارافع إنى رافعك إلىّ ومطّهرك من الذين كفروا"،وذلك أخذاً من قوله تعالى:"إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطّهرك من الذين كفروا".[4]

---

[1] –جمهرة رسائل العرب. أحمد زكى صفوت.ج٤.مرجع سابق.ص٣٨٩.

[2] –* كان وزيراً للمهدى

[3] – جمهرة رسائل العرب. أحمد زكى صفوت.ج٤.مرجع سابق.ص٣٩٠.

[4] –وفيات الأعيان أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان. تحقيق: يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل. ج ١. ط١. ١٤١٩هـ–١٩٩٨م. ص ٢٨٢.

ومن تلك الأمثلة نستطيع أن نتبين أسلوب العباسيين فى توقيعاتهم،وهذه النماذج هى على سبيل المثال لا الحصر.ويمكننا أن نستخلص من خلالها بعض المميزات التى تمتاز بها التوقيعــات ، فهى تمتاز أولاً بالإيجاز وإصابة الغرض بحيث تُغنى عن كثرة الكلام،وتتضمن رأياً واضحاً.

الفصل الرابع

الرسائل الإخوانيّة

المبحث الأول:رسائل التهانى والتعازى

١. رسالة ابن المقفع فى التهنئة
٢. رسالة العتابى إلى أحد أخوانه معزّياً
٣. رسالة عبدالله بن المعتز إلى أحد أخوانه معزّياً

المبحث الأول:- رسائل التهانى والتعازى

مقدمة:-

هى نوع من أنواع الرسائل فى العصر العباسى،وتعنى الشخصى الذى يتبادله الأصدقاء أو الناس عامة،وهذا النوع هو الأقرب إلى الأدب وإيحاءته اللفظية والأسلوبية،ومن موضوعاته الشكر والتشوق والعتاب والتهنئة والشكوى والإستعطاف والإعتذار وغيرها من الموضوعات.[1]

ويقول فى شأنها القلقشندى:"لها موقعُ خطير من حيث أنها يشترك الكافة فى الحاجة إليها،والكاتب إذا كان ماهراً أغرب معانيها،ولطّف مبانيها،وتسّهل له فيها ما لا يكاد يتسهّل فى الكتب الى لها أمثلة ورسوم لا تتغير ولا تتجاوز"[2].

وللوقوف غلى هذا النوع من الرسائل الإخوانية لا بدّ من أخذ نماذج منها،لنتبيّن تفنن الكتّاب فى كتابتها وأساليبهم فيها.

---

[1] -فى النثر العربى.محمد يونس عبدالعال.مرجع سابق.ص ١٦٢.

[2] - صبخ الأعشى.القلقشندى.مرجع سابق.ص٥.

١- رسالة لأبن المقفع إلى صديق له مهنئاً:-

وكتب ابن المقفع إلى صديق له رُزق بمولود،يهنئه ويبارك له،وذلك فى قوله:
"بارك الله لكم فى الإبنة المستفادة،وجعلها لكم زيناً،وأجرى لكم بها خيراً،فلا تكرهها،فإنهن الأمهات والأخوات،والعمّات والخالات،ومنهن الباقيات الصالحات،وربّ غلامً ساء أهله بعد مسرتهم،وربّ جاريةٍ فرحّت أهلها بعد مساءتهم"[١]
هذا هو أسلوب إبن المقفع فى رسائله،فقد ألتزم الإيجاز فى توصيل غرضه،وأسلوبه لا يلتزم فيه السجع لأنه يهتم بتجويد المعنى أكثر من اللفظ،ونلمس فى هذه الرسالة إشارة إلى قوله تعالى:"المال والبنون زينة الحياة الدنيا...الخ"[٢]،وذلك فى قوله:"وجعلها لكم زيناً".
وأيضاً هناك إشارة دقيقة إلى العادة الجاهلية ،وذلك عندما كانوا يئدون البنات وذلك فى قوله:"فلا تكرهها".
والمقابلة فى قوله:"غلام،جارية/ ساء،فرح/مسرّة،مساءة".

٢- رسالة العتابى إلى أحد إخوانه معزّياً:-

وكتب كلثوم بن عمرو العتابى*[٣]إلى بعض إخوانه معزيّاً له قائلاً:
"إن أشدّ من المصيبة حرمان الأجر منها والحسبة،وقد ذهب منك ما رزئت ،فلا يذهب منك ما عّوضت،قال الشاعر:

وعّوضت أجراً من فقيد فلا يكن

فقيدك لا يأتى وأجرك يذهب[٤]

نلمس فى هذه الرسالة الإيجاز فى القول،ومحاولة الكاتب لتخفيف الألم عن صديقه بأقصر العبارات،وذلك بتذكيره أن الصبر يُورث الجنّة،وأن الجزع يُفقد الأجر.والرسالة مع قِصرها فإن الكاتب لا يلتزم فيها نوعاً من أنواع المحسنات البديعية.

---

[١] -جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج٣.مرجع سابق.ص٥٧.
[٢] - سورة الكهف.آية رقم (٤٦)
[٣] -* هو أحد شعراء الدولة العباسيّة،وكاتباً حسن الترسل.
[٤] - جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج٣.مرجع سابق.ص٤٧٧.

٣- رسالة عبدالله بن المعتز لأحد أخوانه معزيّاً:-

وكتب عبدالله بن المعتز كتاباً لأحد إخوانه معزّياً وذلك بقوله:

"عاريّة سرّك الله بمدتها،وآثرك بثوابها،وأثابك عن إرتجاعها،فأبشر بعاجل من صنعه،وآجل من جزائه ومثوبته.

عظّم الله أجرك،وجعل الثواب عوضك،ووفقك لنيل مرضاته عنك،وإنّا لله،قولاً بما علم،تستنجز بها ما وعد"[1]

فقد بدأ إبن المعتز رسالته بقوله"عاريّة"وفى ذلك تأكيد بأن كل نفس زائقة الموت وأن لكل أجل كتاب،هذا بالأضافة إلى شيوع السجع وذلك فى مثل قوله:"سرّك الله بمدتها،وآثرك بثوابها"و"وأثابك عن أرتجاعها".وفى قوله:"عظّم الله أجرك،الثواب عِوضك،مرضاته عنك" أمّا الطباق ففى قوله:"عاجل من صنعه،آجل من جزائه".

[1] - المرجع السابق.ص ٣٠٦.

المبحث الثانى:- رسائل مناسبات أخرى

١. رسالة ابن العميد إلى صديق له فى الشوق
٢. رسالة أحمد بن يوسف فى الذمّ
٣. رسالة يوسف بن صبيح فى العتاب
٤. رسالة ابن العميد فى الشكوى
٥. رسالة أحمد بن يوسف فى الإعتذار
٦. رسالة السيدة زبيدة فى الإستعطاف

المبحث الثانى:رسائل مناسبات أخرى:-

١- رسالة ابن العميد إلى صديقٍ له فى الشوق:-

كثيراً ما يشتاق الأنسان إلى عزيز لديه،لذلك يحتاج إلى الكتابة إليه،فهذه رسالة يبعث بها ابن العميد إلى صديقٍ له يُعبر فيها عن شوقه وفيها يقول:

" كتابى وأنا بحال لو لم ينغص منها الشوق إليك،ولم يرنّق صفوها النزاع نحوك لعددتها من الأحوال الجميلة،وأعتددت حظى منها فى النعم الجليلة،فقد جمعت فيها بين سلامة عامة،ونعمة تامّة،وحظيت منها فى جسمى بصلاح،وفى سعييّ بنجاح،ولكن ما بقى أن يصفو لى عيش مع بعدى عنك،ويخلو ذرعى مع خلّوى منك،ويسوغ لى مطعم ومشرب مع إنفرادى دونك،وكيف أطمع فى ذلك وأنت جزء من نفسى ناظم لشمل أنسى،وقد حرمت رؤيتك وعدمت مشاهدتك،وهل تسكن نفس متشعبة ذات إنقسام،وينفع أنس مشتت بلا نظام.

وقد قرأت كتابك-جعلنى الله فداك-فامتلأت سروراً بملاحظة خطك،وتأمل تصرفك فى لفظك وما أقرظهما،فكل خصالك مقرظ عندى،وما أمدحهما فكل أمرك ممدوح فى ضميرى وعقدى،وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة لتقديرى فيك،فإن كان كذلك وإلا غطى هواك وما ألقى على بصرى."[١]

القارئ لتلك الرسالة يجد أنها تتضمن فكرتين هما:وصف حال الكاتب عند إستلامه للرسالة،وسروره لما لاحظه من خط جميل وعبارات أنيقة.ثم وصف الكاتب لحاله وإحساسه بالميل إلى صديقه والشوق إليه،كل ذلك وإن دلّ إنما يدل على إخلاص ووفاء من الكاتب تجاه صديقه.بينما تحمل الجملة الإعتراضية الداعية"جعلنى الله فداك" معناً كريماً يتضمن الحب والوداد.

أيضاً نلحظ فيها أفكاره المتسلسة ومعانيه المترابطة التى تعُبرتعبيراً واضحاً عن الغرض الأساسى منها.

أيضاً نلمس فيها إهتمام الكاتب بالمحسنات البديعية من مثل التشبيه فى قوله:"أنت جزء من نفسى"-والإستعارة:"ينغصها الشوق،يصفو لى عيش"-والكناية فى قوله"غطى هواك بصرى"-

---

[١] - أمراء الشعر فى دولة بنى العباس.مصطفى السيوفى.ط١.الدارالدوليّة للإستثمارات.٢٠٠٨م. ص ٢٧٨.

والسجع فى قوله:"الأحوال الجميلة،والنعم الجليلة" "سلامة عامّة،نعمة تامّــة"- والجنـــاس فـــى قوله:"الجميلة ،الجليلة"- "عامّة ،تامّة".والترادف والإطناب فى مثل قوله:"لم ينغص،لم يرتق"-" يصفو لى عيش،يخلو ذرعى"،"ما أقرظهما،ما أمدحهما".

ثم نجد الأخذ والإقتباس من أقوال الشعراء،وهذا واضح فى ختام رسالته إذ يقــول :"وإلا قــد غطى هواك وما أُلقى على بصرى"،مأخوذاً من قول الشاعر*[1] :

قالت وأبثثتها شجّوى وبحت به

قد كنت عندى تحب الستر فأستتر

ألست تبصر من حولى فقلت لها

غطى هواك وما ألقى على بصرى[2]

٢- رسالة أحمد بن يوسف فى الذّم:-

وكتب أحمد بن يوسف فى الذم إلى بعض إخوانه إذ يقول:

"أمّا بعد:فإنى لا أعرف للمعــروف طريقــاً أوعــر مــن طريقــه إليك،فــالمعروف لــديك ضائع،والشكرعندك مهجور،وإنّما غايتك فى المعروف أن تُحّقره.وفى وليّه أن تُكفّره.[3]"

فى هذه الرسالة أوجز الكاتب فوصل إلى تحقيق ما يُريده منها،ويظهر فيها شدّة الأسلوب وذلك لأن المقام يقتضى ذلك وهو مقام الذمّ،أما من حيث أستخدام المحسنات فنلحظ أنه لم يلتزم فيها نوعاً بعينه.

---

[1] -* الشاعر هو :عروة بن أذينة من الشعراء الذين صبّوا جُل إهتمامهم بالغزل. ديوان عروة. ط٣. ص ١٩٩.

[2] - المرجع السابق.ص ٢٧٩-٢٨١.

[3] - الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى.خفاجى.مرجع سابق.ص ١٦٤.

٣- رسالة يوسف بن صُبيح فى العتاب:-

يًعد العتاب من الفنون التى كتب فيها العباسيون،وقد تفننوا فيه،وتُعد هذه الرسالة من الرسائل الطريفة فى العتاب،والتى تدل على دقة الحس ورهافة الشعور،فقد كتب بها يوسف بن صبيح إلى محمد بن زياد الحارثى ،وفيها يقول:

"حفظك الله وحاطك،رأيتك-أكرمك الله- فى خرجتك هذه رغبت عن مواصلتنا بكتبك،وإبلاغنا خبرك وقطعتنا قطع ذى السّلوة أة أخى الملمه*[١]،حتى كأنك كنت إلى مفارقتنا مشتاقاً،وإلى البُعد عنّا توّاقاً،فوقع بُعدك بحيث تحب من جهتين:إحداهما حلاوة الولاية،والأخرى لذة الراحة منّا،فإن ذلك كما رجيناهفأطعناك مجملين،أو أسئناك على يقين،وما أدرى ما أقول فى إخبارك ترك الكتب المحدثة عن العتب بالأسرار المفهومة، حتى كأنها محادثة الحضور،على تنائى الدور،والقلوب بها مشاهدة،وإن كانت الأبدان متباعدة،ولئن كذب فيك الرجاء،لقديماً عزّ الوفاء،وقد أصبتك من مرارة العتاب بما لا تقيم بعده على قطيعة ولا جفاء،ولا تتوهمن إنى أردت إعانتك بإعتابى،ولا أن أزرى عليك بكتابى،فإن وصلت فمشكور،وإن قطعت فمعذور،والسلام.[٢]"

بدأ الكاتب هذه الرسالة بالدعاء للمكتوب له وذلك بقوله:"حفظك الله-أكرمك الله".ثم نجد أنه لم يلتزم السجع فى جميع أجزاء الرسالة وإنما جاء فى بعض منها وذلك فى مثل قوله:"مواصلتنا بكتابك،وإبلاغنا خبرك"،والترادف فى قوله:"إلى مفارقتنا مشتاقاً وإلى البعد عنّا توّاقاً."

ثم نلمس فيها رقة الأسلوب فى عتابه وأنه لم يعتف فيه،وقد ختمها بقوله:"والسلام".

---

[١] - *الملمه: الملال

[٢] -العصر العباسى الأول.شوقى ضيف.مرجع سابق.ص ٤٩٣-٤٩٤.

٤- رسالة ابن العميد فى الشكوى:-

تُعد من الأغراض التى تناولتها الرسائل الإخوانية،فقد كتب إبن العميد إلى أحد إخوانه يشكو فيها الزمان وغدره إذ يقول:

"إنما أشكو إليك-جعلنى الله فداك-دهراً خئوناً غدوراً،وزماناً خدوعاً غروراً،لا يمنح ما منح إلا ريثما نزع،ولا يُبقى فيما يهِب إلا ريثما يرتجِع،يبدو خيره لمعاً ثم ينقطع،ويحلو ماؤه جرعاً ثم يمتنع،وكانت منه شيمة مألوفة،وسجيّة معروفة،أن يشفع ما يبرمه بقرب إنتقاض،ويهدى لما يبسطه وشيك إنقباض،وكنا نلبسه على ما شرط،وإن خان فيه وقسط،ونرضى على الرغم بحكمه،ونسلم ونستنئم بقصده وظلمه،وتعتبر من أسباب المسرّه ألا يجئ معذوره مصمتاً بلا إنفراج،ولا يأتى مكروهه صرفاً بلا مزاج،ونتعلل بما نختلسه من غفلاته،ونسترقه من ساعاته،وقد إستحدث غير ما عرفناه سنة مبتدعة ،وشريعة متبعة،وأعد لكل صالحة من الفساد حالاً ،وقارن بكل خِلة من المكروه خلافاً"[1].

لجأ الكاتب فى هذه الرسالة فى تصوير إنفعاله بأحداث الدهر إلى المحسنات البديعية،وقد شبّه الدهر بالأنسان فى غدره وخيانته،وجعله يُعطى وينزع،ثم نلمس فيها شيوع السجع،فقد لجأ إبن العميد هنا إلى أستخدام السجع الحالى*[2]وذلك فى مثل قوله: "شيمة مألوفة،وسجيّة معروفة"-" سنة مبتدعة -شريعة متبعة"وأيضاً لجأ إلى أستخدام الأسلوب المرصع المتوازى*[3]وذلك فى مثل قوله:" يبدو خيره لمعاً ثم ينقطع،ويحلو ماؤه جرعاً ثم يمتنع"

---

[1] -بلاغة الكتاب.محمد نبيه حجاب.مرجع سابق.ص ٨٩-٩٠.

[2] -*السجع الحالى:يُقصد به إتفاق الفاصلتان وزناً وقافية.

[3] -*المرصع المتوازى: يُقصد به إتفاق المتقابلات وزناً وقافية

٥- رسالة أحمد بن يوسف فى الأعتذار:-

وكتب أحمد بن يوسف إلى صديق له ،يعتذر وذلك بقوله:

"لى ذنوبٌ إن عددتها جلّت،وإن ضممتها إلى فضلك حسنت،وقد راجعت إنابتى،وسلكت طريف أستقامتى،وعلمت أن توبتى فى حُجتى،وإقرارى أبلغ فى معذرتى،فهذا مقام التائب من جُرمه،المتضمن حسن الفيئة*[1] على نفسه،فقد كان عقابك بالحلم عنى،أبلغ من أمرك بالإنتصاف منى،فإن رأيت أن تهب لى ما أستحققته من العقوبة،لما ترجوه من المثوبة،فعلت إن شاء الله."[2]

درج الكتّاب فى هذا العصر إلى التلطف فى مثل هذه الأغراض،فهذا هو أحمد بن يوسف يتلطّف فى إلتماس العذرمن صديقه،ويعترف له بكثرة ذنوبه،ويرجو منه العفو،ولمّا كان المقام مقام أعتذار وطلب العفو،فإنه أوجز القول،ولم يُكثر من أستخدام المحسنّات البديعية إلا ما أقتضت له الحاجة،فالقارئ لهذه الرسالة يجده قد أستخدم السجع دون تكلّف فيه،وهذه هى طبيعة الكتّاب فى تلك الفترة ،فإنهم كانوا يرسلون أنفسهم على سجيتها،ويتركون لأقلامهم العنان.

---

[1] - *الفيئة : الرجوع

[2] -جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج٣.مرجع سابق.ص٤٤٤-٤٤٥.

٦- رسالة السيّدة زبيدة فى الإستعطاف:-

ومن الرسائل الأخوانيّة ما قد يكون متبادلاً بين الرئيس والمرؤوس،فهذه هى السيدة زبيدة ،تكتب إلى المأمون تستعطفه فى إبنها الأمين بقولها:

"كل ذنب يا أمير المؤمنين-وإن عظُم- صغير فى جنب عفوك،وكل ذلك-وإن جّل-حقير عند صفحك،وذلك الذى عودك الله ،فأطال مدّتكووتمّم نعمتك،وأدام بك الخير،ورفع بك الشر.

هذه رقعة الواله*[١]التى ترجوك فى الحياة لنوائب الدهر،وفى الممات لجميل الذكر،فإن رأيت أن ترحم ضعفى وأستكانتى*[٢]،وقِلة حيلتى،وأن تصل رحمى،وتحتسب*[٣] فيما جعلك الله فيه طالباً،وفيه راغباً،فأفعل،وتذكر من لو كان حيّاً لكان شفيعى إليك"[٤]

بُدئت هذه الرسالة بالإمتنان للخليفة ،وتذكيره بجانب حلمه وصفحه،وهذا هو أقوى مؤثر للإستعطاف وإمالة القلوب،وذلك فى قولها:" كل ذنب يا أمير المؤمنين-وإن عظُم- صغير فى جنب عفوك...الخ".

ثم نجد فيها أستخدام للسجع مثل :"فأطال مدّتك-تمّم نعمتك"، "فيما جعلك الله فيه طالباً،وفيه راغباً".

---

[١]-*الوله: شديد الحزن على ولدها

[٢] -*الإستكانه:الخضوع والذلة

[٣] -*تحتسب:ينوى به وجه الله

[٤]- المرجع السابق.ص٣٧٤.

الباب الثانى
الخصائص الفنيّة للرسائل فى العصر العبّاسى

الفصل الأول:شكل الرسائل

المبحث الأول :المقدمة

المبحث الثانى :الموضوع

المبحث الثالث :الخاتمه

الفصل الثانى:الدراسة الفنيّة

المبحث الأول : الألفاظ والمعانى

المبحث الثانى :الإقتباس

المبحث الثالث :السجع والتوازن

المبحث الرابع :التخييل والتصوير

المبحث الخامس : الإيجاز والإطناب

المبحث السادس :الإستشهاد بالقصة

المبحث السابع :الإستشهاد بالشعر

الفصل الأول:

شكل الرسائل

المبحث الأول :المقدمة

المبحث الثانى :الموضوع

المبحث الثالث : الخاتمه

مقدمة

لم يكن نجاح الكاتب الناشئ هيناً،فقد كان لا بد له من إحسان صناعة الكتابة،وهو إحسان جعله يتوفر على مادتها اللغويةوالأسلوبية،ولا بد له أيضاً من ترتيب أجزائها وتنميقها وزخرفة أسلوبها وتقويته،فهى كالبنيان،حتى يتقن تلك الكتابه الإتقان المنشود من حيث الوضوح والجمال الفنى،أما الوضوح لأنه غالباً ما يكتب إلى الرعيّة فلا بد لها أن تفهم عنه،أما من حيث الجمال الفنى فلأنه كان يكتب عن الخلفاء والوزراء والولاة والقواد،فلا بد أن يروعهم ببيانه وبلاغته.[1]

إذن نستطيع أن نقول أن العمل الفنى للرسالة هو ثمرة جهد وإجتهاد من الكاتب،فهو حينما يكتبها وينمقها ويرسلها يكون بذلك قد أخرج ثمرة ما جادت به قريحته،وما ناله من ثقافة وأدب.

تبعاً لذلك كان لا بد أن نُجمل القول عن الخصائص الفنيّة للرسائل فى العصر العباسى فى عنصرين أساسيين هما:شكل الرسائل،وثانياً الأسلوب وما يشتمل عليه من وسائل تعبيريه

[1] –العصر العباسى الأول.شوقى ضيف.مرجع سابق.ص ٤٦٦.

المبحث الأول :المقدمة:-

ويُقصد بها الإفتتاح وهو أن تجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً على المعنى المقصود،لأنه يفيد من مبدأ الكلام ما المقصود منه،وخُصت الإبتداءات بالإختيار لأنها أوّل ما يطرق السمع من الكلام ،فإذا كان الإبتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعى على إستعماله.[1]

فقد دارت مقدمات الرسائل فى الدولة العباسيّة فى إتجاهين،أولهما:ما درج عليه الكتّاب منذ صدر الإسلام،وثانيهما التقديم للرسالة بشئ يتصل بها ويمهّد لها.

فنجد الرسائل فى عهد الخلفاء الراشدين كانت تُفتتح بلفظ :"هذا ما عهد" أو"هذا عهد من فلان لفلان." وذلك مثل ما كتب أبى بكرالصدّيق رضى الله عنه لأُمرائه الذين وجههم لقتال أهل الردّة:"هذا عهد من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلّم ،لفلان ....الخ"[2]

أما فى عصر بنىّ اميّة ،فقد كانت تُفتتح كتبهم بقولهم:"أمّا بعد" ثم الولوج إلى الموضوع الذى من أجله كُتبت الرسالة،وذلك مثل ما كتب عبدالحميد بن يحيى عن مروان بن محمد لبعض من ولاّه قائلاّ:

"أمّا بعد،فإن أمير المؤمنين – عندما إعتزم عليه من توجيهك إلى عدو الله الجِلف الإعرابى ،المتسكع فى حيرة الجهالة،وظلم الفتنه،ومهاوى الهلكة ....الخ"[3]

أما فى العصر العباسى،فقد تعددت مقدمات الرسائل وتنوعت،فمنها القصير المختصر،ومنها المطوّل،فمن المقدمات المطوّله،ما كتبه أبى جعفر المنصور حينما أراد البيعة لإبنه محمد المهدى من بعده،فقد أطال فى وصفه وذلك فى قوله:"والمهدى – معشر المسلمين- فى عفافه وصلاحه،وورعه وطبائعه وشيمه وحلمه ورأفته وإستصلاحه وإستبقائه،وعفوه ومقدرته،ورأيه ومكيدته وشوكته على عدوه،وحُسن تدبيره فى ولايته وسياسته لجنوده ورفقه وعدله....إلى أن يصل إلى قوله:"قوياً على طاعة الله ونصر دينه،والذب عن حقه وملته." فقد

---

[1]- جواهر الأدب.أحمد الهاشمى.مرجع سابق.ص ٤٠.

[2]- صبح الأعشى.القلقشندى.ج١٠.مرجع سابق.ص١٩٢.

[3]- المرجع السابق.ص ١٩٥.

أطال المنصور هنا فى مقدمته، كما وردت بأكملها فى الباب الأول من هذا البحث، ربما ليلفت إنتباه الناس للخليفة الذى سيتولى زمام أمرهم.

ونجد أن المقدمة من الرسالة هى أول ما يطرق الأسماع،لذا لا بدّ أن تكون قوية وجيده لتلفت اليها السامعين،ويتأهبوا لما بعدها.

ونجد أن لكل موضوع فكرة أو مقدمة،هذه المقدمة قد تكون بسيطة بالغة الحد فى البساطة،وقد تكون معقدة،ومن هنا تتضح أهميّة المقدمة ومهارة الكاتب فى التقديم لرسائله.[1]

فالمقدمة قد تكون واضحة فى معظم الكتب،لا يشوبها غموض،وهى كما كان الحال عليها منذ عهد الخلفاء الراشدين،وخلفاء بنى أمية كما ذُكر آنفاً،فقد كانت تبدأ كتبهم بالبسملة مع زيادة لفظ "عبدالله"قبل الأسم ولفظ"الإمام "بعده وهى هكذا:"بسم الله الرحمن الرحيم،من عبدالله فلان الإمام أميرالمؤمنين إلى فلان،أما بعد....الخ".ونجد أن العباسيين تفننوا طويلاً فى التحميدات التى تصد بها الرسائل،ثمّ زاد الرشيد بعد التحميد الصلاة على النبى (ص) فجرى العمل بذلك،ثم لما صارت الخلافة إلى الأمين إكتنى وكانت كنيته "أبا موسى"،فتُبع ذلك بعده،وكانوا أحياناًيقدمون التحميد والصلاة على النبى (ص) قبل البعديّه ثم يلونها بالعرض،وأحياناً يختصروا الصورة فتركوا التحميد والصلاة على النبى (ص)،ولم يكن ذلك من إختراع العباسيين لكنهم أكثروا منها فى الإخوانيات ورسائل السلطان.ثمّ تركوا فى الإخوانيات الحمد والصلاة وبدأوا بالدعاء للمكتوب إليه،وذلك مثل ما كنب إن العميد إلى عضدالدولة يهنئه قائلاً:

"أطال الله بقاء الأمير....،دام عزّه وتأييده،وعلّوه وتمهيده،وبسطته وتوطيده،وظاهر له من كل خير مزيده،وهناه بما إحتظاه به على قرب البلاد،من توافر الأعداد،وتكثر الإمداد،وتشمّر الأولاد،وأراه من النجابة فى البنين والأسباط....الخ".ثم أحدثوا فيها فى منتصف العصر العباسى البدء بقولهم:"كتابى إليك" مردفين ذلك بالدعاء للمكتوب إليه أو وصف حال الكاتب،ونلمس ذلك فى رسالة إن العميد إلى إبن بلكا عند إستعصائه على ركن الدولة .إذ نجد أنه يقدم لرسالته بقوله:"كتابى إليك ،وأنا متأرجح بين طمع فيك ،ويأسٌ منك ....الخ."[2]

---

[1] –عبدالرحمن عطالمنان."الخطابه فى عصر بنى أميه".رسالة دكتوراه غير منشورة.كليّة اللغة العربيّة.جامعة أمدرمان الإسلامية.٢٠٠٢م.ص١٧٢.

[2] – الحياة الأدبية فى العصر العباسى.محمد عبدالمنعم خفاجى.ص ٨٥.

وبالرغم من ذلك فإن الرسائل الإخوانية نجد أن ضبط إبتداءاتها غير ممكن،وذلك لإختلاف مذاهب الكتّاب فيها .

أما بالنسبة للعهد بالولاية أو بالخلافة فالصورة القديمة كانت تبدأ بقولهم "هذا ما عهد به فلان " وذلك مثل ما فعل الإمام الطائع فى عهده للحسين بن موسى العلوى،إذ نجد أنه بدأه بقوله:"هذا ما عهد به عبدالله عبدالكريم الإمام الطائع لله أميرالمؤمنين،إلى الحسين بن موسى...الخ." أو بقولهم :"هذا ما كتبه عبدالله فلان إلى الخاصة والعامة" وذلك مثل ما فعل عبدالله بن هارون الرشيد لعلىّ بن موسى حينما أراد توليته العهد قائلاً:"هذا كتاب كتبه عبدالله بن هارون الرشيد أميرالمؤمنين بيده،لعلىّ بن موسى بن جعفرولىّ عهده....الخ."

ثمّ تطورت إبتداءاتهم فبدأوا بالتحميد والصلاة والسلام على النبىّ (ص)،ثم مقدمه لتعداد فضائل ولىّ العهد أو غيره،وهكذا كانت منشوراتهم ،فقد بدأ أحمد بن يوسف رسالته بقوله:" من عبدالله الإمام المأمون،أميرالمؤمنين إلى المبايعين على الحق،والناصرين للدين،من أهل خراسان وعندهم من أهل الإسلام،سلام الله عليكم،فإن أميرالمؤمنين يحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو،ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله....الخ"[1]

أما فى البيعات فقد كانت مقدماتها تبدأ بالبسمله ثم يأتى بعدها قولهم "تبايعون عبدالله فلاناً ...الخ"،وذلك مثل ما قُدم للبيعة التى أُخذت للمنتصر بالله فقد أُفتتحت بقولهم:

"بسم الله الرحمن الرحيم :تبايعون عبدالله المنتصر بالله أميرالمؤمنين ،بيعة طوع وإعتقاد ،ورضا ورغبة،بأخلاص من سرائركم ،وإنشراح من صدوركم،وصد من نيّاتكم...الخ".

ثم يكثرون من الإيمان توكيداً للوفاء وضماناً لعدم الغدر.[2]

وأيضاً مما يُلاحظ فى مقدمات الرسائل العباسيّة أنهم جعلوا لكل طبقة من رجال الدولة نعوتاً تُفتتح بها رسائلهم ،وعبارات تعنون بها كتبهم،ففى مقدمة مخاطبة أبناء الخلفاء فى زمن المقتدر ،كان قولهم :"أطال الله بقاء الأمير"[3]،وذلك مثل ما قدّم إبن العميد فى رسالته التى بعث بها لعضد الدولة مهنئاً له قائلاً :"أطال الله بقاء الأمير الآجل عضدالدولة،دام عزّه وتأييده،وعلوه وتمهيده،وبسطته...الخ".وكذلك من مقدماتهم قولهم:"أسعد الله عظماء

---

[1]- الحياة الأدبية فى العصر العباسى.محمد عبدالمنعم خفاجى.مرجع سابق.ص ٨٦.

[2]- المرجع السابق.ص ٨٧.

[3] – تاريخ آداب اللغة .جرجى زيدان.ج١.ص ٣١٢.

الأملاك...الخ"،وذلك مثل ما قدم القاضى الفاضل لرسالته التى بعث بها للخليفة على لسان صلاح الدين الأيوبى قائلاً:"أسعد الله عظماء الأملاك ،بالإنتساب إلى الخدمة الشريفة النبويّة،وأوزعهم ما أمرهم به من طاعته...الخ".فبمثل هذه المقدمة يكون القصد من ورائها مراعاة التقاليد الدينيّة.

وكذلك درج الكتّاب فى العصر العباسى على بدء رسائلهم بالمدح ،وذلك ليستميلوا قلوب الخلفاء إليهم،وذلك مثل ما فعل إبراهيم بن سيابة حينما أراد أن يستعطف خالد البرمكى،مبتديئاً رسالته بقوله:"للأصيد الجواد ،الوارى الزناد،الماجد الأجداد ،الوزير الفاضل...الخ"

وأحياناً قد تبدأ رسائل العباسيين بالوعيد والتهديد ،ونلمس ذلك فى الرسالة التى وجهها أحمد بن إسرائيل لعمال الدولة قائلاً:"أما بعد ،فإن زيغ الهوى صدف بكم عن حزم الرأى ،فأقحمكم حبائل الخطأ،ولو ملكتم الحق عليكم وحكمتم به فيكم لأوردكم البصيرة ونفى غيابة الحيرة،والآن إن تجنحوا للسلم تحقن دماءكم وترغدوا عيشكم ويصفح أميرالمؤمنين عن جريرة جارمكم...الخ"

وقد تبدأ رسائلهم ببيت أو بيتين من الشعر وذلك شريطة أن يكون له مدلوله فى الرساله،وذلك مثل ما فعل القاضى الفاضل فى الرسالة التى بعث بها إلى صديقٍ له يعبر فيها عن مكنون شوقه إليه،مبتديئاً بقوله:

فيا رب أن البين أضحت صروفه

علىّ وما لىّ من معين فكن معى

على قرب عذالىّ وبعد أحبتى

وأمواه أجفانى ونيران أضلعى

ومن مقدمات الرسائل فى العصر العباسى،ما يدل على الوصول ،وذلك بأن تبدأ الرساله بقولهم:"وصل كتاب فلان مخبراً بكذا...الخ"أو"وصل كتابك".ويحسن ذلك فى الرسائل الجوابية.[1]

ومن المقدمات التى درج عليها الكتّاب أيضاً الدخول فى الموضوع مباشرةً،فمن ذلك ما كتبه إن المقفع لصديق له يستعين به على حوادث الدهر بقوله:"إن الناس لم يعدموا أن يطلبوا

---

[1] –فى النثر العربى قضايا وفنون.محمد يونس عبدالعال.مرجع سابق.ص ١٦٥.

الحوائج من الخواص من الإخوان،وأن يتوصلوا بالحقوق،يرغبوا إلى إهل المقامات،ويتوسلوا إلى الأكفاء وأنت بحمد الله ونعمته من أهل الخير...الخ"[1]

فهو بهذه المقدمة مهّد لطلبه بقياس منطقى لا يكون بعده إلا الإجابة لطلبه.

---

[1] - بلاغة الكتاب.محمد نبيه حجاب.مرجع سابق.ص ١٤٥.

المبحث الثانى :الموضوع:-

الموضوع هو الغرض الأساسى الذى من أجله يُقصد العمل الأدبى،وعليه تنشأ الرسالة أو تُلقى خطبه أو تُنظم قصيده.

فالأعمال الأدبية ما هى إلا صدى يتردد فى بيئة ما،حيث إن الكاتب أو الشاعر يصور ما يرى،ويصف ما يحس،لذلك لا يستطيع الأديب أن يستغنى عن الموضوع وإن أمكنه الإستغناء عن المقدمة والخاتمه.

لذلك نجد أن الرسائل العباسية قد إشتملت على العديد من الموضوعات ،فمنها الموضوعات التى تختص بدعم الخلافة العباسية،وذلك مثل كتاب أحمد بن يوسف لدعم الخلافة وتأييد الدولة العباسية،ومنها الموضوعات التى تتعلق بجانب العهد والبيعة،فمما كتبوا فى البيعات،كتاب أبى جعفر بالبيعة للمهدى من بعده،فقد نصّ فى موضوع البيعة بقوله:"فبايعوا باسم الله وعلى بركته وتوفيقه وتسديده،لمحمد بن أميرالمؤمنين بيعة رضوان من الله إن شاء الله،بصَحةٍ من نياتكم،وسلامة من صدوركم،ووفاء واستقامة...الخ".إذن اشتمل موضوع البيعة هنا على تأكيد البيعة له.

أما كتب العهود فقد كانت تأتى أحياناً متضمنة فى موضوعاتها تعداد صفات المعهود له.وذكر بعض الأمور التى يجب أن يلتزمها المعهود له،وذلك مثل ما فعل الإمام الطائع فى عهده إلى الحسين بن موسى.فبالإضافة إلى موضوعات البيعة والعهود،فقد كتب العباسيون فى شتى المجالات،فنجدهم قد كتبوا فى تصريف أعمال الدولة،وقد درجوا فى بعض الموضوعات على الجمع بين الوعيد والإنذار،وذلك يتجلى فى رسالة لأحمد بن صبيح لعمّال الدولة إذ يقول:"إن الله حبب إلى كل مسلم شعبة من دينه،فمنهم من حبب إليه الصلاة،فهو قانت آناء الليل...الخ"،نلحظ هنا أنه قد إستخدم أسلوب الترغيب واللين فى هذا الإنذار.ومن موضوعات الرسائل العباسيّة،كتب الأمان التى تصدر عن الخلفاء فى شأن أحد من رعاتها،فقد تفنن العباسيون فيها كثيراً،وذلك مثل ما كتبه المنصور فى شأن ابن هبيرة بعد أن قدّم له بالبسملة قائلاً:

"إنى أمنتكم بأمان الله الذى لا إله إلا هو،الذى يعلم سرائر العباد،ويعلم ما تُخفى الصدور،و'ليه الأمر كله،أماناً صادقاً لا يشوبه غِش ،ولا يخالطه باطل،على أنفسكم

ووزرائكم وأموالكم،وأعطيت يزيد بن عمربن هبيرة،ومن أمنته فى أعلى كتــابى هــذا،الوفاء بما جعلت لهم من عند الله وميثاقه...الخ".

ومنها الرسائل التى تخص موضوعاتها أمور الناس فى كافة حياتهم الاجتماعية،وذلك مثــل الرسائل التى كانت تحمل فى طياتها معانى الشوق والاعتذار،والاستعطاف،والعتاب وغيرها من المعانى الإخوانية.

أيضاً من الموضوعات التى برع العباسيون فى كتابتها وتفننوا فيها الوصف،وذلك مثــل مــا كتبه بديع الزمان فى صفة العلم فى رسالة إلى القاضــى أبــى القاســم علــى بــن أحمــد قائلاً:"...والعلم أطال الله بقاءالقاضى–شئ كما نعرفه بعيد المرام،لا يُصاد بالسهام ولا يقســم بالأزلام ،ولا يُرى فى المنام ولا يضبط باللجام،ولا يورّث عن الآباء والأعمــام ولا يُكتــب للئام،وزرع لا يزكوا فى كل أرض حتى يصادف من الحرص ثرى طيباً،ومن التوفيق مطراً صيباً،ومن الطبع جواً صافياً،ومن الجهد روحاً دائماً،ومن الصبر سقياً نافعاً...الخ."[1]إلى آخر ما وصف به العلم من صفات.

وكذلك كتبوا فى بعض الموضوعات الخاصة بالشعر كالمديح والهجاء والفخر،وذلــك لأنهــم نقلوا غلى النثر محاسن الشعر من إستعارة وتشبيه وخيال،والنثر إذا أخذ خصــائص الشــعر أصبح أقد منه على الوصف لخلوه من قيد الوزن والقافية.ومن أمثلة ذلك الرسالة الشــعرية التى كتبها الهمذانى وتضم فى موضوعاتها أبيات من الشعر،إذ يقول:

أنا لقرب الأستاذ أطال الله بقاه

"كما طرب النشوان مالت به الخمر"

ومن الإرتياح للقائه :

"كما إنتفض العصفور بلله القطر"

ومن الإمتزاج بولائه :

"كما إلتقت الصهباء والبارد العذب"

ومن الإبتهاج بمرآه:

"كما إهتز تحت البارح* الغصن الرطب"[2]

---

[1] – بلاغة الكتّاب.محمد نبيه حجاب.مرجع سابق.ص ١٢٩.

[2] – النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى.زكى مبارك.ج١.دارالتأليف المصرية.١٩٣٤ص١٢٨–

أيضاً من الموضوعات التى حوتها رسائل العباسيين وأكثروا فيها ،المبالغة فى الجمل الدعائية التى يختص بها من يكتب إليهم ،وذلك مثل ما كتبه إبن العميد إلى عضدالدولة مهنئاً:

"أطالالله بقاء الأميرالأجل عضدالدولة- دام عزّه وتأييده،وبسطته وتوطيده،وظاهر له من كل خير مزيده...الخ"[1].

وموضوعات الرسائل لا بدّ أن تكون واضحة متماسكة ،وأفكارها مرتبة وكل قسم منها يحمل فكره بذاتها،لتكون تلك الأفكار مجتمعة الهدف الذى يهدف إليه كاتب الرسالة،والملاحظ على بعض رسائل العصر العباسى أنها مقسمة إلى أجزاء وكل قسم يحمل فكره،وخير شاهد على ذلك الرسالة اليتيمة لإبن المقفع الذى تناول فى كل قسم منها فكره لتجتمع رسالة ذات هدف واحد ،وهى كما يقول:

"وقد أصبح الناس-إلا قليلاً ممن عصم الله-مدخولين منقوصين،فقائلهم باغٍ،وسامعهم عيّاب،وسائلهم متعنت،ومجيبهم متكلف،وواعظهم غير محقق لقوله بالفعل،وموعوظهم غير سليم من الهزء والإستخفاف،ومستشيرهم غير مأمون على الغش والحسد،مهتاكاً للستر،مشيعاً للفاحشة،مؤثراً للهوى،والأمين منهم غير متحفظ على من إئتمان الخونه،والصدوق غير محترس من حديث الكذبه،وذو الدين غير متورع عن تفريط الفجره،يتغارضون الثناء ،ويترقبون الدّول،ويعيبون بالهمز،يكاد أحزمهم رأياً يلفته عن رأيه أدنى الرضا وأدنى السخط،ويكاد أمتنهم عوداً أن تسحره الكلمة وتتكره اللحظة،وقد أُبتليت أن أكون قائلاً،وأُبتليتم أن تكونوا سامعين،ولا خير فى القول إلا ما أُنتفع به،ولا ينتفع إلا بالصدق،ولا صدق إلا مع الرأى،ولا رأى إلا فى موضعه،وعند الحاجة إليه،فإن خير القائلين من لم يكن الباطل غايته،ثم لزم القصد والثواب،وخير السامعين من لم يكن ذلك منه سُمعة ولا رياء،ولم يتخذ ما يسمع عوناً على دفع الهوى،ولا بُلغةً إلىحاجة دنيا،فإن إجتمع للقائل والسامع ،أن يرزق القائل من الناس مقه وقبولاً على ما يقوله،ويُرزق السامع إتعاظاً بما يسمع فى أمر دنياه،وقد صلحت نياتهما فى غير ذلك،فعسى ذلك أن يكون من الخير الذى يبلغه الله عباده،ويعجّل لهم

.١٣٠

[1] - المرجع السابق.ص ١٣٤.

٤-* البارح:الريح الحارة فى الصيف.

من حسنة الدنيا ما لا يحرمهم من من حسنة الآخرة ،كما أن المريد بكلامه أن يُعجب الناس،قد يجتمع عليه حرمان ما طلب مع سوء النيّة،وحمل الوزر،وقد وافقتم منى مسارعةً منى فيما سألتمونى من غير معاودة فى أشباهه،ولكن إستطال الناس فى جسيم أمورهم وإنفاذ الطوالع[1]*،ولم يبرح يطّلع منى فى ذلك إحتساب الخير فى ما بلغته القوة منى فى ذلك،طمعاً فى أن ينفع الله بذلك من يشاء،فإنه ما يشاء يقع.

أما سؤالكم عن الزمان،فإن الزمان الناس،والناس رجلان :والٍ ومولى عليه،والأزمنه أربعة على إختلاف حالات الناس.

فخيار الأزمنه:ما إجتمع فيه صلاح الراعى والرعيّة،فكان الإمام مؤدياً إلى الرعيّة حقهم:فى الرد عنهم ،والغيظ على عدوهم ،والجهاد من وراء بيضتهم،والإختيار لحكامهم،وتولية صلحائهم،والتوسعة عليهم فى معايشهم،وإفاضة الأمن فيهم،والمتابعة فى الخلق لهم،والعدل فى القسمة بينهم،والتقويم لأودهم،والأخذ بحقوق الله عزّ وجلّ عليهم،وكانت الرعيّة مؤدية إلى الإمام حقه فى المودة والمناصحة والمخالطة،وترك المنازعة فى أمره،والصبر عند مكروه طاعته،والمعونة له على أنفسهم ،والشدة على من أخلّ بحقه وخالف أمره ،غير مؤثرين فى ذلك آبائهم ولا أبنائهم،ولا لابسين*عليه أحد ،فإذا إجتمع ذلك فى الإمام والرعيّة ،تمّ صلاح الزمان،وبنعمة الله تتم الصالحات.

ثمّ إن الزمان الذى يليه:أن يصلح الإمام نفسه ويفسد الناس،ولا قوة بالإمام مع خذلان الرعيّة ومخالفتهم وزهدهم فى صلاح أنفسهم ،على أن يبلغ ذات نفسه فى صلاحهم،وذلك أعظم ما تكون نعمة الله على الوالى،وحُجّة الله على الرعيّة بواليهم،فبالحرى أن يؤخذوا بأعمالهم ،وما أخلقهم أن تصيبهم فتنه أو عذاب أليم.

والزمان الثالث:صلاح الناس وفساد الوالى،وهذا دون الذى قبله،فإن لولاة الناس يداً فى الخير والشر،ومكاناً ليس لأحد،وقد عرفنا فيما يعتبر به :أن ألف رجل كلهم مفسد وأميرهم مصلح،أقل فساداً من ألف رجل كلهم مصلح وأميرهم مفسد،والوالى إلى أن يصلح الله به الرعيّة أقرب من الرعيّة إلى أن الله بهم الوالى،وذلك لأنهم لا يستطيعون معاتبته وتقويمه مع إستطالته بالسلطان ،والحميّة التى تعلوه.

١-*الطوالع:جمع طالع وهو السهم الذى يجاوز الحد

٢-* لابسين:يُقال لبست القوم ،أى تلبست بهم دهرا

وشر الزمان:ما إجتمع فيه فساد الوالى والرعيّة،وتلك كارهه*[1]لم يتقادم عهد كونها،ولم تعف عنكم آثارها،وكل هذه الطباق من الشدة والرخاء فيما يبتلى الله عــزّ وجــلّ عباده،بجزاء معد،وكلمة سابقة ،قال الله عزّ وجلّ"ونبلوكم بالخير والشر فتنة وإلينا ترجعون".
فقولى فى هذا الزمان:إنه ألا يكن خير الأزمان ،فليس على واليكم ذنب،وألا يكن شر الأزمان فليس لكم حمد ذلك،غير إنّا بحمد الله قد أصبحنا نرجو لأنفسنا الصلاح بصــلاح إمامنــا،ولا نخاف عليه الفساد بفسادنا،وفد رأينا حظه من الله عزّ وجلّ فى التثبيت والعصمة ،فلم يبــرح الله يزيده خيراً،ويزيد به رعيته مذ ولاه ،فعندنا من هذا وثائق من عبروبيّنات ،ونحتسب من الله عزّ وجلّ أن لا يزال إمامنا يسارع فى مرضاة ربه،بالإستصلاح لرعيّته،والصبر على ما يستنكر منهم ،وقلة المؤاخذة لهم بذنوبهم ،حتى يقلب الله لــه بصــلاحهم قلــوبهم،ويفتح لــه أسماعهم وأبصارهم،فيجمع ألفتهم،ويقوّم أودهم،ويلزمهم مراشد أمورهم،وتتم بنعمة الله علــى أمير المؤمنين،بأن يُصلح له وعلى يديه ،فيكونوا رعيّة خيــر راع،ويكــون راعــى خيــر رعيّة،إن شاء الله وبه الثقة.
والذى أصبحنا بحمد من أمير المؤمنين كثيراً،أنا ذاكرٌ مــا تيســر منــه،وإلى هــذا ســيق الحديث،وهو قيامه على رعاية العهــد وجحــد الجحده،وفيــه إســتبطئ المســتبطئون،وليم المليمون*،فإن المستبطئون فى التقصير لأكثر من المستبطئون فى الإنكار،فإنا قلّما نلقى مــن أهل العقل والمعاينة منكراً لنعمة الله بأميرالمؤمنين على المســلمين إذا ذُكــر ذلــك ووقــف عليه،وقلّما نلقى إلا مقصراً من ناطق أو صامت،ولم تصبحوا معاتبين على ما جهلتم من حق أمير المؤمنين وفضله فى سير الأمور حين أقبلت،فإن الأمر فى مستقبله مما يســتبهم علــى ذوى العقول،وتشتد فيه حيرتهم،لما يشتبه عندهم ببعض ما يتذكرون مما مضى من أمور لــم يكن لها تمام ،وأخرى تمت فلم تُحمد،ولئن كان علم وصل إلى خاصة القوم فضله بــذلك،فإذا آلت الأمور إلى مراتبها،وحصل محصولها،وصرحت عن محضها لم يكــن فــى جهالتهــا عذر،ممن لم يعرف النعمة ولم يقبل العافية،نعوذ بالله أن نكون من الذين لا يعقلون.

١ *كارهه:وقد قيل كازمه أى كاسره مجتاحه من كزمه بقدم فمه كضرب:أى كسره وإستخرج ما فية ليأكله

٢- سورة الأنبياء. آية رقم ٣٥.

* المليمون:أى أتى ما يلام عليه.

فتفهموا ما أنا ذاكرٌ لكم،وتدبروه بالحق والعدل،فإن المرء ناظرٌ بأحدى عيون ثلاث،هما الغاشتان والصادقة–وهى التى لا تكاد توجد :عين مودةٍ تريه القبيح حسناً،وعينٌ شنئآن*[1]تريه الحسن قبيحاً،وعين عدل تريه حسنها حسناً،وقبيحها قبيحاً.

فتفكروا فيما جمع الله لأمير المؤمنين فى معدنه وفى سيرته،وفيما ظاهر عليكم من النعمة والحق والحجة بذلك فيما عسى القائل أن يبتغى فيه المغمز والمقال،فلعمرى إن للشيطان من أهواء الناس والسنتهم فى الأمر لنصيبا،وإن له لمستراحاً بينهم،يستوفيهم أمنيته،ويصدق عليهم ظنه،ويوحى إليهم بمكايده،فجعل الله كيده ضعيفاً،وحزبه مغلوبا،وجعله وإياهم نصيباً لجهنم من أجزائه المقسومة لأبوابها وحطبها ووقودها وحصبها*[2]ليعدل لها.

فمن كان سائلاً عن حق أمير المؤمنين فى معدنه فإن أعظم حقوق الناس منزلة ،وأكرمها نسبةً،وأولاها بالفضل ،حقّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم نبىّ الرحمة ،وإمام الهدى،ووارث الكتاب والنبوة،والمهيمن* عليهما،وخاتم النبييّن والصديقين والشهداء والصالحين،بعثه الله بشيراً ونذيراً ،وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً،ثمّ هو باعثه يوم القيامة مقاماً محموداً،شرع الله به دينه،وأتم به نوره على عهده،ومحق رؤوس الضلالة ،وجبابرة الكفر،وخوّله الشفاعة ،وجعله فى الرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلّم".[1]

ففى هذه الرسالة تحدث إبن المقفع عن موضوعات شتى والتى من أهمها:

١. أنواع الناس ومعادنهم
٢. صفات القول والإستماع
٣. أنواع الأزمنه وقد قسمّها إلى ثلاثة
٤. صفات الراعىّ والرعيّة

ليصل بذلك إلى صلاح البشرية فى هذا الزمان مستكملاً صلاحها بصلاح خير البشر رسول الأمة جمعاء،ليتم له الغرض من وراء ذلك ألا وهو طاعة السلطان.

---

[1] * شنئآن:البغض والكراهية

٢–* الحصب:الحطب وما يُرمى فى النار

٣–* المهيمن:الأمين أو المؤتمن

٤– جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج٣.مرجع سابق.ص٤٨–٥٣.

أيضاً ضمت هذه الرسالة أحكاماً سياسية جريئة على الحاكم والرعيّة ،فهو يبدؤها بالحديث عن الناس وأخلاقهم إذ يقول:"قد أصبح الناس –إلا قليلاً ممن عصم الله ....الخ"

فقد عبّر الكاتب عن كنه النفس البشرية،وأخلاقها وتناول سماحة ورحابة فلسفة القائل والمستمع ،ويرى أن كلاً من القول والإستماع بلاء يُبتلى به الناس.

ثمّ ينتقل فى خفة وبراعة وعمق إلى الحديث عن الراعىّ والرعيّة فى إطار الزمان، فيقول موجهاً القول إلى الناس :"أمّا سؤالكم عن الزمان ...الخ".

وإضافةً إلى ذلك فقد حصن الكاتب نفسه بإطراء وجهه إلى الخليفة خشيّة المؤاخذة قائلاً:"فتفهموا ما أنا ذاكرٌ لكم...الخ".[1]

ومن الموضوعات التى كتب فيها العباسيون وأكثروا منها التحميدات،فإنه لا تكاد تخلو رسالة من تحميد،أو أن يكون تحميداً قائماً بذاته،وذلك مثل تحميد إبراهيم بن القباس فى خبر فتح:

"أمّا بعد فالحمد لله الذى حمد نفسه،وفرض حمده على خلقه،وأعزّ دينه،وأكرم بطاعته أولياءه،وجعل جنده منهم المنصورين،وحزبهم منهم الغالبين،نهج*[2]بهم سبيله ،وأقام بهم حجته،وجاهد بهم أعداءه،وأظهر بهم حقه،وقمع بهم الباطل وأهله،وأعلى كلمتهم،وأيّد نصرهم،وألف بهم ولهم،ومكّن لهم فى الأرض،فجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين.

والحمد لله المعز لدينه،المظهر لحقه،الناصر لخلفائه،اللمكن لحزبه،المنتقم بهم ممن صدف عنه،مؤيداً دينه بالنصر ،ليظهره على الأديان،وحفه بالعز،فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،وجنوده بالفلج*[3]فهم الأعلون إن إستنصر بهم ،والأعزون إن كاد بهم ،والأقربون منه إخلاصاً وعملاً،حمداً يوازى نعمه،ويمترى بمثله فواضله ومزيده[4].

والغالب على تحميدات العباسيين التى تُفتتح بها رسائلهم أن تكون مسجوعة ،كما هو الحال فى التحميد السابق.[5]فقد أصبحت تلك التحميدات لدى الكتّاب العباسيين فناً يتبارون فيه،ويطيلون إطالة لم تكن مألوفة فى مستهل الكتابة الإسلاميّة.

---

[1] –الأدب فى موكب الحضارة الإسلاميّة.مصطفى الشعكة.مرجع سابق. ص٣٦٥-٣٦٧

[2] *نهج:أوضح

[3] *الفلج:

[4] –جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج٤.مرجع سابق.ص١٥٦.

[5] –فى النثر العربى.محمد يونس عبدالعال.مرجع سابق.ص١٦٤.

المبحث الثالث :الخاتمه:-

هى آخر ما يعيه السمع،ويرتسم فى النفس،فإن كان مختاراً جبرما عساه وقع فيما قبلــه مــن التقصير،وإذا كان غير مختاراً كان بخلاف ذلك وربما أنسى محاسن ما قبله[1].

لذا لا بدّ أن تكون الخاتمة قوية مؤثرة ،حاملة فى طياتها تلخيص ما إشتمل عليــه مضــمون الرساله،وأن تكون مميزة عن سائر الكلام وأن تبتعد عن الإسهاب والتعقيد.

فأحياناّ تشتمل الخاتمة على الدعاء لأميرالمؤمنين وطلب العفو منه،وذلك مثل ما فعل أحمــد بن يوسف فى رسالته التى كتب بها للمأمون ،ذاكراً فيها غيرته على الأسلام،وفضــله علــى الرعيّة ،خاتماً لها بالدعاء له بقوله:"ونحن نسأل الله عزّ وجلّ،الذى جمع بأمير المؤمنين-مــدّ الله عمره- إلفتنا...الخ"[2].

وأيضاً نلتمس صورة الدعاء للخليفة فى رسالة أسماعيل بن صبيح التــى وردت ســابقاً،فقد ختمها بالدعاء لأمير المؤمنين بقوله:"حفظ الله أمير المؤمنين حفظاً يكون لــه حصــناً مــن عذابه،وحزراً من غضبه ،وحاجزاً من معصيته،ونوراً يستضئ به يوم لقائه فى خلقه،ويهتدى به إلى جنته".

ويتجلى طلب العفو فى الرساله التى بعثت بها السيدة زبيده إلى المأمون ،طالبة منــه العفــو على إبنها فقد ختمتها بقولها:"فإن رأيت أن ترحم ضعفى وإستكانتى،وقلة حيلتــى،وأن تصــل رحمى ،وتحتسب،فيما جعلك الله طالباً،وفيه راعياً،فافعل".

ثم تعددت خواتيم الرسائل وتنوعت،فكل منها ينتهى بحسب موضوعه،ففى المنشورات ختموا بقولهم:"حسبنا الله ونعم الوكيل" أو"والسلام" وذلك مثل ما فعل أحمد بن يوسف فى رســالته،إذ ختمها بقوله:"والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

أمّا فى العهود فقد درجوا على ختامها بقوله تعالى:"وكفى بالله شهيداً".هذا الختام يُعد إقتباســاً من آيه وذلك مثل ما فُعل فى البيعة التى أُخذت للمنتصر من بعد المتوكل فقد خُتمت بقولــه :"والله عليكم بذلك شهيد،وكفى بالله شهيدا".

---

[1] -الإيضاح فى علوم البلاغة.الخطيب القزوينى.شرحه محمد عبدالمنعم خفاجى.ج٦.ص١٥٥.

[2] - بلاغة الكتّاب.محمد نبيه حجاب.مرجع سابق.ص ٢٥١.

ثم كتبوا:"إن شاء الله تعالى"بعد الأمور المستقبله،فيقولون:"فإن رأيت أن تفعل كذا فعلت موفقاً إن شاء الله"أو"فرأيك فى ذلك موفقاً إن شاء الله تعالى".[١]

وغالباً ما تكون مثل هذه الخواتيم فى العهود،وذلك فى مثل العهد الذى كتب به عبدالله بن هارون لعلى بن موسى من بعده،فقد ختمه بقوله:"فإنه الأمروإن سارعتم إليه ،وحمدتم الله عليه،عرفتم الحظ فيه إنشاء الله تعالى".

وكذلك فُعل بعهد الإمام الطائع للحسين بن موسى.

ومن الخواتيم التى تُعد أيضاً إقتباساً من آيه ،ما ختم به الكاتب أحمد بن إسرائيل رسالته التى كتب بها إنذاراً لعمال الدولة بقوله:"وقد أعذر من أنذر،(وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)".

وفى الرسالة التى بعث بها الخليفة أبى جعفر المنصور إلى محمد بن عبدالله ختمها بقوله:"والسلام".

أمّا كتب الأمان ،فلا يلتزمون فى خواتيمها عبارة واحدة،فأحياناً تُختتم بقوله:"وكفى بالله شهيداً".وذلك فى مثل الأمان الذى كتب به المنصور لإبن هبيرة.ويُختتم أيضاً بقولهم :"والسلام"،كما ورد فى الأمان الذى كتب به المنصور إلى النفس الزكية.

وأحياناً تكون الخاتمة بالدعاء والإستغفار لنفس الكاتب أو المكتوب إليه،وذلك فى مثل العهد الذى كتب به عبدالله المهدى إلى أحد ولاته ،خاتماً رسالته بقوله:"والله أسأل أن يصلى على محمد عبده ورسوله،وأن يوفقك ويحسن كفايتك".وأيضاً نلمس الدعاء فى الرسالة التى كتب بها جبل بن يزيد إلى الخليفة معزّياً له فى إبنه،وقد ختمها بقوله:"وأن يحسن أجر أمير المؤمنين فى مصيبته ويحسن فيها ثوابه،ويجزل فيها عِوضه ،ويكرم بها فى المعاد ذكره...الخ".

وكما يكون الختام إقتباساً من آيه ،فإنه أحياناً يكون إقتباساُ من الشعرببيت أو بيتين،وذلك فى مثل الرسالة التى بعث بها أحمد بن يوسف للمأمون يستجديه فيها ،فقد ختمها بقول الشاعر:-

فأنك لن ترى طرداً لحُرٍ

كالصاق به طرف الهوان

---

[١] - الحياة الأدبيه فى العصر العباسى.محمد عبدالمنعم خفاجى.مرجع سابق.ص٨٥.

ولم تجلب مودة ذى وفاء

بمثل الود أو بذل اللسان

وأيضاً نلمس ذلك فى رسالة الشوق التى بعث بها القاضى الفاضل إلى بعض إخوانه ،فقد ختمها بأبيات من الشعر.

بعد أن تمت الدراسة التفصيليه لشكل الرسائل ،وأستعرضنا أجزائها ومثلنا لكلٍ منها فى بعض الرسائل ،فقد وجدنا أن معظم الرسائل كانت تُفتتح عادة بالبسملة،والحمدله-أى التحميد-والصلاة على النبىّ(ص)والسلام ،ولفظة"أمّا بعد" والأدعية التى تتوسط صدور الرسائل أو تبدأ بها،ويُراعى فيها منزلة المكتوب إليه.

وأيضاً كانت تُفتتح الرسائل بلفظ"من فلان لفلان"أو "لفلان من فلان"أو "أمّا بعد"أو"كتبت"أو"أنا"أو"كتابى"،أو"أنهى إلينا كذا".

أمّا فى الرسائل الإخوانية وجدنا أن إبتداءاتها تختلف وتتنوع وذلك لإختلاف مذاهب الكتّاب فيها.ثم يتبع ذلك التمهيد للموضوع ،ثمّ الموضوع نفسه،وتنتهى الرسائل عادة بآية قرانية أو بلفظ"لا حول ولا قوة إلا بالله" أو"إن شاء الله"أو"السلام"،وقد درج أكثر الكتّاب فى الأغلب بالإكتفاء بهذه العبارة،وهى إختصار لكلمة "والسلام عليكم ورحمة الله "[١].

وقد تنتهى أحياناً رسائلهم بعبارة"وكفى بالله شهيدا"أو"حسبى الله ونعم الوكيل"،أو ببيت من الشعر ومن تمام البلاغة فى الرسائل أن ينسق الكاتب بين المطالع والخواتيم وما يعرض بينهما من موضوعات [٢].

---

[١]-النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى.محمد زكى عبدالسلام.مرجع سابق.ص١٣٥.

[٢] - المرجع السابق.ص١٦٥.

الفصل الثانى:

الدراسة الفنيّة

المبحث الأول : الألفاظ والمعانى
المبحث الثانى:الإقتباس
المبحث الثالث : السجع والتوازن
المبحث الرابع : التخييل والتصوير
المبحث الخامس: الإيجاز والإطناب
المبحث السادس :الإستشهاد بالقصة
المبحث السابع :الإستشهاد بالشعر

مقدمة:-

الأسلوب هو الطريقة التى يعبر بها الأديب عن نفسه فى تناوله لموضوع ما.وهو النمط الذى يختاره الأديب فى أستخدام اللغة وبناء العبارة.

والأسلوب هو فن من الكلام يكون قصصاً أو حواراً،تشبيهاً أو مجازاً أو كناية،فإذا صحّ هـذا الإستنباط كان للأسلوب معنى أوسع إذ يتجاوز العنصر اللفظى فيشمل الفـن الأدبـى الـذى يتخذه الأديب وسيلة للإقناع أو التأثير.

ويختلف الأسلوب بأختلاف طريقة الأديب وتعبيره تبعاً لموهبتـه وثقافتـه،ويمتاز الأسـلوب بصورة عامّة بأنه يمتزج فيه الفكر مع العاطفة للإقناع والتأثير.[١]

وللتعرف على أساليب الرسائل فى العصر العباسى،فقد تمت دراستها من خلال عدة مباحـث حتى تتضح تلك الأساليب.

---

[١] – الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لإصول الأساليب البلاغية.أحمد الشائب.مكتبة النهضة المصرية .ص ٤١.

المبحث الأول :الألفاظ والمعانى:-

من عناصر البلاغة اللفظ والمعنى،والتأليف بينهما يمنح الكلام قوة وتأثيرا.فاللغة عبارة عن معانٍ فى قوالب من الألفاظ،فقد يرمى الكاتب إلى تصوير أفكاره أو التعبير عمّا يجول بنفسه من المعانى،وقد يرمى إلى إظهار وجدانه إزاء ما يفكر فيه،وقد يقصد إلى إظهار موقفه من السامع أو القارئ،وقد تضعف ناحية من هذه النواحى أو يخفق الكاتب فيها،فالألفاظ هى الأداء لكل هذا،فهى الثياب التى تتجلى فيها المعانى،أو هى الرموز لكل ذلك.[1]ويرى الجاحظ أن اللفظ متى ما كان كريماً فى نفسه متخيراً فى جنسه،سليماً من الفضول،بريئاً من التعقيد،حُبب إلى النفوس وأتصل بالأذهان،وألتحم بالعقول،وهشت إليه الأسماع،وأرتاحت إليه القلوب،وخفّ على ألسن الرواة وشاع فى الآفاق ذكره.[2]

ومن مميزات الأسلوب الرسالى،إختيار الألفاظ التى تؤدى إلى المعنى المراد دون لبس أو غموض،ولا بد من العناية بترتيب الألفاظ والعبارات لتكون واضحة الدلالة على المعانى،حتى تتحقق الغاية المنشودة من الرسالة.

ومتى ما كان المعنى واضحاً لا غموض فيه صحّ أن يكون اللفظ كذلك،وذلك لأن الألفاظ هى بمثابة الجسد فى الروح لها تأثيرها الخاص بها.ولا بد أن يكون اللفظ على قدر المعنى،بمعنى ألا يكون هناك قصور عن الدلالة على المعنى،ولا يكون هناك حشو أو زيادة تخل به.ويقول الجاحظ فى هذا الشأن:"لم أر قط أمثل طريقة فى البلاغة من الكتّاب،فأنهم قد ألتمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً"[3].ويرى كذلك أن الكتّاب لا يقعون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعانى المنتخبة....،والتى إذا صارت فى الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم،وفتحت للسان باب البلاغة،ودلّت الأقلام على مدافن الألفاظ،وأشارت إلى حسان المعانى.[4]

إذن لا بد أن يكون هناك توافق بين الألفاظ والمعانى،حتى لا يكون اللفظ كالثوب المستعار،يتعثر فيه المعنى وتبدو عليه مظاهر يمجّها الذوق،وفقدان التوازن ينشأ عنه

---

[1] - الأصول الفنيّة للأدب.عبدالحميد حسين.مرجع سابق.ص٥٩.

[2] - البيان والتبيين.أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.ج٢.ص٧-٨.

[3] - البيان والتبيين.ج١.مرجع سابق.ص ١٣٧.

[4] - البيان والتبيين. أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.ج٤.ص٢٤.

الإسراف فى سرد ألفاظ تعد من غلو القول،فيصبح المعنى حائراً،وقد تضيع معالمه وسط الزحام اللفظى.[1]

وتتسم الرسائل فى العصر العباسى بجزالة اللفظ وقوة المعنى،إلا أنها تتمايز فى ما بينها تبعاً لإختلاف المواضيع.ومن هنا يأتى دور الكاتب فى إختيار الألفاظ والمعانى التى تتناسب وموضوعه الذى يريد،ويرى الخطابى فى المعانى التى تحملها الألفاظ :"أن الأمر فى معاناتها أشد لأنها نتائج العقول،وولائد الأفهام،وبنات الأفكار"،ويريد بالمعانى هنا المعنى العام فى العبارة أو الفكرة،أما الألفاظ فيصفها بأنها كمواد البناء ومتى ما كان البناء أو الناظم أتمّ حذقاً ،كان أوفر أداءً للمعنى المراد.[2]ولا بد للكاتب أن يتخذ لغةً خاصة يجانس فيها اللفظ والمعنى،فيكون رقيقاً فى مواضع الرقة،وذلك فى مثل مواقف الأشواق والمودّات والإستعطاف.وعنيفاً جزلاً فى المواقف التى تقتضى الجزالة كمواقف الحروب وما شابهها.[3]

وإذا لزم الأسلوب الشدّة أو العنف لا بدّ أن تتحد خاصيّة الألفاظ والمعانى مع خاصيّة العنف والتهديد.وفى ذلك يرى بعض الباحثين،أنه ليس أمام الأديب من وسائل التعبير سوى الألفاظ التى يحمّلها الشاعر أو الناثر،وما يريد أن يحمّلها إياه من الأفكار أو العواطف،والمقياس الذى يقيس به الأدب كافة شعراً كان أو نثراً هو قوة التعبير،وكلما فاضت العبارة بمعانيها ومشاعرها وعواطفها التى قصد الأديب أن يسوقها،كان أدنى إلى الأدب الصحيح.ولا بدّ أن تحمل الألفاظ إلى جانب معانيها محصولاً من العواطف الإنسانية والصور الذهنية.[4]

فالناظر لموضوعات الرسائل التى تتصل بتأييد الدعوة العباسية أو بيعة أو تولية عهد،يجد أنها تتسم بالصرامة فى بعض من جوانبها من حيث الفاظها وتراكيبها ليناسب ذلك موضوعها،ومما جاء فى ذلك فى كتاب البيعة التى أُخذت للمنتصر،فقد جاء فيها:" تبايعون عبدالله المنتصربالله أمير المؤمنين،بيعة طوع وإعتقاد،ورضا ورغبة،بأخلاص من سرائركم،وإنشراح من صدوركم،وصدقٍ من نياتكم،لا مكرهين ولا مجبرين،بل مقرّين عالمين بما فى هذه البيعة وتأكيدها،من طاعة الله وتقواه وإعزاز دين الله وحقه...الخ".فقوة

---

[1]–الأصول الفنيّة للأدب. عبدالحميد حسين.مرجع سابق.ص ٢١٠.

[2]- تاريخ النقد العربى.ص ٢٢١.

[3] – المرجع السابق.ص ٢٦٨.

[4] – قدامة بن جعفروالنقد الأدبى.بدوى طبانة.ص١٩١.

هذه الألفاظ تؤكد على إلزام من فى ذمتهم بالمبايعة.أما قوة المعانى وضبط الصياغة فتبدو واضحة فى كتاب المتوكل بالبيعة لبنيه.

وتظهر قوة الألفاظ أيضاً فى كتاب العهد الذى كتب به عبدالله بن هارون الرشيد لعلىّ بن موسى،وذلك فى مثل قوله:"وأيم الله إن المسئول عن خاصة نفسه،الموقوف على عمله،فيما بين الله وبينه،لمتعرض لأمرٍ كبير،وعلى خطرٍ عظيم،فكيف بالمسئول عن رعاية الأمّة".

فالقسم هنا زاد العبارة قوة فى ألفاظها ومعانيها.ونلمس قوة الألفاظ مع معانيها أيضاً فى العهد الذى كتب به الإمام الطائع إلى الحسين بن موسى،وذلك حينما كان يُسدى له النصح فى قوله:"آمره بتقوى الله التى هى عماد الدين،وشعار المؤمنين،وأن يعتقدها فى سره ونجواه،ويجعلها الذخيرة لأولاه وأخراه،ويتجنب الموانع المونية،ويتوقى الموارد المُرية،ويغُض طرفه عن المطامع المغوية".ففى تجانس الألفاظ مع المعانى يكون النصح هنا أكثر علوقاً بالقلب.

ولمّا كان المقام مقام نهى،فإنه أستعمل لذلك ألفاظاً تليق به وذلك فى قوله:"وأزدجر عن نواهيه وزواجره".

ونلمس أسلوب اللين فى استخدام الألفاظ والمعانى فى العهد الذى كتب به المهدى إلى من أراد أن يوليه على أرمينية،فإنه أستخدم فى هذا العهد ألفاظاً تحمل معانى النصح فى هذه الولاية وذلك فى مثل قوله:"آمره أن يتعاهد نفسه فى دينه وطاعته ونصيحته وحاله...وألا يأتمر أمراً حتى يستخير الله فيه،ويستعينه عليه".

إذن نستطيع القول بأن الرسائل التى تختص بالعهود والبيعات تمتاز بقوة الألفاظ والمعانى،هذا إلى جانب أستخدام أسلوب اللين وخاصة عند أسداء نصح أو أرشاد.

وبما أن ألفاظ الرسائل وعباراتها تختلف حسب المقام،فإن الرسائل التى تختص بتصريف أعمال الدولة وإدارة بعض شئونها جاءت عباراتها تحمل الوعيد والتهديد،نلمس ذلك فى الرسالة التى بعث بها أسماعيل بن صبيح لعمال الدولة إذ يقول:"فويلٌ لك ولكتّابك مما كتبت أيديكم ،وويلٌ لكم مما تكسبون".

أيضاً تظهر قوة العبارات ،وفخامة التعبير فى الرسالة التى أعطى فيها المعتز لعماله الحق فى إخضاع المتمردين والتنكيل بالأعداء إذ يقول:"ولئن شُنت الغارات،وشبّ ضرام

الحرب،ودارت رحاها على قطبها،وحسمت الصوارم أوصال حماتها...وكلحت الحرب عن أنيابها".
ونلمس رقة المعانى مع جمال الألفاظ وذلك فى رسائل الوصف،إذ تبدو واضحة فى الرسالة التى كتب بها عبدالله بن المعتز يصف القلم إذ يقول:"القلم مجهّز لجيوش الكلام..يخدم الإرادة...يسكن واقفاً وينطق سائراً".
وجاءت الألفاظ قوية تحمل فى طيّاتها معانى الوعيد والتذكير بالجزاء لكل من يخالف ويخرج عن الجماعة،وذلك فى الرسالة التى بعث بها أبى جعفر المنصورإلى النفس الزكية،إذ بدأها بقوله تعالى:"إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً...الخ".
أمّا الرسائل التى تخص المناسبات الإجتماعيّة المختلفة،فإن ألفاظها وعباراتها تأتى حسب الغرض،وكذلك فى التهنئات والتعازى والرثاء وغيرها من المناسبات.
ففى رسالة التهنئة التى بعث بها إبن العميد إلى عضد الدولة مهنئاً له بقدوم ولدين،ولمّا كان المقام مقام تهنئه فإنه بدأها بالدعاء لأمير المؤمنين،وذلك بأستخدام ألفاظ تليق وعظمة المناسبة وذلك فى قوله:"دام الله عزّه وتأييده،وعلّوه وتمهيده،وبسطته وتوطيده...الخ".
ونلمس روعة التعبير وفخامة الألفاظ التى تجمع بين معانى العزاء والتهنئة وذلك فى الرسالة التى بعث بها إبراهيم بن العباس إلى الواثق،وذلك حينما توفى المعتصم إذ يقول:"وقد كان من وفاة أميرالمؤمنين المعتصم بالله،ومن مشيئة الله فى ولاية أميرالمؤمنين الواثق بالله،ما عفا على أوله آخره،وتلاقت بدأته عافبته،فحق الله فى الأولى الصبر،وفرضه فى الثانية الشكر".
أما فى رسائل العتاب فأحياناً يلجأ الكاتب إلى أستخدام لهجة قوية ليلفت إنتباه من يخاطبه.ويظهر ذلك فى رسالة إبن العميد إلى إبن بلكا وذلك فى مثل قوله:"فلا عجب ان تنتبه إنتباهة تُبصر بها قُبح ما صنعت".فقوة العبارة وفخامة اللفظ فى قوله:"قُبح ما صنعت" تحمل معناً كبيراً للعتاب.
كذلك يظهر قوة الأسلوب وشدته فى تلك الرسالة التى بعث بها أحمد بن يوسف ذاماً بذلك صديقه،ولأن المقام يقتضى ذلك كان لا بد له من أستخدام الفاظاً قوية وذلك فى قوله:"المعروف لديك ضائع،والشكر عندك مهجور...الخ"
أما فى الرسائل التى تحمل معنى الإستعطاف والتذلل فقد درج فيها كتّابها إلى أستخدام الألفاظ التى تحمل ذلك المعنى وتكون مدعاة لإمالة القلوب،نلحظ ذلك جليّاً فى رسالة إبراهيم

بن سيابة إلى يحيى البرمكى،إذ يبدأها بالمدح وذلــك فــى قولــه:"الأصــيد الجواد،الــوارى الزناد،الماجد الأجداد...الخ".وكذلك فى الرسالة التى بعثت بها السيدة زبيدة إلى المــأمون إذ تقول:"كل ذنب وإن عظُم صغير فى جنب عفوك-وكل ذلل وإن جلّ حقير عند صفحك".

وفى رسائل التهادى نجد أن الكتّاب قد تفننوا فى إختيار الفاظهم ومعانيهم،وذلك مثل ما فعلت الجارية التى أهدت التفاح إلى المأمون،فقد أحسّت بصغِر حجم الهديّــة بيــد أنهــا تخيــرت لألفاظها أروع المعانى حتى تعظم الهذية فى نظر من أُعطيت إليه.

أما فى التوقيعات فقد كانت تأتى فيها الألفاظ بقد المعنى الذى يريد الكاتب أن يوقع فيه.

ومُجمل القول فى اللفظ والمعنى نستطيع أن نقول أن لكل أديب طريقته الخاصة فى إختيــار الألفاظ وتاليف الكلام،ثم إن عليه بذل حهده وذكائه فى إيجاد الصلة التى بين الألفاظ والمعانى التى يستخدمها ويثصد إليها،ومن هنا يبدو أن اللفظ ليس بمعزل عــن المعنــى،ولا المعنــى بمعزل عن اللفظ فى تشكيل صورة ما،إذ أن كلاً منهما مكملاً للآخر.

المبحث الثانى :الإقتباس:-

هو تضمين الكلام شيئاٍ من القرآن أو الحديث،وذلك بأن يضمّن الكاتب قوله آية أو معناها،أو حديثاً أو معناه.

والإقتباس يكون فى النثر كما يكون فى الشعر،ويجوز فيه للناثر أو الشاعر أن يغير تغييراً يسيراً فى الأثر المقتبس منه.وللإقتباس شرطٌ لا بدّ من تحققه بأن لا يشير الناثر أو الشاعر إلى المصدر الذى أقتبس منه قرآناً كان أو حديثاً،كأن يقول:قال تعالى،أو قال صلى الله عليه وسلّم،فهذا لا يُعد إقتباساً،إذ أن الأساس فيه إحداث عنصر المفاجأة للقارئ أو المستمع،حيث يجمع الأديب ما بين المتشابهات.

والإقتباس فيه من فنون علم البديع الذى يعمل على تزيين الألفاظ أو المعانى،ومن ما لا شك فيه أن ألفاظ القرآن الكريم أو الحديث تُضفى على الكلام شيئاً من البهاء والروعة،مع زيادة من الحسن والجمال.

وللقرآن أثر بالغ فى تقويم اللسان وتهذيب البيان ،لذلك كان العرب قديماً وعلى مرّ العصور يتمثلون به ويقتبسون منه.[1]

والمتتبع لرسائل العرب يجد أنهم كانوا يزينون رسائلهم بشئ من القرآن ومعانيه،وذلك لجمال أسلوبه وقوة حجته،تيقناً منهم على تأثيره على سامعيهم،وعند ذلك يكون للكلام وقعه الطيب على المتلقى فيقبله بذلك قبولاً حسناً.

وبالرجوع إلى العصور التى سبقت العصر العباسى وبخاصة عصر صدر الإسلام نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ضمّن رسائله شيئاً من الإقتباس،ثمّ جاء الخلفاء الراشدين من بعده وساروا على نهجه.

أما فى العصر العباسى،وبالوقوف على الرسائل التى تعرضنا لها نجد ميل الكتّاب إلى الإقتباس وتزيين رسائلهم ببعض الآيات سواء أكانت صريحة أو بالأخذ من معناها.

ففى رسالة الخميس التى كتب بها أحمد بن يوسف لتأييد الدعوة العباسية نجد أنه قد أكثر فيها من الأخذ من القرآن الكريم وذلك فى مثل قوله:"ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم ...الخ" وقوله:"أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" وأخذه من قوله تعالى"إنما يريد

[1] – دلائل الإعجاز.عبدالقاهر الجرجانى.ص ٥٨٥.

الله ليذهب عنكم الرجس ...الخ" وأخذه من قوله:"وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله"وأخذه من قوله:"وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم" وأخذه أيضاً من قوله:" يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر".
أما فى البيعة التى أخذ بها المتوكل لبنيه فنجد أنه قد ضمّنها إقتباساً صريحاً من قوله تعالى:" فمن بدله من بعد ما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدّلونه إنّ الله سميع عليم"
أما فى العهد الذى كتب به هارون الرشيد لعليّ بن موسى فقد ضمّنه كثيراً من الآيات وذلك فى مثل أخذه من قوله تعالى:"لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه...الخ" وأخذه من قوله تعالى:"ليهلك من هلك عن بيّنة،ويحيا من حيّ عن بيّنة...الخ" وأخذه من قوله:"يا داؤد إنّا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق...الخ" وقوله:"فوربك لنسئلنهم أجمعين...الخ".
ويتضح الإقتباس أيضاً والأخذ صراحةً من القرآن الكريم فى العهد الذى كتب به الأمام الطائع للحسن بن موسى وذلك فى مثل أخذه من قوله تعالى:"وأنذر عشيرتك الأقربين."وأخذه من قوله:"يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله وكونوا مع الصادقين"
أما العهد الذى كتب به المهدى إلى أحد ولاته فقد لجأ فيه أيضاً إلى الإقتباس من القرآن الكريم وذلك فى مثل قوله:"فإذا أطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا."وكذلك فى العهد الذى كتب به القاضى الفاضل عن العاضد فنجد أنه قد زينه بكثير من الإقتباسات والأخذ من القرآن الكريم وذلك فى مثل أخذه من قوله تعالى:"ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها...الخ".وأخذه من قوله تعالى:"ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم...الخ" وأخذه من قوله تعالى:"والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه...الخ"،وأخذه من قوله:"وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور"،وأخذه من قوله:"والآخرة خيرٌ لمن أتقى ولا تُظلمون فتيلا".
وفى الرسالة التى بعث بها الخليفة المنصور لعمّال الدولة نجد أنه قد ضمّنها نصاً صريحاً من القرآن،وذلك عند أخذه من قوله تعالى:"إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا...الخ".
أما فى الرسائل الإجتماعية فإننا نلحظ فيها قلة أستخدامهم للإقتباس،بيد أنها لا تخلو منه،ونلمس ذلك فى رسالة التهادى التى بعثت بها إحدى الجوارى للمأمون،فنجد أنها قد

ضمنّتها نصاً من القرآن وذلك أخذاً من قوله تعالى:" ليس على الضعفاء حرج ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج".

والإقتباس كذلك نجده قد شاع وأنتشر فى توقيعات بنى العباس،فإنه لا يخلو توقيع منها سواء أكان صريحاً أو الأخذ من معنى آية،وذلك فى مثل توقيع المنصور رداً على عمّه عبدالله بن على بقوله:"أدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىّ حميم،وما يُلقاهــا إلا الذين صبروا وما يُلقاها إلا ذو حظٍ عظيم".

أيضاً نجدهم قد صمّنوا رسائلهم شيئاً من الأحاديث كما ضمّنوها شيئاً من القرآن الكريم،وذلك يتضح فى العهد الذى كتب به هارون الرشيد لعلىّ بن موسى متمثلاً فى أخــذه مــن قــول عمربن الخطّاب رضىّ الله عنه إذ يقول:" لو ضاعت ســخلة بجانــب الفرات،لتخوفــت أن يسألنى الله عنها".

هذا فى ما يخص تضمين رسائلهم الفاظاً من القرآن الكريم صراحةً،أمّا تضمينها معنــاً مــن معانى القرآن فنلمسه فى كتاب البيعة للمنتصر وذلك فى قوله:"وعليكم عهد الله إن عهده كان مسئولا"،وذلك أخذاً من قوله تعالى :"وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا".وأيضاً نلمسه فــى كتاب البيعة التى بايع بها المتوكل بنيه إذ يقول:"والتمسك بعهــد الله فيــه وكــان عهــد الله مسئولا"،وذلك أخذاً من قوله تعالى:" وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا".

ويتجلى الإقتباس فى كتاب العهد الذى كتب به عبدالله بن هارون الرشيد لعلىّ بن موســى إذ يقول:"ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة والموعظة...الخ"،وذلك أخذاً من قوله تعــالى :"أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة."،وأيضاً فى قوله :"طلباً للســلامة والثبــات والنجاة فى اليوم الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين"،وذلك أخذاً من قوله تعالى:" يــوم يقــوم الناس لرب العالمين".

ويتضح الإقتباس أيضاً فى العهد الذى كتب به المهدى إلى أحد ولاته إذ يقــول:" فــإن الله لا يضيع لمحسن أجراً"،وذلك أخذاً من قوله تعالى:"والله لا يضيع أجر المحسنين".وقوله:"وأستعن بالله فيما غلبك يعنك الله"،أخذاً من قوله تعالى:"وإذا أستعنت فأستعن بالله".

وأيضاً نلمس الإقتباس الذى يحمل معناً ضمنياً فيما كتب به القاضى الفاضل عن العاضــد إذ يقول:"حتى تستوفى حظه من أميرالمؤمنين بأجر لا يضيع الله به عمله"،ذلك أخذاً من قولــه

تعالى:"إن الله لا يضيع أجر عامل...الخ".وقوله:"وصفوة ما تلقى آدم من ربه من الكلمات"،أخذاً من قوله تعالى:"إذ تلقى آدم من ربه كلمات".

فالناظر لرسائل العصر العباسى يجد أن الإقتباس من معانى القرآن الكريم شائعاً فى بعض الرسائل،يتجلى ذلك فى رسائل العهد والولاة للخلافة،وذلك فى مثل قوله:"وأوزعهم ما أمرهم به من طاعته"،وذلك أخذاً من قوله تعالى:"رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ".وقوله:"أودع بركات السماء والأرض بمودعها ومستقرها".أخذاً من قوله تعالى:"الذى أنشأكم من نفس واحده فمستقر ومستودع".

وأيضاً نلمسه فى مثل قوله:"لولا أن عصمة الموالاة تثبت فؤاده الخافق"،أخذاً من قوله تعالى:"وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك".وقوله:"وينقلب دونه البصر خاسئاً وهو حسير"أخذاً من قوله تعالى:"ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير"،وقوله:"بأن مملوك الخدمة وإبن مملوكها أخذ الكتاب بقوّة"،وذلك أخذاً من قوله تعالى:"يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً".وقوله:"تلقّاه تلقى أبيه الأول الكلمات"،أخذاً من قوله :"وإذا إبتلى أبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال أنىّ جاعلك للناس أماماً،قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين"،وقوله:"وسمع المشافهة خاشعاً متصدعاً" والله سبحانه وتعالى يقول:"لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله".

وكذلك شاع الإقتباس من معانى القرآن وكثُرفى الرسالة التى كتب بها اسماعيل بن صبيح لعمال الدولة،نلمس ذلك فى مثل قوله:"فهو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الأخرة"أخذاً من قوله تعالى:"امّن هو قانت آناء الليل...الخ".وقوله:"فهو ينفق ماله بالليل والنهار...الخ"والله عزّ وجل يقول:"الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم...الخ".وقوله:"إبتغاء مرضاة الله...الخ" أخذاً من قوله تعالى:"ومثل الذين ينفقون أموالهم إبتغاء مرضاة الله...الخ".وقوله:"ورعاية ما أئتمنوا عليه من دينهم""أخذاً من قوله تعالى:"والذين هم لأملناتهم وعهدهم راعون". وقوله:"أن يصلوا مع الله وملائكتة على رسوله".والله تعالى يقول:"إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما".وقوله:"وأن يلعنوا مع الله من لعن من أعدائه"،أخذاً من قوله تعالى:"أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون"

وقوله:"وهم يعرضونك على الله فى أدبار السجود"أخذاً من قوله تعالى:"ومن الليل فسبحه وإدبار السجود".وقوله:"إن يصبك بعذاب من عنده أو بأيديهم"،أخذاً من قولع تعالى:"ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا".وقوله:"فويل لك ولكتابك مما كتبت أيديكم وويل لكم مما تكسبون"،وذلك أخذاً من قوله تعالى:"فويل لهم مما كتبت أيديهم،وويل لهم مما يكسبون".وقوله:"لا يستخفه الذين لا يوقنون"،أخذاً من قوله تعالى:"ولا يستخفنك الذين لا يوقنون".

أيضاً نلمس الإقتباس من معانى القرآن الكريم فى رسالة عمرو بن مسعده لصديق له إذ يقول:"ثم عرض لجزيل الأجر من أستسلم لواقع قضائه،وعوض جليل الذخر من صبرعلى نازلة بلائه"،وذلك أخذاً من قوله تعالى:"وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون".

ويبدو الإقتباس من معانى القرآن شائعاً فى الرسائل العباسية فهذا هو كتاب الأمان الذى كتب به أبى جعفر المنصور،نلمس فيه أيضاً أخذه من معانى القرآن الكريم حيث يقول:"وبها قامت السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها"والله سبحانه وتعالى يقول:"إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال...الخ" .

ولم تخلوا توقيعاتهم من الأخذ من معنى القرآن الكريم وذلك فى مثل ما وقعّه المأمون إلى إبن رافع بقوله:"يا أبا رافع إنىّ رافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا" وذلك أخذاً من قوله تعالى:"إذ قال الله يا عيسى إنىّ متوفيك ،ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا".

أيضاً شاع الإقتباس فى المكتابات الإجتماعية،وذلك فى مثل الرسالة التى بعث بها جبل بن يزيد لأحد الخلفاء معزّياً،إذ نجده يقول:"وكان يجرى من تقدير الله فى ذلك على حتم من العمر،وقسم من الرزق،ومدة لها وقت وتأجيل" أخذاً من قوله تعالى:"لكل أجل كتاب،فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون".ونجده أيضاً فى قول ابن المقفع فى الرسالة التى بعث بها مهنئاً لصديقه إذ يقول:"وجعلها لكم زينا،وأجرى لكم بها خيرا"وذلك إخذاً من قوله تعالى:"المال والبنون زينة الحياة الدنيا...الخ".

فالناظر لرسائل بنى العباس الرسميّة وغير الرسميّة يجد أنها حافلة بضروب الإقتباس،سواء أكان صريحاً من القرآن أو بأخذ معنىً من معانيه.

وكما يكون الإقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف،فإن براعة الكتّاب فى صدر الدولة العباسيّة لم تنسهم أن يزينوا رسائلهم بشئ من الأقوال والأمثال،فمن ذلك ما كتبه أحمد بن إسرائيل فى رسالته إذ يقول:"ودعُيت نزال" وذلك مثلُ يُضرب لإحتدام الحرب،وقوله"قد أعذرمن أنذر"والذى صار مثلاً يُضرب لمن يعرض عن التوجيه والإنذار.

وكذلك نجدهم قد درجوا على الأخذ والإقتباس من أقوال الشعراء،ويتضح ذلك فى الرسالة التى بعثت بها إحدى الجوارى للمأمون إذ تقول:"هنيئاً مريئاً غير داء مخامر"وذلك أخذاً من قول الشاعر كُثير عزّة[1]:

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر

لعزّة من أعراضنا ما أستحلت

وكذلك يتضح فى رسالة الشوق التى بعث بها إبن العميد لصديقٍ له يقول:"فإن كان كذلك وإلا غطى هواك وما أُلقىّ على بصرى" أخذاً من قول الشاعر:

قالت وأبثثتها شجوى وبحت به

قد كنت عندى تحت الستر فاستترا

ألست تُبصر من حولى؟ فقلت لها

غطى هواك وما ألقى على بصرى

لذلك نرى أن الرسائل التى درج كتّابها على توشيتها بالإقتباس،والتى تضمنت شيئاً من القرآن والحديث والأمثال والأقوال،فى الألفاظ المعتمدة أو المعانى المستمدة،قد جعلت تلك الرسائل على قدرٍ عال من البهاء والجمال،وأن خلو الرسائل من تلك الإقتباسات قد يُنقص من قدرها،مهما بلغت من البلاغة وقوة الحجة.

---

[1] كثير عزة: حياته وشعره. أحمد الربيعي. دار المعارف بمصر. ١٩٦٧م. ص ١٥٢.

المبحث الثالث: السجع والتوازن:-

السجع حلية لفظية ولون من ألوان الأداء يزيد به الكلام جمالاً وحسناً،ويضفى إليه رونقاً وطلاوة.وهو كما عرّفه البلاغيون:"تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد،وهو معنى كقول السكاكى:هو فى النثر كالقافية فى الشعر"[1]

وجاء فى تعريفه أيضاً هو:إتحاد الفواصل وزناً وروياً على نسق القافية،مأخوذاً من سجع الناقة إذا أطربت فى حنينها،أو الحمامة إذا رجعت فى هديلها،وتسمى بذلك لتماثل فواصله أو رويها،فأشبه بذلك الترجيع،يقول أحد الشعراء:-[2]

أأن سجعت ورقاء فى رونق الضحى

على فنن غض البنان من الرند

بكيت كما يبكى الوليد، ولم تكن جليداً

وأبديت الذى لم تكن تبدى

والسجع هو أحد الجوانب المهمة فى التصنيع وزخرف الأساليب،أخذ فى الظهور منذ بدايات القرن الثانى الهجرى فى مكاتبات بنى العباس،ثم أتسع أستخدامه فى القرن الثالث الهجرى،وهو يكون مقبولاً إذا جاء فى الكلام من غير قصد أو إفتعال وإلا كان فيه التكلف والصنعة،وناقش العسكرى مسألة السجع وبيّن أن السجع"لم يكن فى جميع صنوف الكلام أحسن منه،إذا سلم من التكلف وبرئ من العيوب"[3]

ومن أوصاف البلاغة أن يكون السجع فى موضعه،وعند سماحة القريحة به،وأن يكون فى بعض الكلام لا فى جميعه،فإن السجع فى الكلام كمثل القافية فى الشعر،وإن كانت القافيه غير مستغنىً عنهافالسجع مستغنىً عنه.[4]

والسجع كان سراً من أسرار البلاغة فى القرآن الكريم،كما فى قوله تعالى:"وأتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزّا،كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونوا عليهم ضداً،ألم تر إنّا أرسلنا

---

[1]- التلخيص فى علوم البلاغة.جلال الدين محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزوينى.شرحه عبدالرحمن البرقوقى.ط١.دار الفكر العربى.١٩٠٤م.ص٤٠٤.

[2]- بلاغة الكتّاب.محمد نبيه حجاب.مرجع سابق.ص ١٦٠.

[3]- الصناعتين.أبى هلال العسكرى.مرجع سابق.ص ١٦٦.

[4]- نقد النثر.قدامة بن جعفر.مرجع سابق.ص١٠٧.

الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا،فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً".بيد أنــه ولمــا جــاء الإسلام فى أول أمره كان مكروهاً،وذلك لقرب ذلك العهد من الجاهليــة وقــد زال التحــريم بزوال العلة،وأيضاً نجده قد شاع فى الحديث الشريف كقوله(صلى الله عايه وسلّم):"أفشــوا السلام،وأطعموا الطعام،وصلوا الأرحام،وصلوا بالليل والناس نيام،تدخلوا الجنة بسلام"[١]

ونجد أن السجع أصبح شرطاً من شروط الترسل،وهو من ثمار التأنق لما يقتضيه من العناية فى إتقانه،فالرسالة المسجعة يظهر التأنق فيها أكثر من غيــر المسجعة،والســجع إذا أتقنــت صياغته أكسب المعنى قوة،وقد أتقنه الكتّاب فى هذا العصر،إلا أن بعضهم قد كلفوا به مــن غير مقدرة فجاء بارداً.[٢]

ففى رسالة ابن العميد التى بعث بها إلى عضد الدولة مهنئاً نجد أن السجع قد شاع فيها وذلك فى مثل قوله:"أطال الله بقــاء الأميــر الأجــل عضــد الدولــة،دام عــزّه وتأييــده،وعلّوه وتمهيده،وبسطه وتوطيده،وظاهر له من كل خير مزيده،وهناه ما أحتظاه بــه علــى قــرب البلاد،من توافر الأعدادوتكثر الأمداد،وتشمر الأولاد...الخ".فقد ظل السجع وأستمر على ذلك الحال شائعاً فى الرسائل العباسية.

وبتتبع السجع فى الرسائل العباسية،وبالرغم من وجوده فى جميع أنواع الرسائل فــى ذلــك العصر،إلا أنه لم يكن ملتزماً لذاته،ويتضح ذلك فى رسالة الأمان التى بعث بهــا المنصــور لمحمد بن عبدالله ،فإن السجع فيها لم يكن ملتزماً وأنما ياتى به ثم يتركه ويعود إليــه مــرة ثانية،وذلك فى قوله:"أن أؤمنك وجميع ولدك وأخوتك،وأهل بيتك ومن أتّبعــك،على دمــائكم وأموالكم،وأسوغك ما أصبت من دم أو مال،وأعطيك ألــف ألــف درهم،ومــا ســألت مــن الحوائج،وأنزلك من البلاد حيث شئت،وأن أطلق من فى حبسى من أهل بيتك،وأن أؤمن كــل من جاءك وبايعك وأتبعك،...الخ".

والسجع والتوازن متلازمين،وذلك لأن السجع يعنى توافق الفاصلتين أو أكثر فى القافية،ومن هنا يكون للكلام وقعه الجميل،وللألفاظ المسجوعة ترنيمات وتوازنات موسيقية مؤثرة،وكلمــا كانت الجل قصيرة والألفاظ قد تحقق فيها السجع والتوازن حصلت الإستجابه،وبذلك يكــون

[١] – الصناعتين. .ابوهلال العسكرى .مرجع سابق.ص ٢٥١.

[٢] – تاريخ آداب اللغة.جرجى زيدان.مرجع سابق.ص ٢٦٩.

السجع ومعه التوازن أقرب إلى الشعر من حيث الوزن والقافية،والسجع والتوازن والإزدواج كلها أساليب فنيّة تعمل على تزيين الكلام بالقدر الذى يسمح به الطبع وتوحى إليه الفطرة.[1]
ونلاحظ فى الرسائل العباسية أن معظم الكتّاب لا يتكلفون السجع فى رسائلهم،وأنما يأتى عفو الخاطر،بيد أن هنالك بعض الكتّاب الذين ألتزموه فى جميع رسائلهم حتى الرسائل المطولة.[2]وبالرجوع إلى رسائل البيعات نجده فى رسالة البيعة التى كتب بها المتوكل لبنيه إذ يقول:"فى أصالة من رأيه،وعموم من عافية بدنه،وأجتماع من فهمه،مختاراً لما شهد به،متوخياً بذلك طاعة ربه...الخ".وقوله أيضاً:"وسلامة رعيّته وإستقامتها،وإنقياد طاعتها،وإتساع كلمتها،وصلاح ذات بينها".أيضاً نجده قد شاع فى رسائل العهود،وذلك فى مثل العهد الذى كتب به عبدالكريم الأمام الطائع للحسين بن موسى إذ يقول:"وأمره بتقوى الله التى هى عماد الدين،وشعار المؤمنين،وأن يعتقدها فى سره ونجواه،ويجعلها الذخيرة لأولاه وأخراه،ويتجنب الموانع المونية،ويتوقى الموارد المُريه،ويغض طرفه عن المطامع المغوية،ويذهب بنفسه عن المطارح المخزية...الخ"
ويجئ السجع أكثر شيوعاً فى الرسائل الإخوانية أكثر منه فى رسائل العهد والبيعات،ومن ذلك قول إبن العميد فى الرسالة التى بعث بها لعضد الدولة مهنئاً إذ يقول:" :"أطال الله بقاء الأمير الأجل عضد الدولة،دام عزّه وتأييده،وعلّوه وتمهيده،وبسطته وتوطيده،وظاهر له من كل خير مزيده،وهناه ما أحتظاه به على قرب البلاد،من توافر الأعدادوتكثر الأمداد،وتشمر الأولاد...الخ".فنجد أنه فى هذه الرسالة قد ألتزم السجع ألتزاماً.
وأيضاً نجد أحمد بن يوسف وقد ملأ رسالته التى بعثها إلى صديقٍ له معتذراً سجعاً إذ يقول:"لى ذنوب إن عددتها جلّت،وإن ضممتها إلى فضلك حسنت،وقد راجعت إنابتى،وسلكت طريق إستقامتى،وعلمت أن توبتى فى حجّتى،وإقرارى أبلغ فى معذرتى...الخ".وأيضاً نجده شائعاً فى الرسالة التى بعث بها إبن العميد إلى صديق له يشكو فيها الزمان إذ يقول:"إنما أشكو إليك-جعلنى الله فداك- دهراً خئوناً غروراً،وزماناً خدوعاً غروراً،لا يمنح ما منح إلا ريثما نزع،ولا يُبقى فيما يهب إلا ريثما يرتجع،يبدو خيره لمعاً ثم ينقطع،ويلو ماؤه جرعاً ثم يمتنع...الخ.

[1] - الخطابة فى عصر بنى أميّة.عبدالرحمن عطا المنان.مرجع سابق.ص٢١٥.
[2]- النثر الفنى فى القرن الرابع.زكى مبارك.مرجع سابق.ص ١٢٨.

فهذه الجمل والكلمات المسجوعة فى تلك الرسائل،فبالأضافة إلى السجع نجد أنها قد حوت بعضاً من ألوان البديع الأخرى من مثل الطباق والمقابلة بين اللفظة وضدها،ويتضح ذلك فى رسالة التهادى التى بُعث بها ليحيى البرمكى إذ يقول فيها:"قعدت بى القدرة عن مساواة أهل النعمة،وقصرت بى الجدة عن مباهات أهل المكنة"وفى قوله:"المفتتح بيمنه،المختتم بطيبه".ويبدو أيضاً فى الرسالة التى بعث بها إبراهيم بن سيابة إلى يحيى البرمكى مستعطفاً إياه إذ يقول فيها:"بما لا أقوم له ولا أقعد"."فلست بحىّ صحيح ولا ميت مستريح".

بذا تكون قد تضافرت الألوان البديعية مع بعضها البعض وبقية المحسنات البديعية الأخرى لتكتمل للرسائل مقومات الفصاحة والبيان.ذلك الذى رأيناه فى الرسائل التى تخص البيعات والعهود،بيد أن هناك بعض الباحثين يرون أن السجع ليس جميلاً ومقبولاً،وأنما هو من باب الصنعة والتكلف وفى ذلك يقول عبدالحكيم بلبع:"والحقيقة أن كل كلام جاءت كل فاصلتين أو أكثر منه متحدتين فى قافية واحدة يسمى سجعاً سواء أتبع فيه اللفظ المعنى أو العكس،إلا أنه فى الأولى سجع جميل مقبول،وفى الثانية متكلف وهو فى الحالتين سجع"[١]

وبالوقوف على بعض النماذج المسجوعة وجدنا أن السجع شائعاً وإن قلّ فى الرسائل التى تخص العهود والبيعات،بينما يندر فى الرسائل التى تخص الأمان،وقد وجد السجع مجالاً واسعاً فى الرسائل الإخوانية والإجتماعية،وغالباً ما كان يقع السجع فى قصار الرسائل،وذلك فى مثل قول أحمد بن يوسف فى الرسالة التى بعث بها إلى المأمون يشكو تأخر الأرزاق إذ يقول:"كتابى إلى أمير المؤمنين،ومن قِبلى من قواده،وسائر أجناده،فى الأنقياد والطاعة،على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم،وأنقياد كفاة تراخت أعطياتهم،وأختلت لذلك أحوالهم،وألتاثت معه أمورهم".ومنها أيضاً فى رسائل التهانى والتعازى والتهادى وغيرها،ومن ذلك قول إبن المقفع إلى صديقٍ له يهنئه بمولود إذ يقول:"بارك الله لكم فى الأبنة المستفادة،جعلها الله لكم زيناً،وأجرى لكم بها خيراً،فلا تكرهها،فأنهن الأمهات والأخوات،والعمّات والخالات،ومنهن الباقيات الصالحات".

ومنها أيضاً ما كتبها الحسن بن وهب فى التعزية إذ يقول:"جبلك الله على التسليم لأمره،والرضا بقضائه،وصبّرك على مواقع أقداره،وأحتمال الحقوق لنعمته،إن الله عزّ وجل

---

[١]- النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه.عبدالحكيم بلبع.مطبعة الأنجلوالمصرية.ص ٩٦.

جعل النعم سبيلاً للشكر،والمحن سبيل إبتلاء الصبر،والصبر عند المحنة...الخ"[1] ومنها أيضاً الرسالة التى كتبها عبدالله بن المعتز معزيّـاً إذ يقـول:"عاريّـة سـرك الله بمـدتها،وآثرك بثوابها،وأثابك عن إرتجاعها،فأبشر بعاجل من صنعه،وآجل من جزائـه ومثوبتـه،،عظّم الله أجرك،وجعل الثواب عِوضك...الخ"[2]

ومنها ما كتبه أحد الكتّاب فى التهادى إذ يقول :"لو تمت الإرادة،لأسعقت العادة،ولو سـاعدت القدرة،على بلوغ النعمة،لتقدمت السابقين إلى خدمتك،وأتبعت المجتهدين فى كرامتك،...الخ".

ومن مثل ما وقع فى رسائل الإستجداء قول أحمد بن يوسف فى الرسالة التى بعث بها إلـى المأمون إذ يقول:"داعى نداك،ومنادى جدواك،جمعا ببابك الوفود،يرجون نائلك المعهود،فمنهم من يمت بحرمة،ومنهم من يُدلى بخدمة...الخ".

ونجد ان تلك الأقوال والتى تحقق بها السجع جاءت مناسبة للموقف والمعانى المسـتهدفة،وقد أهتم أصحابها وعُنى بالوقع والرنين سواء عن طريـق السـجع أو الأزدواج والتوازن،وقـد أتسمت بتقسيم العبارة إلى جمل متوازنه فى القدر والطول دون صنعة.

ومن المعيب أن يلتزم الكاتب السجع فى جميع رسائله،وذلك لأن السجع لا يواتى فـى كـل موضع من الكلام على حد الإيجاز والإختصار،وإذابُنى الكلام جميعه على السجع ظهر عليه التكلف.[3]

ومن الأسجاع ما هو حسن مقبول،ولكنه قد ينبه المستمع إليه أن قائلـه قـد تعمّـد تجويـده وتكلفه،وذلك مثل ما فعل الوزير الخاقانى فى توقيعه على كتب العمّال وذلـك بقولـه:"ألـزم وفقك الله المنهاج،وأحذر عواقب الإعوجاج،وأحمل ما أمكن من الدجاج إن شاء الله"[4] .وحينها حمل العامل دجاجاً كثيراً على سبيل الهدية فقال:هذا دجاج وفرته بركة السجع." فتكلفه فـى السجع أضطره إلى أستخدام كلمة "الدجاج".

ومن محاسن السجع والتوازن فى الفقرات نجدها تظهر وتتضح فى الرسائل التى تقوم علـى المحاورات،وهى لون جميل من ألوان الكلام المنثور الذى يعتمد أحياناً على السجع .

---

[1] -جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج٤.ص٢٨.

[2] - المرجع السابق.ص ٣٧.

[3] -فى النثر العربى.محمد يونس عبدالعال.مرجع سابق.ص ٤٠.

[4] - تاريخ آداب العربية.جرجى زيدان.مرجع سابق.ص ٢٦٩.

ومن ذلك ما دار من حوار بين الرشيد وأم جعفر زوج يحيى البرمكى فى الإستعطاف وكان على النحو التالى:-

"أحتجب الرشيد فى دار البانوقه أخته،فطلبت أم جعفر الأذن بالدخول عليه فلم يأذن لها،فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها،واضعة لثامها،محتفية فى مشيتها،حتى صارت بباب الرشيد فدخل عبدالملك بن الفضل الحاجب،فقال:ظئر أمير المؤمنين بالباب فى حالة تقلب شماتة الحاسد إلى حنين الوالد،وشفقة أمه الواحد،فقال له الرشيد:ويحك ياأبن الفضل،أو ساعية.فقال:نعم،أصلح الله أمير المؤمنين،وحافية.فقال:أدخلها يا عبدالملك فرب كبد كريم غزتها،وكربة كشفتها،وفرجة فرجتها،وعورة سترتها،فلما دخلت عليه وجلست قالت:يا أمير المؤمنين أيعدو علينا الزمان،ويجفونا خوفاً لك الأعوان،ويحردك بنا البهتان،ويوسوس لك بإيذائنا الشيطان،...الخ"[1]

ومما جاء فى ذلك من محاورات ما دار بين سهل بن هارون والرشيد،وفى ذلك يُذكر أنه دخل على الرشيد،وهو يضاحك أبنه المأمون فقال:"اللهم زده من الخيرات،وأبسط له من البركات حتى يكون فى كل يوم من أيامه مربياً عن أمسه،مقصراً عن غده،فقال الرشيد:يا سهل.من روى من الشعر أحسنه وأرصنه،ومن الحديث أفصحه وأوضحه...الخ".وحدث أن أستدعاه الرشيد،فلما مثل بين يديه عرف ذعره فى تجريض ريقه،والتمايد فى طريقه،وشخوصه ببصره إلى السيف،قال:إيهاً يا سهل من غمط نعمتى،وأعتدى وصيتى،وجانب موافقتى،أعجلته عقوبتى،قال سهل:فوالله ما وجدت جوابها حتى قال:ليفرغ روعك،وليسكن جأشك،وتطب نفسك،وتطمئن حواسك،فإن الحاجة إليك قربت منك،وأبقت عليك بما يبسط منقبضك،ويطلق معقولك،فأنتصر على الأشارة دون اللسان،فإنه الحاكم الفاصل،والحسام الناصل"[2]

بذلك يمكننا أن نقول أن السجع حليّة فطرية موسيقية ينبع من صميم الفطرة الصافية،مترجماً عن آلامها وآمالها،وبهذه الموسيقى صار قريب الشبه بالشعر الذى يعتمد موسيقى الأوزان والقوافى،وأنه لدى كتّاب العصر العباسى لم يكن مقصوداً لذاته بالصنعة المتكلفة،وأنما ينساب بالفطرة إنسياباً فيكون له وقع ورنين.

---

[1] -بلاغة الكتّاب.محمد نبيه حجاب.مرجع سابق.ص ١١٦- ١١٧.

[2] - المرجع السابق.ص ٢٥٨.

المبحث الرابع :التخييل والتصوير:-

تتميز الرسائل بمشابهتها للشعر،وذلك فى إبراز الأفكار وتوضيحها فى قوالب من التخييل والتصوير،والإلمام بعلوم البلاغة من بيان ومعانى وبديع،ومقدرة الكاتب فى إيصال أفكاره إلى الآخرين فى أسلوب لا يخلو من العاطفة والخيال ليبرز قوة معانيه وألفاظه.

والتخييل هو تلخيص المعانى فى الذهن وإبرازها فى صفات الكمال،فكلما كان الإنسان أقوى ملكة وأبعد آفاقاً كانت أخيلته أرفع وأوسع.

ويُعد التصوير الفنى من المكونات الهامة للعمل الأدبى إذ أنه يشكل العنصر الجمالى فيه ليؤثر على المتلقى،والفن والقدرة يظهران التجاوب مع الأدوات الجمالية بين الأديب والمتلقى من حيث العرض والقبول والأحساس بالأثر والفائدة معاً.[1]

والخيال الفنى ليس مجرد الجمع للأجزاء والعناصر ،بل هو إختيار وتنسيق وتصرف بالزيادة أو الحزف،ويبدو ذلك أكثر وضوحاً فى وصف مظاهر الطبيعة،والأسلوب الخيالى هو الذى يحاول فيه الكاتب أن يصف كل شئ.

كما أن للخيال قوة لا تسير الحياة العقلية بدونها،وله فى الفن عامّة وفى الأدب خاصة قيمة كبيرة،تكمن تلك القيمة فى تصوير الكاتب للأثر الذى يحس به،والعمل على إيصاله لذهن القارئ والسامع.[2]

وللخيال أيضاً أثر فى الأبداع وجمال التصوير،وأن الكاتب الذى يتخذ من الخيال وسيلة لتحلية أدبه وتقويته،يتطيع أن ينتقل بالقارئ فى أودية من المعانى وألوان من طرائق الحياة.[3]

وللخيال أيضاً دوره فى العمل الأدبى،إذ أنه يبرز المعانى فى صورة قريبة من الواقع المحس،ويعين على تذوقها،والوقوف على أسرار جمالها،ويلجأ الكاتب إلى تحقيقه عن طريق أستخدام الأساليب البلاغية.[4]

---

[1] - الصناعتين"الشعر والنثر".أبوهلال العسكرى.مرجع سابق.ص١٠.

[2] – الأصول الفنية للأدب.عبدالحميد حسين.ط١.مطبعة الأنجلو.١٩٦٤م.ص١٠٠-١٠٦.

[3] – المرجع السابق.ص ١٠٧.

[4] –قدامة بن جعفر والنقد الأدبى.بدوى طبانه.ط٣.المطبعة الفنية الحديثةبمصر.١٣٨٩هـ.١٩٦٩م. ص ١٩١.

أما التصوير فإنه يعمل على بناء التشكيل اللغوى للصورة،وذلك من خلال محاورة مفــردات عدة،تقوم بينها علاقات على نحو ما،يتحدد من خلالها المعنى الجزئى،كما يقوم بينــه وبــين المضمون الكلى إرتباط وعلاقات.[1]

ولعلم البيان أثر واضح فى تأدية المعانى بالصور المختلفة،فالأساليب البلاغيــة مــن مجــاز وتشبيه وأستعارة وكناية،تعمل مجتمعه على رفع المعانى والسمو بها إلى عالم الخيال،فالكاتب الحصيف هو الذى يتبع الأسلوب التصويرى فى التعبير عن أفكاره ومعانيه.

والرسائل العباسية تذخر بالعديد من الصور التى يرسمها الخيال من مشاهد البيئة الجديدة،لذا أصبحت الرسائل فى العصر العباسى حافلة بالصور البيانية والمحسنات اللفظية والمعنويــة وكل الأساليب البلاغية التى يلعب فيها الخيال دوره.ثم يجئ دور الكاتــب ومقدرتــه علــى أستخدام تلك الوسائل البلاغية فى تصويره الفنى.

فمن التشبيهات التى أسهمت فى تشكيل الصورة الفنية فى الرسائل العباسية قــول القاضــى الفاضل وذلك فى رسالة العهد التى كتب بها عن العاضد،فقد شبه الناصر صلاح الدين بالأسد فى قوته وذلك فى قوله:"أسد الدين".وفيه قد صرح بلفظ المسبه به علــى ســبيل الإســتعارة التصريحية.وأيضاً نجده يشبه الدولة بالفلك الذى تتعاقب عليه الأقمار وذلك فى قوله:"وجاعل دولة أمير المؤمنين فلكاً تتعاقب فيه أحوال الأقمار".

وأيضاً تبدو روعة التشبيه فى جعل دولة أميــر المــؤمنين روضــه يانعــة الفروع،باســقة الثمار،وذلك بفضل رشده،والروضه متى ما وجــدت الأهتمــام والعنايــة أينعــت وتفتحــت أزهارها،كذلك الدولة والسيادة الرشيدة،"إذ هوت فيــه الــدوحات أينعــت الفــروع ســابقة النوّارباسقة الثمار".

وأيضاً فيها يشبه دولة أمير المؤمنين بعرين الأســد وذلــك فــى قولــه:"وجعــل مملكتــه عريناً...الخ".وشبه بياض وجه أمير المؤمنين وحسنه ببياض الفجر،وجعــل الأنــوار التــى تنبعث عند الصباح كأنها من وجهه وذلك فى قوله:"وأطلع أنوار وجهه الفجر الذى جعل مــن ظن غير نوره مطلعه".

وفيها يشبه بياض أجفانه باللجين إذ يقول:"حيث تتقى الأبصار لجين الأجفان"

[1] – التصوير الشعرى(رؤية نقدية).عدنان حسين قاسم.الدارالعربية للنشرالقاهرة.ص ٥٨.

وتبدو روعة التشبيه فى رسالة العهد والولاة للخلافة فى قول الكاتب وتشبيهه لقوة أمير المؤمنين فى الأرض بقوة الله سبحانه وتعالى فى السموات العُلى وذلك فى قوله:"وجعل الله ما هو قبضته فى الأخرى قبضة أمير المؤمنين فى الأولى،من الأرض التى هى موطوءه كالسموات العُلى".

وفى رسالة أحمد بن يوسف التى يعد وينذر فيها عمّال الدولة،يبدو التشبيه فى قوله :"حسمت الصوارم أوصال حماتها"،إذ يشبه الصوارم بالإنسان،ويتضح التشبيه أيضاً فى رسالة أبن المعتز التى يصف فيها الكتّاب والقلم،وذلك فى تشبيهه للقلم وهو يكتب على صفحة بيضاء كأنه يُقبّل بساط السلطان إذ يقول:"وكأنه يقبّل بساط سلطان،أو يفتح نوار بستان".

وتبدو روعة التشبيه وجماله فى وصف الجارية للتفاح الذى أهدت به إلى المأمون،فقد جمعت فيها العديد من التشبيهات ليكتمل بها بذلك وصفها إذ تقول:"أجتمع فيه الصفرة الدريّة،والحمرة الخمرية،والشقرة الذهبية،وبياض الفضة ولون التبر".

والتشبيه أيضاً يظهر فى رسالة الشوق التى بعث بها إبن العميد إلى صديق له إذ يقول فيها:"أنت جزء من نفسى"،وأيضاً التشبيه نلمسه فى قول إبن العميد:"فيما بشّر عبده من طلوع بدرين".مشبهاً التوأمين بالبدر.

وفى رسالة الشكوى التى كتب بها إبن العميد نجده يشبه الدهر بالإنسان فى غدره وخيانته،وأعطائه ونزعه إذ يقول:"دهراً خئوناً غدوراً،لا يمنح ما منح إلا ريثما نزع،ولا يبقى فيما يهب إلا ريثما يرتجع".

وتلعب الإستعارة دوراً بارزاً فى تشكيل الصورة الفنيّة لأسلوب الرسائل العباسية،فالكاتب قد يستعين بأداة أدق تعبيراً وأجمل تصويراً هى الإستعارة،وبذلك تكون أعظم شأناً فى التشكيل الجمالى للصورة الفنية،وقد تحدث علماء البلاغة كثيراً عن أثرها فى الصورة الجمالية وذلك فى مثل قول أحدهم:"الإستعارة أفضل المجاز عندهم،وأول أبواب البديع،وليس فى حلى الشعر أعجب منها،وهى من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها"[1]

وبالرجوع إلى الرسائل والإستعانة بالإستعارة فيها كأداة تصويرية نجد قول القاضى الفاضل: "وأحل لك صهواتها" إذ أنه جعل تقليد الوزارة كصهوة حصان.

---

[1] – العمده فى محاسن الشعر وآدابه.إبن رشيق القيروانى.ج١.ص ٤٦٠.

وتبدو الإستعارة التصريحية فى تشبيه العزائم بالحبال المعقودة وذلك فى قوله:"وأعقد حُبى العزمات".

أيضاً تبدو الأستعارة فى رسالة العهد الذى كتب به عبدالله بن هارون الرشيد لعلىّ بن موسى،وذلك فى تشبيه الخلافة بشئ يذاق طعمه ويثقل حمله وذلك بحذف المشبه به فى كلٍ:"فاختبر بشاعة مذاقتها،وثقل محملها".

والإستعارة المكنية تبدو فى وصف الكتاب والقلم لابن المعتز إذ يشبه القلم بالإنسان ويحذفه ويرمز إليه بشئ من لوازمه إذ يقول:"والقلم مجهز لجيوش الكلام،يخدم الإرادة،...الخ".وفى قوله:"كأنه يقبّل بساط سلطان".

وأيضاً تتجلى روعة الإستعارة فى رسالة التهادى إذ تقول:"وخفت أن يرميها الدهر بسهمه" إذ أنه حذف المشبه به وهو الإنسان ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الرمى على سبيل الإستعارة المكنية.

والكناية لها ما للتشبيه والإستعارة،وذلك بأنها لون من ألوان البلاغة ومظهر من مظاهر علم البيان.وفى شأنها يقول القزوينى:"المقصود بالبيان التشبيه والمجاز والكناية،وقُدّم التشبيه على المجاز وذلك لإبتناء الإسستعارة التى هى مجاز على التشبيه،وقد مالمجاز على الكنايةلنزول معناه من معناه من منزلة الجزء من الكل".[1]

وبتتبعنا للرسائل العباسية نجد أن الكنايّة قد شاع أستخدامها فيها وذلك فى مثل قول الكاتب فى رسالة العهد للخلافة إذ يقول:"ولا غرو للسحاب أن يصافح قطره الثرى،والفجر أن يشرق نوره على عين الكرى" وذلك كناية عن تواضع الممدوح.

وتتضح الكناية فى الرسالة التى كتب بها أحمد بن أسرائيل وذلك فى قوله:"كلحت الحرب عن أنيابها،وألقت للتجرد قناعها وأختلفت أعناق الخيل"،فكل ذلك كناية عن احتدام المعركة واشتدادها.وكذلك فى قوله:"حسمت الصوارم أوصال حماتها"كناية عن شدة الضرب فى المعركة.

والكناية تبدو فى قول الكاتب :"كأنه يقبّل بساط سلطان"فهى كناية عن عادة تقبيل الأرض التى كانت شائعة فى تلك الأزمان.

[1] – الإيضاح فى علوم البلاغة.الخطيب القزوينى.مرجع سابق.ص ١٢٠.

أيضاً نلمس الكناية فى قول ابن المعتز:"والقلم ينطق علــى أرض بياضــها مظلم،وســوادها مضئ".أى كناية عن جاهزية القلم لأبداء الرأى فى أى زمان ومكان.
وتبدو روعة الكناية فى قول إبن سيابة يستعطف خالد البرمكى بقوله:"الوارى الزنــاد"فهــو كناية عن مضاء العزيمة.
والكناية فى قول أحمد بن إسرائيل:"وعين نزال" كناية عن إحتدام الحرب.
وتتضح الكناية أيضاً فى قول إبن العميد:"غطى هواك على بصرى"كناية عن شدة الحب.
وللبديع دور فاعل فى تشكيل الصورة الفنية أيضاً،ومقدرته فى معرفة الوجود والمزايا التــى بواستطها يكتسب الكلام جمالاً،وهو"علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد مطابقته لمقتضــى الحال ووضوح الدلالة"[1]
لذلك نجد أن علم البديع يعمل على تحسين الكــلام،وإذا تتبعنــا الرســائل العباســية،نجد أن المحسنات كثيرة،فمن الطباق ما يتضح فى كتاب البيعة التى أُخذت للمنتصرفى قولــه:"مــن خاص وعام–وأبعد وأقرب".وفى قول أبى جعفر المنصور يبايع المهــدى:"لينــه وحزمــه"–"عاجله وآجله".
ويتضح الطباق أيضاً فى قول عبدالله بن هارون فى كتاب العهد الذى كتب بــه لعلــىّ بــن موسى:"أحلّ وحرّم"–"وعد وأوعد"."امر ونهى".ونلمسه أيضاً فى قول القاضى الفاضــل فــى رسالة العهد التى كتب بها عن العاضد إذ يقول:"بسطاً وقبضاً"–"وأرفع ناظرك فقد أباح لــك رفعاً وخفضاً"–"والتصريف على أمرك ونهيك".أيضاً يبدو فى رسالة التعزية التى كتب بهــا جبل بن يزيد إذ يقول:"به يصلح الله دينهم،ولا يصلح إلا به دنياهم".أما الطباق الــذى يجلــل الرسالة فى معظمهافنلمسه فى قول إبن العميد إلــى إبــن بلكا،وذلــك فــى قولــه:"طمــع ويأس"،"وإقبال وإعراض"و"ميل إليك وميل عنك"و"وأقدم وأوخر"و"وأبســط وأثنــى"و"يعــزب ويؤوب"و"ويذهب ويعود"و"ويفسد ويصلح"و"ويســكر ويصــحو"و"يكــدر ويصــفو"و"ضــيقة ورخاء"و"غمرة وأنجلاء".
ونلمسه أيضاً فى قول الكاتب:"المفتتح بيمنه ،المختتم بطيبه".
أما المقابلة فقد لعبت أيضاً دوراً فى تشكيل الصورة الفنية،فنجدها فى كتاب البيعة لأبى جعفر المنصور فى قوله:"الطاعة له والسمع منه"،وفى قول القاضى الفاضل فى رسالة العهد التــى

---

[1] – المرجع السابق.ص ١٩٢.

كتب بها عن العاضد إذ يقول"أمات به غيا،وأحيا به رشدا"،وقوله"وأجعل الضعيف منهم فـــي الحق قويا،والقوى فى الباطل ضعيفا".
وتتمثل المقابلة فى قول إبن المعتز واصفاً القلم إذ يقول"على أرض بياضها مظلم،وســوادها مضئ"،وتتمثل أيضاً فى رسالة التهادى التى بُعثت إلى المأمون وذلك فى قوله:"قعــدت بــي القدرة عن مساواة أهل النعمة،وقصّرت بى الجدة عن مباهاة أهل المكنة"،وتتضح أيضاً فـــي قول إبن العميد"يبدو خيره لمعاً ثم ينقطع،ويحلو ماؤه جرعاً ثم يمتنع".
أما الترادف والأزدواج فقد كان لهما نصيبٌ فى تزيين الرسائل فمن ذلك قول الصـــابى فـــي رسالة العهد التى كتب بها الأمام الطائع وذلك فى قوله"واضعاً جميع ذلك مواضعه،موقعاً لـــه مواقعه"،ومنه قوله"عارض معارض"،و"شاغب مشاغب".
ويتجلى الإزدواج فى قول القاضى الفاضل"الإمامة محفوظة فى عقــده والمعقبـــات تحفظـــه بأمره"،وفى قوله أيضاً"وعضّد الدين الذى إرتضاه،وعضّد بمن أرتضاه"،و"أنجز له وعد السعد ما قضاه قبل أن أقتضاه"،وأيضاً فى قوله"طلوعه على أبواب أمير المـــؤمنين طلـــوع أنـــوار النهار".
ومن الترادف ما كتب به إبن العميد لأبن بلكا وذلك فى قوله"يغرب العقل ثم يـــؤوب،ويعزب اللب ثم يثوب،ويذهب الحزم ثم يعود،ويفسد العزم ثم يصلح" .
ونلمسه فى قول يوسف بن صبيح معاتباً محمد بن زياد وذلك فى قوله"وقد كنت إلى مفارقتنا مشتاقاً ،وإلى البعد تواقا".ويبدو أيضاً فى قول القاضى الفاضل"وطأة المواطئ التـــى تغـــيظ الكفّار."
ومن التصوير الجميل الذى يُضفى على العبارات جمالاً،قول الخوارزمى فى رسالة له يصف فيها الأيام،فهو يجمع فيها ما بين السجع المتقابل العبارات والجنـــاس والطباق،وذلـــك فـــي قوله:"كانت أرق من حاشية البُرد،ومن طلوع السعد،وأحلى من إنجـــاز الوعـــد،وأعزر مـــن القنّد،بل من النقد ،وأعبق من الورد،وما أردت إلا ورد الخد،بل من المسك والنّد،وأطيب مـــن القرُب بعد البُعد،ومن الوصل فى إثر الصدّ،بل كانت أرقّ من نسيم الزهر فى الســـحر،ومن قضاء الوطر على الخطر،بل كانت أقصر من ليل السكارى،أو نهار الحيارى"[1]

[1] – الفن ومذاهبه.شوقى ضيف.مرجع سابق.ص ٢٣٥.

فهو يملأها سجعاً تتقابل فيه العبارات تقابلاً ،ثم يوشيها بالجناس والطباق والتصوير،أيضاً من الكتّاب من أستطاع أن يتلاعب فى رسائله بجميع أنواع الصور البيانية،وذلك مثل ما فعل القاضى الفاضل فى رسالته التى بعث بها للناصر صلاح الدين يخبره بفتح ،فمن الكناية نجدها فى قوله " صدعت حصاته ،وفُلّ سيفه ،وعُثرت قدمه "فهى جميعها كناية عن الهزيمة ."وأصحاب المشأمة" كناية عن الكفّار،"وأصحاب الميمنة" كناية عن المسلمين.أمّا الطباق فنلمسه فى قوله"السيف والعصا"و"اليقظة والكرى"و"المنى والمنون"و"السيئة والحسنة"و"المشأم والميمنة"و"قريب وبعيد".أمّا الجناس فيتضح فى قوله:"فرقه وفرقا"و"حصاته وحصى"و"العنان والعيان"و"مهدومة ومهتومة"و"المحامية والحامية"و"المتوافية والوافية"و"عصرة ونصرة".كذلك نجده قد وشى رسالته بالأخذ والإقتباس من القرآن الكريم وذلك فى مثل قوله:"ضُربت عليهم الذلة والمسكنة"وفى قوله:"أصحاب المشأمة وأصحاب الميمنة"وفى قوله:"يبدل الله سيئاتهم حسنات". وبذلك فقد إستطاعت علوم البلاغة من بيان ومعانى وبديع فى تأدية أساليب الرسائل فى العصر العباسى.

ومجمل القول إن الغرض من التعبير الأدبى هو قوة التأثير فى نفس القارئ أو السامع،لتنفعل نفسه بمثل ما أنفعلت به نفس الكاتب،ولكى يتم له بلوغ ذلك لا بدّ من إضافة عنصر الصورة التى يتخيلها،والتى تبدو من خلال تشبيهاته الرائعة وإستعاراته البارعة وكناياته اللطيفة فى نسق فنى جميل.[1]

إذن فإن التخييل والتصوير هما عماد الأسلوب الفنى،وهما بمثابة قوة وتأثير وتزيين للكلام.فالكاتب ينفعل بالمؤثرات الحسية والخيالية حتى يدرك ما يحس،ومتى أستطاع أن يثير الوجدان فقد بلغ غايته من الإفادة،ولن يتحقق له ذلك إلا إذا إستعان بعنصر حيوى أضافة لعنصر الفكرة والعبارة،ألا وهو عنصر التخييل والتصوير.

---

[1] – بلاغة الكتّاب.محمد نبيه حجاب.مرجع سابق.ص ٨٨.

المبحث الخامس : الإيجاز والإطناب:-

من الرسائل الموجز المختصر،والمتوسط المعتدل،والمطنب المستفيض.ويُقصد بالإيجاز الإقتصاد فى ألفاظ العبارة إقتصاراً لا يؤثر فى وضوح معناها،فقد عرّفه القدماء بالعديد من التعريفات التى تكاد تتشابه،فمنهم من يقول أنه:"بلوغ المعانى بالألفاظ اليسيرة".أو "تقليل الكلام من غير الإخلال بالمعنى".أو"هو قصور البلاغة على الحقيقة"[1].

أو هو:إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ.[2]

وسُئل إبن المقفع عن البلاغة فقال:"أسمٌ جامع لمعانٍ تجرى فى وجوه كثيرة،فمنها ما يكون فى السكوت،ومنها ما يكون فى الإستماع،ومنها ما يكون فى الإشارة،ومنها ما يكون فى الحديث،ومنها ما يكون فى الإحتجاج،ومنها ما يكون جواباً،ومنها ما يكون إبتداء،ومنها ما يكون شعراً،ومنها ما يكون سجعاً وخطباً،ومنها ما يكون رسائل،فعامّة ما يكون فى هذه الأبواب الوحى فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ،والإيجاز هو البلاغة"[3].

إذن نلمس من قول إبن المقفع أن تمام البلاغة فى إيجاز القول.والإجاز يُصلح دائماً لمخاطبة الملوك وذوى الأخطار العالية.وهو الأفضل دائماً فى المكاتبات إن لم يكن للإطناب مبرراته.[4]وفى ذلك يقول جعفر بن يحيى:"إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً،وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار هذراً"،فبيّن ما يُحمد من الإيجاز،وما يحتاج إليه من الإكثار.[5]

نلمس من قول جعفر بن يحيى هذا ،أن على الكاتب إلتزام الوسطية فى كتاباته،فلا يُطيل فيمّل،ولا يقصّر فيخل.

والإيجاز مطلب بلاغى فى حد ذاته،وعكسه الإطناب الذى يأتى فيه اللفظ زيادة على المعنى إن كان لفائدة وإلا فيصير تطويلاً لا فائدة فيه.

---

[1] – فى النثر العربى قضايا وفنون.محمد يونس عبدالعال.مرجع سابق.ص ٤٣.

[2] – علم المعانى.حسن طبل.ط١.مكتبة الإيمان.١٤٢٠هـ.١٩٩٩م.ص١٢٥.

[3]– البيان والتبيين.أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.ج١.ص١١٥.

[4] –فى النثرالعربى قضايا وفنون.محمد يونس عبدالعال.مرجع سابق.ص١٦٦.

[5] – نقد النثر.أبى الفرج قدامة بن جعفر.مرجع سابق.ص٩٧.

أما مواطن الأيجاز فقد تكون فى توقيع من الوزير أو الخليفة فى قصة رُفعت إليه يدل به على أطلاعه عليها ويُبدى رأيه فيها،وكذلك فى رسائل الخلفاء والسلاطين فى أمرً أو نهى،أو إخبار بهزيمة،أو تحذير من عدو.

والأمر الذى دعا إلى الإيجاز فى بعض المكاتبات كثرة أعمال الدولة،وتوالى الكتب من الخلفاء إلى الولاة،ومنهم إلى رؤسائهم،فإذا ألتزم الإطناب فى كل ذلك كثر العمل.

ونجد أن الكتّاب كانوا يؤثرون الإيجاز على الإطناب وفى ذلك يقول جعفر بن يحيى:"إن أستطعتم أن تجعلوا كتبكن كلها توقيعات فافعلوا."[1]

ومن الإيجاز فى مكاتبات بنى العباس،ما كتبه عمرو بن مسعده حينما أمره المأمون أن يكتب كتاباً إلى بعض العمال بالوصية عليه والإعتناء بأمره،فما كان منه إلا أن كتب قائلاً:

"كتابى إليك كتاب واثق بمن كُتب إليه،معنىّ بمن كتب له،ولن يضيع بين الثقة والحماية حامله،والسلام."[2] فجاءت بذلك عباراته موجزه معبّرة موحية ،تروق للسامع والقارئ.

ومن الإيجاز أيضاً ما كتبه إبن المعتز إلى أحمد بن سعيد ،جواباً عن كتاب إستزاده فيه قائلاً:"قيد نعمتى عندك بمثل ما كنت أستدعيتها به ،وذبّ عنها أسباب سوء الظن،وأستدم ما تحب منى ما أحب منك".[3]

والإيجاز أيضاً نلمسه فى كتاب الحسن بن وهب إلى القاسم بن الحسن معزيّاً بقوله:"مدّ الله فى عمرك ،موفوراً غير مستنقص،وممنوحاً غير ممتحن،ومعطى غير منسلب"[4]

ويتجلى الإيجاز أيضاً فى كتاب عمرو بن مسعده إلى المأمون إذ يقول:"كتابى إلى اميرالمؤمنين ومن قبلى من قواده،وسائر أجناده فى الإنقياد والطاعة،على أحسن ما يكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم...الخ".ففى قوله بلاغة ،وتكمن بلاغته فى التباعد عن الإطالة والتقرب من معنى البغية والدلالة بالقليل من اللفظ على المعنى.

---

[1] – الصناعتين.ابوهلال العسكرى.تحقيق على محمد البجاوى ومحمد الفضل إبراهيم.ط١.مطبعة عيسى البابى وشركاؤه.١٣٧١هـ-١٩٥٤م.ص٢٠٠.

[2] – وفيات الأعيان.إبن خلكان.ج١.ص٣٩٠.

[3] –معجم الأدباء.ياقوت الحموى.ج٣.ص ٤٩.

[4] –زهر الآداب.أبراهيم بن على الحصرى.مرجع سابق.ص١٩٩.

أيضاً من الإيجاز ما كتبه أحمد بن يوسف فى الذمّ إلى بعض إخوانه،ووصل به لما يريد،وذلك فى قوله:"فإنى لا أعرف للمعروف طريقاً أوعر من طريقه إليك،فالمعروف لديك ضائع،والشكر عندك مهجور،وإنما غايتك فى المعروف أن تحقره،وفى وليّه أن تكفره."[1]

والإيجاز أيضاً نلمسه فى قول إبن المقفع معزّياً أحد أخوانه بقوله:"أعظم الله على المصيبة أجرك،وأحسن على جليل الرزء ثوابك،وعجّل لك الخلف فيه،وذخر لك الثواب عليه"[2]

ونلمس بلاغة الإيجاز أيضاً فى توقيعاتهم،وذلك مثل ما وقعّه السفاح لأهل ألانبار قائلاً:"هذا بناءٌ أُسس على غير تقوى".

من خلال تلك الأمثلة تتضح بلاغة الكتّاب فى الإيجاز ومقدرتهم على بلوغ المقاصد من غير تكلف ولا إطناب.

أما الإطناب فهو :زيادة اللفظ على المعنى لفائدة. [3]وهو أيضاً أداء المقصود من الكلام بأكثرمن عبارات متعارف الأوساط.[4]

وقد كُثر الإطناب فى رسائل العصر العباسى وتعددت مقاماته،فمن المقامات التى تُعد إطناباً تلك الكتب التى تُقرأ على العّامة ومنها المنشورات التى تُقرأ لشرح مذهب سياسى أو أمر دينى،والبيعات التى تقرأ على العامّة لتنصيب خليفة،وكذلك كثر الإطناب فى تفصيل الإنتصار على العدو وقد أكثروا فيه من التحميدات،وكذلك أطنبوا فى ولاية العهد،فقد أكثروا فيها بتعداد مناقب ولىّ العهد،وما يؤمل فيه من عمل لخير الأمة.

وكذلك اطنبوا وأطالوا فى ولاية العهد بالقضاء أو العهد بأمارة[5]،وذلك فى مثل ما كتبه القاضى الفاضل عن الخليفة العاضد لدين الله بتقليد الوزارة للناصر صلاح الدين الأيوبى وقد ذُكر فى ثناياهذا البحث سابقاً،فقد أطال فيه وأطنب وذلك بالأكثار من التحميدات والإطالة فى ذكر مناقب المعهود إليه،وما عُرف به من إستمساك بالدين ورعاية لمصالح المسلمين.

وقد تفنن الكتّاب العباسيين كثيراً فى كتاباتهم ،وأطالوا فيها،ومن ذلك ما دار بين المنصور العباسى والنفس الذكية فى الندم،فمما كتبه الأوّل قوله:"أما بعد:فقد أتانى كتابك وبلغنى

[1] – جمهرة رسائل العرب. أحمد زكى صفوت.ج٣.مرجع سابق ص٣٨١-٣٨٢.

[2] – رسائل البلغاء.محمد كرد على.دارالكتب العربية الكبرى.١٣٣١هـ.١٩١٣م.ص١٣٢.

[3] – علوم البلاغة.أحمد مصطفى المراغى.القاهرة:ص١٩١.

[4] – فى النثر العربى.محمد يونس عبدالعال.مرجع سابق.ص٤٣-٤٤.

[5] –الحياة الأدبية فى العصر العباسى. محمد عبدالمنعم خفاجى.مرجع سابق.ص ٨٣-٨٥.

كلامك،فإذا جُل فخرك بالثناء لتضل به الجفاة والغوغاء،ولم يجعل الله النساء كالعمومة،ولا الآباء كالعصبة والأولياء،وقد جعل العم أباً وبدأ به على الوالد الأدنى،فقال جلّ ثناؤه عن نبيه عليه السلام:"وأتّبعت ملة آبائى إبراهيم وأسحق ويعقوب".وقد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلّم وعمومته أربعة،فأجابه أثنان أحدهما أبىّ،وكفر به أثنان ،أحدهما أبوك،فأما ما ذكرت من النساء وقراباتهن فلو أُعطيت على قرب الأنساب وحق الأحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب،ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه"[1]

وتظهر ظاهرة الإطناب أيضاً فى رسالة الخميس التى كتب بها أحمد بن يوسف،فإذا كان الإطناب فى بعض الأحيان ظاهرة بلاغية،فإن الإيجاز ظاهرة أبلغ،لكن الكاتب أطال فيها إطالة شديده،وأطنب إطناباً أوشك أن يُدخل السأم إلى القلوب،لولا تملّكه لناصية البيان،والإتيان بالمعنى المليح والفكرة البديعة وحُسن الإقتباس.

ويُعد التكرار وسيلة من وسائل الإطناب،فقد يلجأ إليه الكاتب لتمكين المعنى فى النفس،وهو:"التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة".وقد كثُر هذا النوع فى الرسائل.

والإطناب أيضاً نلمسه فى كتاب البيعة التى كتب بها المتوكل بولاية العهد لبنيه،إذ أنه أطال فيها وأطنب وكذلك التزم فيها التكرار فى بعض العبارات.وذلك فى مثل قوله:"وجعل عبدالله بن جعفر الأمام المتوكل على الله أمير المؤمنين لمحمد المنتصر بالله إبن أميرالمؤمنين على أبى عبدالله المعتز بالله وأبراهيم المؤيد بالله إبنىّ أميرالمؤمنين:السمع والطاعة والنصيحة والمشايعة والموالاة...الخ"مكرراً ذلك فى بيعته بقوله:" وجعل عبدالله بن جعفر الأمام المتوكل على الله أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله إبن أميرالمؤمنين لأبى عبدالله المعتز بالله وأبراهيم المؤيد بالله إبنىّ أمير المؤمنين:الوفاء بما عقده لهما،وعهد به إليهما من الخلافة ...الخ".ففى هذا التكرار إطناباً.

[1] – عصر المأمون.أحمد فريد الرفاعى.المجلد الأول.ط٤.دارالكتب المصرية بالقاهرة.١٣٤٦هـ. ١٩٢٨م.ص ١٧٢-١٧٣.

إذن نستطيع أن نقول أن كلاً من الإيجاز والإطناب يحسن فى المواضع التى يحتاج فيها إليه ،وقد قِيل:"من كلام العرب الإختصار المفهم،والإطناب المفخم،وقد يقع الإيماء إلى الشئ فيغنى عند ذوى الألباب عن كشفه."

وقد قيل أيضا الإيجاز للخواص،والإطناب مشترك فيه الخاصة والعامة. [١]

---

[١] -فى النثر العربى قضايا وفنون.محمد يونس عبدالعال.مرجع سابق.ص ٤٣-٤٥.

المبحث السادس:الإستشهاد بالقصة:-

القصة هى ثمرة يانعة من ثمرات الثقافة الإسلامية،فهى لم تولد إلا فى ظــل الحضـــارة،ولم تظهر إلا حين تيسرت لها أسباب الظهور الناجح،ولقد ظهرت فى القرن الرابع الهجرى ذلك القرن الذى ترتبط به جميع أسباب نجاح الحضارة ونضجها.[1]

والقصة هى فرع من فروع النثر وضرب من ضروب الكتابة،وقد عنيت بها الأمم فى جميع الأزمان،ويوجد فى الأدب العربى وآداب الأمم الإسلامية أنواع شتى.

ونجد أن القرآن الكريم أهتم بالقصص فذكر كثيراً من قصص الأنبياء ليبين مواضع العبــرة فيها.

وأهتم المسلمون من بعده بتفسير تلك القصص وهو ما يعرف بالقصص الدينى.

والقصة من حيث أنها نتاج أدبى فإنها تشتمل على العديد من المزايا التى من أهمها التشويق إذ أنها تضطر القارئ على المتابعة،وهى أداة مرنه من جهــة وقويــة التــأثير مــن جهــة أخرى،وهى مقبولة قبولاً حسناً لدى الخاصة والعامة.

تنقسم القصة إلى عدة أقسام حسب مقدارها من الطول والقصر والنوع،هذا بجانــب تميزهــا بتمكين المؤلف من توصيل أفكاره إلى ذهن القارئ والمستمع.[2]

وقد يغلب على رسائل العباسيين أحياناً الطابع القصصى،وقد يلجأ إليها الكاتب لما يجده فــى تلك القصص من إعانة على إفهام السامعين.وفى رسائل بنى العباس العديد من القصص التى أستشهدوا بها،إلا أننا فى هذا المجال سنورد بعض النماذج.

[1] -الأدب فى موكب الحضارة.مصطفى الشكعة.مرجع سابق.ص ٧٠١.

[2] -الخطابة فى عصر بنى أمية.عبدالرحمن عطالمنان.مرجع سابق.ص ٢٣٣.

١- رسالة سهل بن هارون إلى بنى عمه:-

هذه قصة يرويها سهل بن هارون من خلال رسالة له بعث بها لبنى عمه،ويخبرهم عمّا يريد الخليفة صنعه،وكان حينها قد شعد مصرع البرامكة،فها هو يقول:

"فلما أدخل على الخليفة ومثلت- قال- ومثلت بين يديه عرف الذعر فى تجريض ريقى،والتمايد فى طريقى،وشخوصى إلى السيف المشهور ببصرى،فقال:إيهاً يا سهل من غمط نعمتى وأعتدى وصيتى وجانب موافقتى،أعجلته عقوبتى- قال- فوالله ما وجذت جوابها حتى قال:ليفرح روعك وليسكن جأشك،وتطب نفسك،وتطمئن حواسك،فإن الحاجة إليك قرّبت منك وأبقت عليك،بما يبسط منقبضك ويطلق معقولك،فأقتصر على الإشارة دون اللسان،فأنه الحاكم الفاصل واللسان الناصل،وأشار إلى مصرع جعفر وهو يقول:

من لم يؤدبه الجميل ففى عقوبته صلاحه

- قال سهل- فوالله ما أعلمنى عييت من جواب أحد قط،غير جواب الرشيد يومئذٍ،فما عوّلت فى شكره والثناء عليه إلا على تقبيل يديه وباطن رجليه،ثم قال لى:أذهب فقد أحللتك محل يحيى بن خالد ووهبتك ما ضمته أبنيته وحوى سرادقه،فأقبض الدواويين وأحص حباءه وحباء جعفر لنأمرك بقبضه إن شاء الله- قال سهل- فكنت كمن نشر عن كفن وأخرج من حبس"[١]

تُعد هذه القصة صورة رائعة لما حدث لكثير من أتباع البرامكة،وهى تكشف فى الوقت نفسه عن النغمة التى شاعت عن عدل الرشيد الذى سمح أن يعيش برمكياً فى كنفه،وقد تحمل تلك النغمة الصدق أو عدمه،إلا أنها ترصد لمداراة الظلم بكتمان الأسى على حياة أنتهت والتغنى بحياة بدأت.

أما من حيث المقومات العامة للقصة فهى تشتمل على مقدمة متمثلة فى مثول سهل بين يدى الرشيد،وتصوير خوفه وفزعه،أما الموضوع فيتمثل فى الحوار الذى دار بينه وبين الرشيد،ومحاولة الرشيد لتهدئة روعه وخوفه والخاتمه على تقليد سهل منصب يحيى البرمكى وجعفر.

---

[١] - الحياة الأدبية فى البصرة إلى نهاية القرن الثانى الهجرى.أحمد كمال زكى.دارالمعارف بمصر.ص ٣١٨-٣١٩.

وأروع ما ختم به سهل قصته قوله:"كمن نُشر عن كفن وأُخرج من حبس".يمكن أن يُعد قولاً يضرب لمن بلغ الغاية من الخوف.

٢- قصة الغفران لأبى العلاء:-

تُعد رسالة الغفران التى كتب بها أبى العلاء المعرّى عام ٤٢٤هـ،أى فى الربع الأول من القرن الخامس الهجرى،وذلك رداً على علىّ بن منصور المعروف "بأبن القارح"إحدى الرسائل التى تحمل فى طياتها طابعاً قصصياً.

فالقصة فيها تنقسم إلى قسمين أساسيين هما:مقدمة القصة وفيها يصف الجنة وما بها من نعيم،أما القسم الثانى منها فهو خاص بالرد على رسالة إبن القارح.[١]

ونسبة لطول الرسالة فإننا نتمثل القصة فيها فى جانبٍ من جوانبها ألا وهو رحلته فى الجنة ووصف أنهارها وما يدور فيها من أحداث إذ يقول:

"كم على تلك الأنهار من آنية زبرجد محفور،وياقوت خلق على خلق الفور*[٢]،من أحمر وأصفر وأزرق،يخال إن لُمس أحرق،كما قال الصنوبرى[٣]:

تخيله ساطعاً وهجه

فتأبى الدنو إلى وهجه

وفى تلك الأنهار أوانٍ على هيئة الطير السابحة،والغانية عن الماء السائحة،فمنها ما هو على صور الكراكى،وأُخر تشاكل المكاكى،وعلى خلق طواويس وبط،فبعض فى الجارية وبعضٌ فى الشط،ينبع من أفواهها شراب،كأنه من الرقة سراب،لو جرع جرعة منه الحكمىّ*[٤] لحكم بأنه الفوز القدمى،وشهد له كل وصاف للخمر،من محدثٍ فى الزمن وعتيق فى الأمر،إن أصناف الأشربة المنسوبة إلى الدار الفانية كخمر عانة وأذرعات،هى مظنة للثقات،وغرة وبيت راس،والفلسطية ذوات الأجراس،وما جُلب من بصرى فى الوسوق تبغى بها المرابحة عند سوق،وما ذخره إبن بحرة بوج*[٥]، وأعتمد به أوقات الحج،قبل أن تحرم على الناس القهوات*[٦]وتحظر لخوف الله الشهوات.

---

[١] -الفن ومذاهبه فى النثر.شوقى ضيف.مرجع سابق.ص ٢٧٥.

[٢]- * الفور: الظباء

[٣] ـ ديوان الصنوبري. أحمد بن محمد بن الحسن الضبي. تحقيق إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت لبنان. ١٩٧٠م. ص ١٥٧.

[٤] -* الحكمى: أبونواس

[٥]- * بوج : الطائف

[٦]- * القهوات: الخمر

وما أُعتصر بصرخد أو أرض شام،لكل ملك غير عبام*[1]،وما تردد ذكره من كميت بابل وصريفين،وأتخذ للأشراف المنيفين،وما عُمل من أجناس المسكرات،مفوقات للشارب وموكسرات*[2]،كالجعة والبتع والمذر،والسكركة ذات الوزر*[3] وما وُلد من النخيل،لكريم يغترف أو بخيل،وما صُنع في أيام آدم وشيت إلى يوم المبعث من معجل أو مكيث....،ويعادل تلك المدامة أنهار من عسل مصفى ما كسته النحل الغادية إلى الأنوار،ولا هو في مومٍ*[4]متوار،ولكن قال له القدير القادر:كن فكان،وبكرمه أعطى الإمكان،واهاً لذلك عسلاً لم يكن بالنار مبسلاً،لو جعله الشارب المحرور غذاءه طول الأبد،ما قدر له عارض موم،ولبس ثوب المحموم...الخ"[5]

تُعتبر هذه القصة رحلة خيالية إلى العالم العلوى،جمعت بين العلم والأدب،والنقد والفلسفة،ألفها الكاتب فى عزلته رداً على إبن القارح الذى كان على طريقته فى العقيدة الدينية.

فى هذه الرسالة بدأ يقص الكاتب ما رآه وسمعه فى الجنة ،إذ أن أول لقاء له مع رضوان خازن الجنة الذى يمنعه من الدخول لأنه لا يحمل جوازاً ،ثم لقاؤه بطائفة من شعراء الجاهلية ومشاركته إياهم سمرهم،ثم لقاؤه فى آخر المطاف بالخنساء على مشارف النار[6]

أستمد أبو العلاء المعرّى عناصر قصته من موضوع الغفران فى الإسلام والصورة الإسلامية للجنة،ووصف الحشر والجنة والنار،ومن الشعر الجاهلى والأساطير القديمة.وأستطاع أن يفرغها فى القالب الذى أختاره هو،أو الذى أختارته له ظروفه الخاصة بكل ما يميزها عن سواها.[7]

ويصور أبى العلاء الجنة تصويراً مطولاً ،بحيث يجرى فيها أحداثاً وتحركات نابعة من وحى خياله،ويصور كذلك أنهارها وأشجارها وساكنيها والنعيم الذى يتقلبون فيه.

---

[1] – العبام: الأحمق

[2]– موكسرات: مثقلات

[3]–* الجعة والبتع والسكركة والمذر: أنواع من الخمر

[4] – الموم: الشمع،ومنه الجدرى أيضاً

[5] – الأدب فى موكب الحضارة.مصطفى الشعكة.مرجع سابق.ص ٦٧٨-٦٨٠.

[6] الغفران لأبى العلاء.عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ.ط٣.دار المعارف بمصر..ص١١٣-١١٤.

[7]– المرجع السابق.ص١٢١.

واللافت للنظر أن الكاتب فى هذه القصة أستطاع أن يحدث فيها حركة وضجيجاً،وآثر ان تكون جنته جنة بشر لذلك نجدها قد حفلت بأشواق البشر وشهواتها فأهلها هم الذين نعرفهم فى الدنيا.[1]

ونجد الكاتب يصور تلك الحركة بغناء أحدى الجوارى بأبيات من شعر النابغة،وتشتد الحركة فى جنته ويصورها بقوله:"تسمع رغاء العكر،ويغار المعز،وثؤاج الضأن...الخ".

وقد أختار الكاتب لجنته هذا الضجيج والحركة،وذلك لأنه ظل محبوساً تسعة وأربعين عاماً فى بيته.[2]

والمتتبع لجنة الغفران يلمس أن الجنة التى يتحدث عنها هى جنة المحروم،إذ يصور فيها ملذاتها التى حُرم منها فى دنياه فهى مليئة بالخمر والصيد والنساء.[3]ويصف فيها الأنهار وأشكالها،مع مخالطة تلك الأنهار بالعسل المصفى.

ولم يغفل الكاتب فى قصته أن يجعل للحيوان نصيباً فى تلك الحركة داخل الجنة،وذلك فى قوله حين يصف الأوز:"أوزة غير بلهاء،بل هى كاعب حسناء،تختال جمالاً وتتمايل دلالاً،تحسن العزف وتتقن الغناء،فيهيم بها الشعراء ويتتيمون...الخ"[4]

أما من حيث السرد القصصى لتلك القصة،فقد أختار الكاتب أشخاصه من كبار الشعراء وأعلام العربية.

أما الحوار فقد أجراه على ألسنة هؤلاء الشعراء والعلماء على أختلاف أساليبهم وتباعد عصورهم.

أما بطل قصته فقد أختار لها شخصية حقيقية هى شخصية إبن القارح الذى من أجله كُتبت هذه القصة وذلك رداً عليه.

إذن فقصة الغفران مشتملة على كل مقومات العمل القصصى من مقدمة وموضوع وخاتمة.

---

[1] – المرجع السابق.ص ١٢١.

[2] – المرجع السابق.ص ١١٤.

[3] – المرجع السابق.ص ١٢٤.

[4] – الأدب فى موكب الحضارة.مصطفى الشكعة.مرجع سابق.ص٦٧٧.

فالمقدمة مشتمله على وصفه للجنة وما فيها من نعيم،أما من حيث الموضوع،فقد تحدث فيهـا عن مجريات الأحداث داخل جنته،ومقابلته للشعراء ووصف أنواع الحيوانات،والحديث عـن السمر والملذات.

أمّا خاتمة القصة فقد وصف فيها النار وما يجرى فيها،ثم رده على إبن القارح.

فمجمل القول على قصة أبى العلاء،نستطيع أن نصف أسلوبه بأنـه أسـلوب معقد،وألفاظـه تحتاج إلى تفسير،وذلك مثل أستخدامه لكلمة"الموم"فهى مرة بمعنى الشمع ومرة أخرى بمعنى الجدرى،إذ تُعد تلك الرسالة متحفاً للكلمات العربية.[1]

بهذا الأسلوب القصصى،والخيال الخصب أستطاع المعرى أن يعرض آراءه الأدبية ومعتقداته الدينية.

---

[1] - المرجع السابق.ص ٦٨١.

المبحث السابع:الإستشهاد بالشعر:-

درج الكتّاب كثيراً على أستخدام بعض الأبيات الشعرية فى مكاتباتهم،فالشعر الذى يستشهد به الكاتب فى كتاباته النثرية يغلب عليه ما تعارف عليه الناس بالإبداع،فهى نصوص لم يقصد الكاتب منها فى كتاباته بنات فكره أو تفنيد رأى أو توضيح تصور بما يتصل بمفهوم الأدب،ولكنه يضعها وهو مدفوع بفكرة الخلق والإبتكار،كأن يبعث برسالة إلى صديق يعبر فيها عن شوقه،أو يشكو له فيها مما أصابه،أو يكتب قصة.[1]

ونجد أن الكتّاب العباسيين قد أكثروا من الإستشهاد بالأشعار فى أثناء مراسلاتهم،وهو ترصيع جميل يزيد المعنى طلاوة ووضوحاً،ويكسبه قوة على إبداء ما فى خاطر الكاتب،وقد بالغ بعضهم حتى أصبح الشعر فيه أكثر من النثر.[2]

فهذا هو يحيى بن خالد البرمكى يكتب رسالة إلى إبنه الفضل،حينما ورد إليه خبر إنشغاله بالصيد،وقد رصّعها بالشعر إذ يقول:"حفظك الله يا بنىّ وأمتع بك،قد أنتهى إلى أميرالمؤمنين مما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات،عن النظر فى أمور الرعيّة ما أنكره،فعاود ما هو أزين بك،فإنه من عاد إلى ما يزينه أو يشينه لم يعرفه أهل دهره إلا به والسلام".وكتب أسفل الرسالة:

أنصب نهاراً فى طلاب العلا

وأصبر على فقد لقاء الحبيب

حتى أذا الليل أتى مقبلاً

وأستترت فيه وجوه العيوب

فكابد الليل بما تشتهى

فإنما الليل نهار الأريب

كم من فتى تحسبه ناسكاً

يستقبل الليل بأمر عجيب

---

[1]- دراسات فى الشعرية(الشابى نموذجاً).حمادى حمود وآخرون.تونس.المؤسسة الوطنية للترجمة ١٩٨٨.ص ١٣٨.

[2] –تاريخ آداب اللغة.جرجى زيدان.مرجع سابق.ص ٢٧٠.

أرخى عليه الليل أستاره

فبات فى لهو وعيش خصيب

ولذة الأحمق مكشوفة

يسعى بها كل عدو رقيب[1]

ففى هذه الأبيات تتجلى حكمة أمير المؤمنين ونصيحته لابنه،وهى أنه إذا أراد أن يفعل منكراً فعليه أن يستتر لأن عيون الرقباء كثيرة حوله.

ومن الإستشهاد بالشعر ما كتبه إبراهيم الصولى،فى ختام رسالة بعث بها إلى إبن الزيات يستعطفه قائلاً:

"كتبت إليك وقد بلغت المدية*[2]المحز.وعدت الأيام علىّ بعد عدواى بك عليها،وكان أسوأ الظن،وأكثر خوفى أن تسكن فى وقت حركتها،وتكف عند أذاتها،فصرت أضر علىّ منها،فكف الصديق عن نصرتى خوفاً منك،وبادر إلىّ العدو تقريباً إليك،ثم قال:

أخ بينى وبين الدهر

يصاحب أينا غلبا

صديقى ما أستقام وإن

نبا دهره علىّ نبا

وثبت على الزمان به

فعاد به وقد وثبا

ولو عاد الزمان لنا

لعاد به أخاً حدباً[3]

---

[1] -جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج٣.مرجع سابق.ص ١٨١.

[2] -* المدية:السكين"وبلغت المدية المحز،مثل يقال عندما تبلغ الشدة غايتها."

[3] - بلاغة الكتّاب.محمد نبيه حجاب.مرجع سابق.ص ٢٧٩-٢٨٠.

فقد جمع فى هذه الرسالة بين عمق المعنى وأناقة العبارة وأختيار الألفاظ.

ومن إستشهادهم بالشعر وإطالته أثناء مراسلاتهم،ما كتبه يحيى البرمكى مستعطفاً هارون الرشيد بقوله:

"لأمير المؤمنين،وخليفة المهديين،وإمام المسلمين،وخليفة العالمين،من عبدٍ أسلمته ذنوبه،وأوبقته عيوبه،وخذله شقيقه،ورفضه صديقه،ومال به الزمن...الخ"،ويستمر فى رسالته إلى أن يصل لقوله:-

قل للخليفة ذى الصنيعة	والعطايا الفاشيه
وإبن الخلائق من قريش	والملوك العاليه
إن البرامكة الذين	رموا لديك بداهيه
صفر الوجوه عليهم	خُلع المذلة باديه
فكأنهم مما بهم	أعجاز نخل خاويه
عمتهم لك سخطة	لم تبق منهم باقيه
بعد الإمارة والوزارة	والأمور الساميه
ومنازل كانت لهم	فوق المنازل عاليه
أضحوا وجل مناهم	منك الرضا والعافيه
يا من يود لى الردى	يكفيك منى ما بيه
يكفيك ما أبصرت من	ذلىّ وذل مكانيه
وبكاء فاطمة الكئيبة	والمدامع جاريه
ومقالها بتوجع	يا سوءتى وشقائيه
من لى وقد غضب الزما	ن على جميع رجاليه؟
يا لهف نفسى لهفها	ما للزمان وما ليه؟
يا عطفة الملك الرّضا	عودى علينا ثانيه[1]

فمثل هذه الأبيات القصد منها طلب إمالة قلوب الخلفاء حتى يصلوا للعفو عنهم،لذلك تكون لها الأثر الواضح فى رسائلهم.

---

[1] - المرجع السابق.ص١٤٨.

ونلمس إستشهادهم بالشعر أيضاً،فى الرسالة التى بعث بها إبن سيابة ليحيى البرمكى،ليميل قلبه ويصفح عنه،فقد ضمّنها أبياتاً من الشعر وذلك لما له من أثر ووقع فى النفوس،وذلك بقوله:-

أسرعت بى حثاً إليك خطائى

فأناخت بمذهب ذى رجاء

راغب راهب إليك يرجى

منك عفواً عنه،وفضل عطاء

ولعمرى ما من أصرّ ومن تا

ب مقراً من ذنبه بسواء [1]

وهذا هو الصاحب بن عباد ،يستهل رسالته إلى أحد القضاء بأبيات من الشعر إذ يقول:-

تحدثت الركاب بسير (أروى)

إلى بلد حطت به خيامى

فكدت أطير من شوق إليها

بقادمة كقادمة الحمام[2]

ثم دلف فى كتابة رسالته وختمها بأبيات من الشعر أيضاً.

ولما كان الإستشهاد بالشعر أثناء المراسلات نوعاً من التعبير عن الشوق بين الأصدقاء،نجد أن القاضى الفاضل قد أستخدمه فى رسالة له يعبّر فيها عن شوقه لصديقه،إذ يقول:-

فيا رب إن البين أضحت صروفه

علىّ وما لى من معين فكن معى

على قرب عذالى وبُعد أحبتى

وأمواه أجفانى ونيران أضلعى

هذه تحية القلب المعذب،وسريرة الصبر المذبذب،وظلامة عزم السلو المكذّب،أصدرتها إلى المجلس،وقد وقد فى الحشا نارها:الزفير أوارها،والدموع شرارها والشوق آثارها،وفى الفؤاد ثأرها.

---

[1] -المرجع السابق.ص١٤٨.

[2] - الفن ومذاهبه فى النثر.شوقى ضيف.مرجع سابق.ص ٢١٥

لو زارنى منكم خيال هاجرٌ

لهدته فى ظلماته أنوارها

أسفاً على أيام الإجتماع التى كانت مواسم السرور والأسرار،ومباسم الثغور والأوطار،وتذكراً لأوقات عذب مذاقها،وأمتد بالأنس رواقها:

والله ما نسيت نفسى حلاوتها

فكيف أذكر أنى اليوم أذكرها

وقد فارقت الجناب،لا زال جنانه نضيرا،وسنا سنائه مستطيراً،وملكه فى الخافقين*[1] خافق الأعلام،وعزّه على الجديدين جديد الأيام،لم أقف منه على كتاب تُخلف سطوره ما غسل الدمع من سواد ناظرى،ويقّدم بياض منظومه ومنثوره ما وزعه البين من سويداء خاطرى:

ولم يبق فى الأحشاء إلا صبابة

من الصبر تجرى بالدموع البوادر

وأسأله المناب شريف الجناب،وأداء فرض تقبيل الأرض،حيث تلتقى أمور الدنيا والآخرة،وتعمر البيوت العامرة المدن الغامرة،وفضل الظل غير منسوخ بهجيره،ويبشّر المجد بشخصٍ لا تسمع الدنيا بنظيره.ثم ختمها بأبيات شعر أيضاً:

تظاهر فى الدنيا بأشرف ظاهر

فلم تر أنقى منه غير ضميره

كفانى فخراً أن أسمىّ بعده

وحسبى هديّا أن أسير بنوره

فأى أمير ليس يشرف قدره

إذا ما دعاه صادقاً بأميره[2]

فقد درج الكاتب فى هذه الرسالة على توشيح شوقه وتعميقه بأبيات من الشعر لما له من أثر على النفوس.

وأحياناً كان يحلو لبعض الكتّاب التوقيع شعراً،فاهو جعفر بن يحيى يوقع فى رقعة رجل كان قد سأله العون فى مسأله،فوقع على كتابه بقوله:-

---

[1] -*الخافقين:الشرق والغرب

[2] - الحياة الأدبية فى العصر العباسى.محمد عبدالمنعم خفاجى.مرجع سابق.ص١٢٨-١٢٩.

قد رأيناك فما أعجبتنا

وبلوناك فلم نرض الخبر

ومن توقيعاته بالشعر أيضاً،ما وقعّه لعلىّ بن عيسى بن ماهان،وكان قد كتب إليه معتذراً ،فوقع قائلاً:

كأنا وقد كنا صديقاً مصافياً

تباعد بيانانا فداء إلى الحشر[1]

وكذلك نلمسه فى توقيع الحسن بن سهل لأحد الشعراء بقوله:-

رأيت فى النوم إنى راكب فرساً

ولى وصيف وفى كفى دنانير

فقال قوم لهم فهم ومعرفة

رأيت خيراً وللأحلام تعبير

رؤياك فسر غداً عند الأمير تجد

تعبير ذاك وفى الفال التباشير[2]

والنساء أيضاً يتأثرن بالشعر ويستشهدن به فى رسائلهن،فهاهى أم الشريف تبعث برسالة فيها نصح وموعظة إلى أبن أخيها محمد بن أحمد بن عيسى وكان قد حاصر المعتضد مدينته،فأرسلت إليه حتى لا يستخدم القوة،وترجو منه التلطف،وذلك بقولها[3]:-

أقبل نصيحة أم قلبها وجع

عليك خوفاً وإشفاقاً وقُل سددا

وأستعمل الفكر فى قولى،فإنك إن

فكرت ألفيت فى قولى لك الرشدا

ولا تثق برجال فى قلوبهم

ضغائن تبعث الشنئان والحسدا

---

[1] -الأدب فى موكب الحضارة.مصطفى الشكعة.مرجع سابق.ص ٢٧١.

[2] -جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج٤.مرجع سابق.ص ٣٩٠.

[3] - مروج الذهب.على بن الحسين المسعودى.تحقيق محمد محى الدين.ج٢.ط٤.المكتبة التجارية بالقاهرة.١٩٦٤م.ص٤٦٨.

مثل النفاج خمول فى بيوتهم

حتى إذا آمنوا ألفيتهم أُسدا

وأدو ذلك والأدواء ممكنة

وإذا طبيبك قد ألقى إليك يدا

أعط الخليفة ما يرضيه منك،ولا

تمنعه مالاً ولا أهلاً ولا ولدا

وأردد أخا يشكر رداً يكون له

رِدءاً من السّؤ،لا تشمت به أحدا

ويُقال أن المعتضد قد أعجب بهذا القول والشعر فى إسداء تلك النصيحة.

وقد تفنن آخرون فى رسائلهم وأستشهادهم بالشعر فيه،وذلك بجعل الترصيع شطراً شطراً،كالذى كان من بديع الزمان فى رسالته للخوارزمى إذ يقول:[1]

أنا لقرب دار الأستاذ	"كما طرب النشوان مالت به الخمر"
ومن الإرتياح للقائه	"كما أنتفض العصفور بلله القطر"
ومن الإمتزاج بولائه	"كما ألتقت الصهباء والبارد العذب"
ومن الإبتهاج بمزاره	"كما أهتز تحت البارح الغصن الرطب"

وبتلك النماذج التى هى على سبيل المثال لا الحصر،نستطيع أن نقول إن الكتّاب فى العصر العباسى أستطاعوا أن يزينوا رسائلهم بأطايب الأشعار،وذلك لما فى الشعر من أثر فى تقوية المعانى وتعميقها فى النفس الأنسانية.

[1] –بلاغة الكتّاب.محمد نبيه حجاب.مرجع سابق.ص ١٧٤.

الخاتمة والنتائج:-

تغيّر وجه التاريخ بزاول دولة بنى أميّة وولادة دولة بنى العباس،ففى عهد العباسيين أتسعت آفاق الفكر وترعرت شجرة الثقافة الإسلاميّة،وتُرجم إلى العربية الوفير من الكتب الفارسية واليونانية،فأضافت بذلك جديداً إلى العقول،وذلك لأن الثقافات عادةً ما يساعد بعضها البعض الآخر.[1]

وتمشيّاً مع ذلك فقد نشأت الكتابة فى المجتمع العباسى عند حاجة الدولة إليها،وبعد أن تطور شكلها وتعقدت أمورها،وكثرت دواوينها،وأحتاج الخلفاء وأولوا الأمر أن يصرّفوا أمور الناس،وقد تولى الكتّاب تصريف الأموروذلك عن طريق الرسائل التى كانت تُبعث إلى الأمصار.

كذلك نشأت الكتابة فى ظل مجتمع متطور أخذ من الثقافة والمعرفة غير قليل،وكان من الطبيعى أن تحمل الكتابة سمات التطور وخصائص التقدم الفكرى والإجتماعى.[2]

وبناءاً على ذلك نجد أن الإنشاء فى صدر الدولة العباسية قد أخذ فى النزوع إلى ثمار الرخاء والترف والتى من أهمها التطويل والإطناب،وقد زادهم الإختلاط بالفرس وما تُرجم من آدابهم تأنقاً فى العبارة،وقد خالط ذلك كله شئ من الإطراء والتفخيم،خصوصاً فيما كانوا يكتبون به إلى الأمراء فى الإستعطاف أو طلب نوالهم.[3]

بذلك نجد أن الإكثار من التزيين والتأنق الذى ألتزموه فى رسائلهم،جعلهم يهتمون فيه باللفظ دون المعنى.

وأثر هذه الثورة نجد أن منزلة الكتّاب قد أرتفعت وذلك وفقاً للحاجة إلى الكتابة،وأسسوا الرسائل على فصول ومقدمات ونتائج،وجعلوها بناءاً متكاملاً فى الموضوع واللفظ والمعنى،وطرقوا بها عدة موضوعات لم تقتصر على الموضوعات الديوانية فحسب،بل كانت منها رسائل الوصف والإخوانيات والعتاب وغيرها.

---

[1] - الأدب فى موكب الحضارة.مصطفى الشكعة.مرجع سابق.ص ٣٥٣.

[2] - تاريخ النقد الأدبى من القرن الخامس إلى العاشر الهجرى.محمد زغلول سلام.دار المعارف بمصر.ص ٢٨.

[3] - تاريخ آداب اللغة.جرجى زيدان.مرجع سابق.ج١.ص ١٤٩.

وأتسعت آفاق الكتابة وتطورت أساليبها،وذلك فى الرسائل التى يغلب عليها الطابع الأدبى،كذلك أتجهت الرسائل إتجاهاً آخر ألتزم فيه الكتّاب قيوداً توفر لها كثيراً مما يختص به الشعر.

وعلى ضوء ذلك يمكننا تقسيم أساليب الرسائل فى العصر العباسى على فترات،وذلك لإختصاص كل فترة بالعديد من الخصائص.ففى الفترة الأولى والتى تبدأ منذ بداية الدولة العباسية إلى إستيلاء بنى بويه على بغداد،فقد بلغت كتابة الرسائل الحد الأعلى الذى لم تصل إليه فى سابق عهدها على يد الجاهليين أو الإسلاميين أو الأمويين،فقد آثر الكتّاب فى تلك الفترة ترك أنفسهم على سجيتها،فأدّوا معانيهم بعبارات كأنما لم تُخلق لغيرها،فلم يُكرهوا لفظاً ولا عاظلوا فى أسلوب،فسالت بذلك أودية الصحائف بأساليبهم المطلقة من كل قيد،الخارجة مع النفس الآتية عفو الخاطر.

فقد كانت أساليبهم تارة مرسلة مع الإزدواج الذى يحسن به وقع الكلام،ويتم به تقسيمه،وتارةً مسجوعة.

ومجمل القول على أسلوب الرسائل فى تلك الفترة بأن معانيه كانت تتراءى فى ألفاظها،لا يحجبها غموض ولا إستكراه،وأنه أسلوب مرسل لآيعوقه السجع المتكلف.

وبتتبع أسلوب الرسائل فى العصر العباسى الثانى،وهى الفترة التى عُرفت بحكم البويهيين (٣٣٤هـ - ٤٤٧هـ)،نجد أن الحضارة قد بلغت منتهاها وذلك بأن أصبح فى المعيشة ترف ونعيم،وفى العقول ثروة طائلة.

بذا نجد أن الكتّاب فى تلك الفترة قد زانت عباراتهم تلك الطلاوة اللفظية التى حاكوا بها ما كان فى معيشتهم من أناقة،وما تراءى فى نفوسهم من رقة وظرف،فسجعوا سجعاً قصير الفقرات،ونثروا على كتابتهم تلك الحُلى اللفظية من جناس لائق وطباق مطابق،وأظهروا موهبة الله فيهم من العلم الواسع،فضمّنوا كلامهم من الملح والإشارات والمصطلحات العلميّة والأمثال النادرة،والحكم والشعر،ثم نجد أنهم قد توسعوا فى أغراض الكتابة،فلم تعد مقصورة على رسائل السلطان والشوق والعتاب والإستمناح،بل زادوا فى ذلك وتعدوا إلى موضوعات الشعر فأستعاروها وكتبوا فيها.

ثم نجد أنه وفى تلك الفترة قد زادت عبارات التفخيم للملوك والأمراء،وذلك تبعاً لإزدياد سلطانهم وسطوتهم،كما أزداد ولعهم بالسجع حتى أنهم ألتزموه فى كل رسائلهم.

أما بالنظر إلى الفترة الثالثة من حكم الدولة العباسية وهى فترة إستيلاء السلاجقة على بغـداد (٤٤٧هـ – ٦٥٦هـ).نجد أنّ اللغة العربية قد تقلّص منها جلّ ظلها،وطغت العجمـى علـى الفصحى،وقلّت الرغبة فى الأدب،فتورّط الكتّاب فى تلك الفترة فى أنـواع التحسـين اللفظـى والمعنوى وذلك بجمعها على العبارة الواحدة،وألتزموا بذلك السجع إلتزاماً ملحـاً،ولم يقـدروا عليه قصيراً محكم الفقرات فجاءوا به طويلاً ،وساقوه متعثراً مختبلاً.[1]

بذلك فقد أستطاعت الرسائل فى العصر العباسى أن تلعب دورها بحذق ومهـارة فـى شـتى المجالات،ونطاق العلاقات كأحسن ما يمكن أن تؤلف الرسالة فكراً وأسلوباً وتعبيراً،ونجد أنهـا قد بلغت فى العصر العباسى الثانى شأناً لم تبلغه فى العصور السابقة مـن حيـث الصـناعة اللفظية،إضافة إلى إستيلاء الأعاجم على شئون الدولة فقد كان سبباً من أسباب أتجـاه الكتابـة للعناية بالزخرف اللفظى.

هذا بالإضافة إلى إتسام الرسائل بالوضوح،وذلك لأنه يخاطب الرعيّـة،ومما يميّزهـا أيضـاً الجمال الفنى وجودة التعبير لأنه يكتب عن الرؤساء الذين ينبغى علـيهم أن يصـدروا فيمـا يتصرفون فيه.

وقد أشاد الجاحظ بأساليب الكتّاب فى ذلك العصر وذلك بقوله:"إنهم لا يقفـون علـى الألفـاظ المتخيرة والمعانى المنتخبة،وعلى المخارج السهلة،والديباجة الكريمة،وعلى الطبـع المـتمكن والسبك الجيد،وعلى كل كلام له ماء ورونق،وعلى المعانى التى إذا صـارت فـى الصـدور عمّرتها وأصلحتها من الفساد،وفتحت للسـان بـاب البلاغـة،ودلّت الأقـلام علـى مـدافن الألفاظ،وأشارت إلى حسان المعانى"[2]

بذا فقد خرجت تلك الدراسة ببعض النتائج التى من أهمها ما يلى:–

١. إيثار البديع ،فقد كان السابقون يميلون إلى المحسـنات البديعيـة ولكـن فـى غيـر إسراف،أمّا هؤلاء فقد قصدوا إليه قصداً وأسرفوا.
٢. ألتزامهم للسجع فى جميع الرسائل ،حتى الرسائل المطّولة.
٣. حرصهم على تضمين رسائلهم أطايب الشعر،والمختار من الأمثال.

---

[1] –الأدب العربى وتاريخه فى العصر العباسى.محمد خفاجى.مرجع سابق.ص ٨٩ –٩٢.

[2] –البيان والتبيين. الجاحظ. مرجع سابق. ج٢. ص١٢.

٤. إهتمامهم بالكتابة فى بعض المواضيع الخاصة بالشعر كالمدح والهجاء والفخر وغيرها.

٥. نقلوا إلى النثر محاسن الشعر من أستعارة وتشبيه وخيال.

٦. ظهور المبالغة فى بعض الجمل الدعائية التى يختص بها من يكتب إليهم،وذلك مثل قولهم:"أطال الله بقاء الأمير – دام عزّه وتأييده – وعلوه وتمهيده – وبسطته وتوطيده...الخ".

٧. عدم تقيدهم بصيغة خاصة فى مقدمات الرسائل،أمّا الختام فقد درج أكثرهم على الإكتفاء بعبارة " والسلام ".

٨. إتسام الرسائل الإخوانية بالرقة المتناهية فى أكثر المناسبات.

٩. طغيان أسلوب الوقار على الرسائل الديوانية،والقصد إلى الهدف الذى تهدف إليه.

١٠. حرص الكتّاب فى العصر العباسى على إفتتاح البيعات بلفظ"تبايع فلاناً" أو بلفظ"من عبدالله ووليّه فلان...الخ"

١١. حرصهم على بداية العهود بلفظ "هذا ما عهد به" أو"هذا عهد من فلان لفلان" أو " هذا كتاب أكتتبه فلان لفلان"

١٢. كانت الكتابة فى أوائل عهد بنى العباس جارية على نظام كتابتها فى أوآخر عهد بنى أميّة،وذلك بجعل عباراتها جزلة بليغة.

١٣. دخول الصناعة اللفظية على الكتابة وذلك فى أوائل القرن الرابع الهجرى.

١٤. حرصهم على تضمين رسائلهم بعض النماذج القصصية.

أمّا التوصيات والتى يمكن أن توصى بها الباحثة الدارسين من بعد،الأهتمام بتلك الفنون النثرية وذلك لما فيها من فنون وإبداع،ولا يظهر ذلك إلا من خلال الدراسة التحليلية المتأنية ،لإستخلاص ذلك الجمال الأدبى والأبداع البلاغى الذى أستطاع به الكتّاب أن يزينوا به كتاباتهم.

والله أسأله التوفيق والسداد،وما كان فى هذا البحث من كمال فهو من عند الله تعالى.وما كان فيه من نقص فهو من عند أنفسنا وأسأله تعالى أن يجنبنا الذلل فيما سيأتى من دراسات.

الفهارس

فهرست الآيات القرآنية الكريمة

	الآّية	رقم الآّية	اسم الصورة	الصفحة التى وردة فيها الآّية
١/	(فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون)	٧٩	سورة البقرة	٥٩
٢/	(ما ننسخ من آّية أو ننسئها نأت بخير منها أو مثلها....الخ)	١٠٦	سورة البقرة	٤٦
٣/	(وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة ....الخ)	١٥٦	سورة البقرة	٦٣
٤/	(أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)	١٥٩	سورة البقرة	٥٩
٥/	(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)	١٨٥	سورة البقرة	٣٣
٦/	(ومثل الذين ينفقون أموالهم إبتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم .... بما تعلمون بصير)	٢٦٥	سورة البقرة	٥٩
٨/	(الذين يتفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)	٢٧٤	سورة البقرة	٥٩
٩/	(فاذنوا بحرب من الله ورسوله)	٢٧٩	سورة البقرة	٦٠
١٠/	(وإذ أبتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهنقال إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين)	١٣٤	سورة البقرة	٥٦
١١/	(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها)	٥٨	سورة النساء	٣٣
١٢/	(أطيعوا لله وأطيعوا الرسول وأوى الأمر منكم)	٥٩	سورة النساء	٣٣
١٣/	(والآّخرة خير لمن أتقى ولا تظلمون فتيلا)	٧٧	سورة النساء	٥٠

١٤/	(فإذا أطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا)	١٠٣	سورة النساء	٤٤
١٥/	(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم ....الخ)	٣٣	المائدة	٧١
١٦/	(الذى أنشاكم من نفس واحدة فمستقر فمستودع)	٩٨	سورة الأنعام	٥٦
١٨/	(لكل أجل كتاب فإذا جاء أجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون)	٣٤	سورة الأعراف	٧٦
١٩/	(والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه)	٥٨	سورة الأعراف	٤٩
٢٠/	(ما كان اللع ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)	٣٣	سورة الأنفال	٤٧
٢١/	(وأواوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله)	٧٥	سورة الانفال	٣٣
٢٢/	(ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنه أو بأيدينا)	٥٢	سورة التوبة	٥٩
٢٣/	(ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج)	٩١	سورة التوبة	٧٩
٢٤/	(يا أيها الذين أمنوا أتقوا الله وكونوا مع الصادقين)	١١٩	سورة التوبة	٤١
٢٥/	(والله لا يضيع أجر المحسنين)	١٢٠	سورة التوبة	٤٥
٢٦/	(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك)	١٢٠	سورة هود	٥٦
٢٧/	(فوربك لنسئلهم أجمعين عما كانوا يعملون)	٩٢-٣	سورة الحجر	٣٨
٢٨/	(أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحستة وجادلهم بالتى هى أحسن)	١٥٢	سورة النحل	٣٣
٢٩/	(وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا)	٣٤	سورة فصلت	٦٠

٣٠/	(المال والبنون زينة الحياة الدنيا .....الخ)	٤٦	سورة الكهف	٩٦
٣١/	(والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون)	٨	سورة المؤمنون	٥٩
٣٢/	(وأجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى)	٢٩	سورة طه	١٩
٣٣/	(وأنذر عشيرتك الأقربين)	٢١٤	سورة الشعراء	٤١
٣٤/	(وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)	٢٢٧	سورة الشعراء	٦٠
٣٥/	(رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى ولدى)	١٩	سورة النمل	٥٦
٣٦/	(إذهب بكتابى هذا فالقه إليهم ثم تولى عنهم ....الخ)	٢٨-٢٩	سورة النمل	٣٣
٣٧/	(ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات ....الخ)	٤٧	سورة الروم	٣١
٣٨/	(وليستخفنك الذين لا يوقنون)	٦٠	سورة الروم	٥٩
٣٩/	(وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور)	١٧	سورة لقمان	٤٩
٤٠/	(إن الله وملائكته يصلون على النبى ، يأيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)	٥٦	سورة الأحزاب	٥٩
٤١/	(الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور)	٣٤	سورة فاطر	٤٩
٤٢/	(ياداؤد إنا جعلناك خليفة الأرض فأحك بين الناس بالحق، ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله...الخ)	٢٦	سورة ص	٣٨
٤٣/	(أمن هو قانت آناء الليل ...الخ)	٩	سورة الزمر	٥٩
٤٥/	(لا ياتيه الباطل من بيت يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)	٤٢	سورة فصلت	٤٥
٤٦/	(قل لا أسالكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى)	٣٢	سورة الشورى	٣٣

٤٧/	(ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم)	٢٥	سورة ق	٥٩
٤٨/	(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ....الخ)	١٠	سورة الفتح	٣٧
٤٩/	(والطور،وكتاب مسطور،فى رق منشور)	١–٣		٦
٥٠/	(لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعاً متصدعاً نت خشية الله)	٢١	سورة الحشر	٥٦
٥١/	(ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير)	٤	سورة الملك	٥٦
٥٢/	(ن والقلم وما يسطرون)	١	سورة القلم	٦
٥٣/	(يوم يقوم الناس لرب العالمين)	٦	سورة المطففين	٤٠
٥٤/	(إن لهذا فى الصحف الاولى)	١٨	سورة الاعلى	٦
٥٦/	(إقراء بأسم ربك الذى خلق...الخ)	١–٥	سورة العلق	٦

فهرست المصادر والمراجع

اولاً: المصادر:-

القرآن الكريم.

١. البيان والتبيين.أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.تحقيق:عبدالسلام هارون. ج١.ط٤.بيروت:لبنان.الشركة اللبنانية للكتاب.

٢. البيان والتبيين.————————————.
تحقيق:عبدالسلام هارون.ج٢.ط٣. القاهرة:مطبعة دار النشر.١٣٨٨هـ.١٩٦٨م.

٣. البيان والتبيين.————————————.
تحقيق:عبدالسلام هارون.ج٤.ط٣. القاهرة:مطبعة دار التأليف.١٣٨٨هـ.١٩٦٨م.

٤. التلخيص فى علوم البلاغة.جلال الدين بن محمد بن عبدالرحمن الخطيب .القزوينى.شرحه عبدالرحمن البرقوقى.ط١.دار الفكر العربى.١٩٠٤م.

٥. دلائل الإعجاز.عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجانى.تحقيق:محمود محمد شاكر.مكتبة الخانجى.القاهرة:مطبعة المدنى.

٦. زُهر الآداب.أبى أسحاق إبراهيم بن على الحصرى.تحقيق:زكى مبارك.ط٣. القاهرة:مطبعة السعادة.٤٥٣هـ.١٩٥٣م.

٧. صُبح الأعشى فى صناعة الإنشاء.أبى العباس أحمد بن على القلقشندى.ج٦. دار الثقافة والإرشاد القومى.٨٢١هـ.١٤١٨م.

٨. صُبح الأعشى فى صناعة الإنشاء .ـــ
.ج٩.الطبعة الأميرية. المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
٨٢١هــ.١٤١٨م.

٩. صُبح الأعشى فى صناعة الإنشاء .ـــ
.ج١٠.الطبعة الأميرية. المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
٨٢١هــ.١٤١٨م.

١٠. الصناعتين(الشعر والنثر).أبو هلال العسكرى.تحقيق: على محمد البجاوى ومحمد الفضل إبراهيم.ط١.مطبعة عيسى البابى الحلبى.١٣٧١هــ.١٩٥٤م.

١١. العقد الفريد.أبو عمرأحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسى.شرحه أحمد أمين وآخرون.ج١.ط٣.مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.١٣٦٧هــ.١٩٤٨م.

١٢. العمدة فى محاسن الشعر وآدابه.إبن رشيق القيروانى.ج١.تحقيق:محمد قزقزان. طبعة دار المعارف بيروت:لبنان.

١٣. القاموس المحيط.مجدالدين الفيروزآبادى.فصل النون باب الرآء.ط٤.دار المأمون.٢٣٣٢هــ.١٩١٣م.

١٤. كتاب العين.الخليل بن أحمد الفراهيدى.باب السين والرآء.تحقيق:مهدى المخزومى وإبراهيم السامرائى.المجلد السابع.مكتبة الهلال.

١٥. لسان العرب.أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور.ج١١.ط١. دار صادر.بيروت.

١٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر.الحسن على بن الحسين بن على المسعودى. ج٢.تحقيق:محمد محى الدين.ط٤.القاهرة:المكتبة التجارية.١٩٦٤.

١٧. معجم الأدباء.ياقوت الحموى.تحقيق:إحسان عباس.ج٣.ط١.دار الغرب الإسلامى.بيروت:لبنان.

١٨. نقد النثر.أبى الفرج قدامة بن جعفر.تحقيق طه حسين وعبدالحميد العبّادى. ط٣.القاهرة:لجنة التأليف والترجمة.١٣٥٧هـ.١٩٣٨م.

١٩. وفيات الأعيان.إبن خلكان.تحقيق:محمد محى الدين.ج١.القاهرة:مكتبة النهضة المصرية.

ثانياً المراجع:-

٢٠. الأدب العربى وتاريخه فى العصر الأموى والعباسى الأول.إبراهيم رفيدة. ط١.مكتبة القاهرة.١٩٦٦م.

٢١. الأدب االعربى وتاريخه فى العصر العباسى.محمدعبدالمنعم خفاجى.ط٢. القاهرة:مطبعة مصطفى البابى الحلبى.١٩٧٣.

٢٢. الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية.مصطفى الشكعة.مكتبة الأنجلو المصرية.١٩٦٨م.

٢٣. الأسلوب(دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب البلاغية).أحمد الشائب. مكتبة النهضة المصرية.

٢٤. أعلام الأدب العباسى.محمد رضوان الداية.ط٢١٤.٧هـ.١٩٨٧م.

٢٥. الأصول الفنيّة للأدب.عبدالحميد حسين.ط١.مطبعة الأنجلوالمصرية. ١٩٦٤.

٢٦. أمراء الشعر فى دولة بنى العباس.مصطفى السيوفى.الدار الدولية.٢٠٠٨م.
٢٧. الإيجاز فى كلام العرب ونصّ الإعجاز.مختار عطية.دارالمعرفة الجامعية.

٢٨. الإيضاح فى علوم البلاغة.الخطيب القزوينى:شرحه محمد عبدالمنعم خفاجى.ج٦.

٢٩. بلاغة الكتّاب فى العصر العباسى.محمد نبيه حجاب.ط١.المطبعة الفنيّة الحديثة .٣٨٥هـ.١٩٦٥م.

٣٠. تاريخ آداب اللغة العربية.جرجى زيدان.راجعها شوقى ضيف.ج١. دارالهلال.
٣١. تاريخ آداب اللغة العربية.ـــــــــــــــــــــــــ.راجعها شوقى ضيف.ج٢. دارالهلال.

٣٢. تاريخ الترسّل النثرى عند العرب فى الجاهلية.محمود المقداد.ط١.دارالفكر: بيروت:١٤١٣هـ .١٩٩٣م.

٣٣. تاريخ النقد العربى من القرن الخامس إلى العاشر الهجرى.محمد زغلول سلام.دارالمعارف بمصر.

٣٤. تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى.أنيس المقدسى.ط٣.دارالعلم. بيروت.١٩٦٥م.

٣٥. جمهرة رسائل العرب.أحمد زكى صفوت.ج٣.ط١.مطبعة مصطفى البابى الحلبى.١٣٩١هـ.١٩٧١م.

٣٦. التصوير الشعرى.عدنان حسين قاسم.القاهرة:الدار العربية للنشر.

٣٧. جمهرة رسائل العرب.ـــــــــــــــــــــــــ.ج٤.ط٢.مطبعة مصطفى البابى الحلبى.١٣٩١هـ.١٩٧١م.

٣٨. جواهر الأدب.أحمد الهاشمى.ج١.المكتبة التجارية الكبرى.١٣٧٩هـ. ١٩٦٠م.
٣٩. الحياة الأدبية فى البصرة إلى نهاية القرن الثانى الهجرى.أحمد كمال زكى. طبعة دار الفكر بدمشق.دارالنشر.دار المعارف بمصر.

٤٠. دراسات شعرية.حمادى حمود وآخرون.تونس:المؤسسة الوطنية للترجمة. ١٩٨٨م.

٤١. الرسائل الأدبية ودورها فى تطوير النثر العربى القديم.صالح بن رمضان. المجلد ٤٧.جامعة منوبة بتونس.٢٠٠١م.

٤٢. رسائل البلغاء.محمد كرد على.دارالكتب العربية الكبرى.١٣٣١هـ. ١٩١٣م

٤٣. صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية.أحمد السيّد درّاج. الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة.

٤٤. ضحى الإسلام.أحمد أمين.ج١.ط١٠.دارالكتاب العربى.بيروت.

٤٥. عصر المأمون.أحمد فريد الرفاعى.المجلد الأول.ط٤. دارالكتب المصرية. القاهرة.١٣٤٦هـ.١٩٢٨م.

٤٦. العصر العباسى الأول.شوقى ضيف.ط٦.القاهرة:دار المعارف.١٩٦٦.

٤٧. العصر العباسى الثانى.______________.ط٣.القاهرة:دار المعارف.١٩٦٦.

٤٨. علم المعانى.حسن طبل.ط١.مكتبة الأيمان بالقاهرة.١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.

٤٩. الغفران لأبى العلاء المعرّى.عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ.ط٣.دار المعارف بمصر.
٥٠. الفن ومذاهبه فى النثر العربى.شوقى ضيف.ط١٣.دار المعارف.
٥١. فى النثر العربى قضايا وفنون.محمد يونس عبدالعال.ط١. الشركة المصرية للنشر.١٩٩٦م.
٥٢. قدامة بن جعفر والنقد الأدبى.بدوى أحمد طبانة.ط٣.المطبعة الفنية الحديثة. ١٣٨٩هـ.١٩٦٩م.
٥٣. الكتابة الفنيّة والموضوعية.حسن على قرعاوى.ط١.دار النشر والتوزيع. ١٩٩٦.
٥٤. محاضرات تاريخ الأمم الأسلاميّة.محمد الحضرى بك.المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
٥٥. النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى.زكى مبارك.ج١.دارالتأليف المصرية. ١٩٣٤م.
٥٦. النثر الفنىّ واثر الجاحظ فيه.عبدالحكيم بلبع.مطبعة الأنجلو المصرية
٥٧. نشأة النثر وتطوره.عمر الدسوقى.ج١.ط٢.دارالفكر العربى.بيروت.

ثالثاً:- رسائل جامعية غير منشورة:-

٥٨. " الخطابة فى عصر بنى أميّة،أنواعها وخصائصها الفنية"،عبدالرحمن عطاالمنان،رسالة دكتوراة غير منشورة،جامعة أمدرمان الإسلاميّة،كليّة اللغة العربية،١٤٢٣هـ.٢٠٠٢م.

فهرست الموضوعات